

التفسير المبين

أَلْفَهُ وَكَتَبَهُ

أَلْفَقِيرٍ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ

الشَّيْخُ الدُّكْتُور / عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنِ بْنِ نَفِيسَةَ

صَاحِبُ مُؤَسَّسَةِ الْبُحُوثِ وَالدرَّاسَاتِ الْفَقْهِيَّةِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ

الْكَرِيمِ (الْوَقْفِيَّةِ) وَمَجَلَّةِ الْبُحُوثِ الْفَقْهِيَّةِ الْمَعَاوِرَةِ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَوَالِدَيْهِ وَذُرِّيَّتَهُ وَإِخْوَانَهُ وَالْمُسْلِمِينَ

المجلد التاسع



CamScanner

جميع الحقوق محفوظة

لـ « مؤسسة البحوث والدراسات الفقهية

وعُلوم القرآن الكريم الوقفية »

المملكة العربية السعودية - الرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الواقعة

مكية، وآياتها ست وتسعون آية

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝٦ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّتٍ النَّعِيمِ ۝١٢﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: إذا قامت القيامة، والواقعة من أسماء

يوم القيامة، والمراد أن القيامة واقعة، لا محالة.

﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: أن وقوعها ثابت لا ريب فيه، أما

وقتها فمرده إلى الله ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: ينخفض بقيامها

المشركون والطغاة ومن على شاكلتهم، ويرتفع بقيامها المؤمنون الذين

أدركوا بعقولهم أن القيامة واقعة، فعملوا لها، فهم في ذلك اليوم قد ارتفعوا إلى المنزلة العليا في الآخرة.

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: إذا حركت وزلزلت ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ أي: تحولت إلى فتات، وأخرج الطبري بسند ثابت عن ابن عباس في قوله -ﷺ-: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ قال: «زلزالها، وقوله -ﷺ-: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ قال: فُتَّتْ فَتًا».

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبَثًا﴾ أي: غبارًا متطايرًا في الهواء، ففي تلك الحال ينقسم الناس إلى ثلاثة أقسام، كما قال -تعالى-: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ وهم أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون، كما قال -تعالى-: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ فهؤلاء يؤخذون ذات اليمين إلى الجنة.

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ وهؤلاء يؤخذون ذات الشمال إلى النار.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أي: السابقون في الدنيا إلى إقامة الصلوات، والسابقون إلى بذل الزكاة، والسابقون إلى الجهاد، والسابقون إلى كل عمل أمر الله به عباده.

﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: هم بسبب

أعمالهم تلك ورحمة الله لهم هم المقربون عنده في جنات النعيم.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الله-تعالى-عبّر عن يوم القيامة بالواقعة للإيذان بتحقيق وقوعها لا محالة.

- الحكم بأن القيامة سوف تقع، وأن وقوعها صادق، وليس بكاذب، كما قال-تعالى-: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى:٤٧]، وقال-عز ذكره-: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣].

- التفاوت بين المؤمنين والكافرين عند قيام الساعة، فالمؤمنون يكونون في أعلى المنازل، والكافرون يلاقون العذاب.

- تقرير حقيقة الكون عند قيام الساعة، فترتج الأرض، وتتحرك حركة شديدة، كما قال-تعالى-: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، أما الجبال فتتحول إلى فتات يطير في

الهواء، وينقسم الناس حينئذ إلى أقسام ثلاثة، هم: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون، فأصحاب اليمين هم الذين يؤخذون إلى الجنة جزاء أعمالهم في الدنيا برحمة الله لهم، وأصحاب الشمال يؤخذون إلى العذاب بسبب كفرهم ومعاصيهم، أما السابقون فهم أكثر قرباً من الله، ومنهم: الأنبياء والرسل والصديقون والشهداء.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَبَقِيَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝ مَتَكِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝ لَا يُصَدَّغُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ۝ وَفَكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَبَّروْنَ ۝ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ۝ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝﴾.

بيان الآيات:

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ لما ذكر الله - عز وجل - في الآية السابقة المقربين بين أنهم ثلثة من الأولين أي: جماعة منهم، وقيل: المراد أنهم

من الأمم الماضية، وأن المراد بقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أنهم هذه الأمة^(١)، ولعل الأصح - والله أعلم -: أن الأولين ثلثة هذه الأمة ممن كانوا على المحجة البيضاء، الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله، وجاهدوا في الله حق جهاده، وفي هذا دليل على فضلهم على المتأخرين من هذه الأمة؛ لقول رسول الله - ﷺ -: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون، ولا يستشهدون، ويخونون، ولا يؤتمنون، وينذرون، ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»^(٢)، ومن المحتمل أن هذه الآية تعم - كما يقول الإمام ابن كثير - جميع الأمم كل أمة بحسبها^(٣).

قوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: منسوجة من الذهب.
﴿مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ﴾ أي: تتقابل وجوه بعضهم إلى بعض ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: يقوم بخدمتهم شبان لا يشيبون، ولا يتغيرون.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ الأكواب هي الكؤوس

(١) تفسير الطبري، (٢٢/٢٩١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي - ﷺ -، باب: فضائل أصحاب النبي - ﷺ -، (رقم ٣٦٥٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، (رقم ٢٥٣٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٤/٢٩٥).

التي ليس لها عُرٌّ، والأباريق هي التي لها عُرٌّ، والكأس الذي من معين هو الخمر اللذيذة الجارية من العيون.

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ أي: لا تتصدع منها رؤوسهم

كحال خمر الدنيا، ولا تنزف عقولهم بسبب شربها، كما أخرج الطبري بسند ثابت عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ قال:

«ليس لها وجع رأس».

﴿وَفَلَكِهَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي:

يطوف عليهم الولدان بما يختارونه ويشتهونه من الفواكه ولحم الطيور ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ أي: وللمقربين زوجات حور، وهن اللاتي

يغلب بياض عيونهن على سوادها، أو واسعات الأعين، فيكون فيهن بهاء وحسن وجمال، وأخرج الطبري بسند ثابت عن الحسن في قوله-

تعالى:- ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قال: «شديدة السواد سواد العين، شديدة البياض بياض العين».

﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أي: كأنهن اللؤلؤ في بياضه

ونضارته وصفائه المستور عن الأعين ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

أي: هذا الذي وصف لهم من الثواب هو مجازاة لهم على حسن

وإخلاص عملهم في الدنيا.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: لا يسمعون في إقامتهم في الجنة كلامًا لا خير فيه، أو لا فائدة منه؛ إذ إن سماعهم فيها تسليم بعضهم على بعض، ومحبة بعضهم لبعض، كما قال-تعالى:- ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير أن السابقين المقربين هم من صدر هذه الأمة، ولا يمنع هذا أن يكون ذلك في كل أمة بحسبها.
- ذكر ما في الجنة من أنواع النعيم، خاصة للمقربين.
- بيان فضلِ خَمْرِ الجنة على خمر الدنيا المحرمة
- الحكم بأن المرء يجزى بمثل ما عمل، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وهذا هو عدل الله وحكمه بين عباده، فاقتضى هذا محاسبة الإنسان لنفسه في الدنيا قبل أن يدركه الأجل وهو مفرط، ثم يعطى كتابه بشماله، فيقول حينئذ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَشِمَالِهِ﴾ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٨﴾

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾
وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَلَكِهَةٍ
كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا
أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾
لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ
﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ لما ذكر الله - عز وجل -
حال المقربين، وما أعد لهم من النعيم المقيم، ذكر شأن أصحاب
اليمين، وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، وما أعد الله لهم من الجزاء
والثواب، فقال: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أي: السدر: الذي لا شوك فيه،
وصحَّ عن النبي - ﷺ - في بيان قوله - تعالى -: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾
قال: «يخضد الله شوكه، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها تنبت
ثمرًا، تفتق الثمرة معها عن اثنين وسبعين لونا، ما منها لون يشبه

الآخر»^(١).

﴿وَطَلِّحْ مَنُضُودٍ﴾ المراد به: الموز، ومعنى (منضود) أي: متراكم ومتناسق، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿وَطَلِّحْ مَنُضُودٍ﴾ قال: «الموز» ﴿وَزَلَّ مَمْدُودٍ﴾ أي: ظل متمدّد، لا ينقبض، وأخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة أن النبي -ﷺ- قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَزَلَّ مَمْدُودٍ﴾»^(٢).

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: مصبوب ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ ٣٤ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: ولهم فاكهة كثيرة متعددة الألوان والأصناف، لا تنقطع، ولا تمنع عنهم.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ أي: عالية ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ المراد بهنّ: الحُورُ الْعِينُ، حيث دل على ذلك السياق في ذكر الفرش ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ أي: لم يطأهنَّ أحد قبل أزواجهنَّ من أصحاب اليمين ﴿عُرُبًا﴾ أي: متحبات إلى أزواجهنَّ، عاشقات لهم.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، (٢/٤٧٦)، وصححه، وافقه الذهبي، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، (٤/٤٣٤): «إسناده حسن».

(٢) صحيح البخاري، (٨/٤٩٥)، كتاب التفسير، سورة الواقعة، الآية، حديث (٤٨٨١).

﴿أَثَرَابًا﴾ أي: متماثلات في أعمارهنَّ على قدر ثلاث وثلاثين سنة، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة في قوله-تعالى:-
 ﴿عُرْبًا﴾ قال: «عشاقاً لأزواجهنَّ»، وقوله-تعالى:- ﴿أَثَرَابًا﴾ قال:
 «سنّاً واحداً».

﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: خلقت هؤلاء الحور لأهل اليمين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أن أصحاب اليمين هم جماعة من صدر أمة محمد-ﷺ- ﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: من آخرها، ويحتمل أن يكون المراد: من الأمم السابقة، كما ذكر آنفاً.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان ما أعد الله للمتقين أصحاب اليمين من الجزاء والثواب العظيم جزاءً لعملهم في الدنيا، وهذا يقتضي عدم التفاضل بين البشر إلا في تقواهم، كما قال-تعالى:- ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

- أن من صفات الحور: أنهنَّ أبكار، متحبيات لأزواجهنَّ، متساويات في السن.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ﴿١٤﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ

﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ
 ذَٰلِكَ مُتَرْفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا
 يَقُولُونَ أَيْدَا مِثْنَا وَكُنَّا ثُرَاتًا وَعِظْلًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ عَابَاؤُنَا
 الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ
 يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَٰهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كِلُونَ
 مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ
 مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ
 ﴿٥٦﴾ .

بيان الآيات:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ لما ذكر الله-عز وجل- حال المقربين، وحال أصحاب اليمين، ذكر أصحاب الشمال مندداً بهم، ثم ذكر مآلهم يوم القيامة، وهو أنهم ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ أي: أنهم يلاقون السموم، وهو الهواء الحار، ويلاقون الحميم، وهو الماء الحار.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ أي: يستظلون في دخان أسود ﴿لَا بَارِدٍ

وَلَا كَرِيمٍ ﴿١٧﴾ أي: ليس ببارد يقيهم من الحرارة، ولا هو كريم في منظره ورائحته ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أي: كانوا في الدنيا يتنعمون مع إعراضهم عما جاءهم من الحق والهدى بواسطة رسلهم ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ أي: كانوا في الدنيا يصرون على الشرك بالله، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ قال: «على الذنب».

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدًا مِثْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِئْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ أي: يتساءلون بينهم على سبيل الاستهزاء والإنكار، ويقولون: إنهم إذا تحولوا إلى تراب وعظام لن يعودوا إلى الحياة مرة أخرى.

﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ أي: وينكرون-أيضاً-بعث آبائهم، فرد الله عليهم وكذبهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ أي: قل لهم يا رسولنا محمداً: إنكم وآباءكم ومن قبلكم ومن بعدكم ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: سوف تجمعون يوم القيامة في وقت واحد، وعلى صعيد واحد.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَئِهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ أي: إنكم أيها الذين

ضللتم عن الحق، واتبعتم الباطل، وكذبتم بالبعث ﴿لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾ أي: من شجر في النار، أخبث ما يكون في طعمه ومذاقه ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ أي: يجبرون على الأكل من هذا الشجر رغم خبثه. ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ أي: ويشربون على هذا الزقوم من الماء الحار الشديد الحرارة، كما تشرب الإبل الهيم التي لا تروى من شدة عطشها، كما قال-تعالى-: ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ قال: «شرب الإبل العطاش».

﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: هذا العذاب الذي أعد لهم هو مكانهم ونزلهم يوم القيامة.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان ما لأصحاب الشمال من العذاب يوم القيامة، وهؤلاء هم كل من كفر بالله، وجحد آياته، وكذب رسله، وعصى ما أمره الله ورسوله به، وارتكب ما حرماه عليه.
- توضيح الأسباب التي استحق بها أصحاب الشمال ذلك العذاب والجحيم.

- ذمُّ الترف الذي يصد عن طاعة الله، وبيان عاقبته الوخيمة، ويشمل ذلك الإسراف في الملذات، والتباهي بها، وصرف المال في غير مسوَّغه، ولو كان حلالاً؛ بدليل قوله-تعالى-: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

- أن الكفرة يستبعدون البعث، ويتساءلون في سذاجة عن عودتهم إلى الحياة، وقد تحولوا إلى تراب وعظام بالية، كما قال-تعالى- عنهم: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ٥٧ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ٥٨
 وَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩ ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ
 وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٦٠ ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدَّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا
 لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢.

بيان الآيات:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ لما قال منكرو البعث:

كيف نحيا مرة أخرى، وقد تحولنا إلى تراب وعظام بالية؟، ردَّ الله

عليهم بأنه هو الذي أنشأهم من العدم، وأوجدهم من غير خالق آخر.

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بالبعث، وتدركون أن

الذي خلقكم من العدم قادر على أن يحييكم مرة أخرى.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ أي: أخبروني عما تضعونه في أرحام

أزواجكم من المنى الذي يتحول إلى ولد ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ﴾ أي: أنتم

الذين تخلقون الولد ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾؟، والجواب: قوله-عز

وجل:- نحن الخالقون له، وليس أحد قادراً على خلقه غيرنا.

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أي: قضينا به، وقدرناه عليكم

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: لسنا عن ذلك بعاجزين ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ

أَمْثَلَكُمْ﴾ أي: نغير خلقكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

أي: نجعل لكم صفات غير صفاتكم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ أي: علمتم أن الله هو الذي

أنشأكم بعد أن كنتم في العدم، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة،

وصوركم فأحسن صوركم ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: هلا تذكرون

وتعرفون أن الذي خلقكم ويميتكم قادر على أن يحييكم.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان أنّ الله-عز وجل-هو الذي خلق الخلق، وأنشأهم من العدم، وأنه هو الذي يميتهم ثم يحييهم، وكل ذلك بقدرته وعظمته، وقوله للشيء: كن، فيكون. كما قال-تعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].
- بيان أن الله-عز وجل-كما قَدَّر الخلق والحياة قَدَّر الموت، وقضى به على عباده، كما قال-عز ذكره-: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].
- أن الله قادر على أن يبدل الإنسان، ويغير صورته إلى صورة أخرى.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحَرِّمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَسْيًا لِلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ .

بيان الآيات:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ أي: أخبروني أيها المشركون المنكرون للبعث عن حرثكم الأرض، ووضعكم البذور فيها؛ ليكون زرعاً وطعاماً لكم وأنعامكم: ﴿عَأْنَتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ أي: أنتم الذين تنبتونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ؟ الجواب: بل نحن الذين ننبتنه ونكّونه ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أي: لو نشاء أيبسناه، وجعلناه هشيماً، أو أغرقناه بالماء، أو بالمرض، فلم تستفيدوا منه بشيء.

﴿فَظَلَّمْتُمْ تَفَكُّهُونَ﴾ أي: تتندمون، وتتعجبون من الحال التي آل إليها، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن الحسن في قوله-تعالى:- ﴿فَظَلَّمْتُمْ تَفَكُّهُونَ﴾ قال: «تندّمون».

﴿إِنَّا لَمُعْرُمُونَ﴾ أي: معذبون بما آل إليه زرعنا ورزقنا ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ أي: محرومون من رزقنا هذا، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾ قال: «ملوعٌ بنا».

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ أي: أخبروني عن هذا الماء

الذي تشربونه؛ ليرويكم من عطشكم ﴿عَأْنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنْ
الْمُزْنِ﴾ أي: أنتم الذين أنزلتموه، وصرفتموه من السحاب ﴿أَمْ
نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾؟، والجواب: ﴿نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ أي: نحن الذين
قدرناه، وأنزلناه، و﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ أي: لو أردنا
لجعلناه مالحًا لا تستطيعون شربه، ولا تستفيدون منه في
زراعكم، أو في سقي بهائمكم ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلا
تشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم، وتتركون الشرك
به، وتصدقون برسوله.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي: أخبروني عن النار التي
تشعلونها ﴿عَأْنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ أي: أنتم
الذين أنشأتم شجرتها، وهي المرخ والعفار، أم نحن المنشئون؟،
والجواب: نحن الذين أنشأناها، وليس أحد غيرنا ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا
تَذْكِرَةً﴾ أي: جعلنا النار تذكرة لكم؛ لكي تتذكروا النار يوم
القيامة.

﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ أي: جعلنا فيها فائدة للمسافرين؛ لطبخ
طعامهم، وتدفئتهم، وكثير من منافعهم، كما أخرج الطبري بسند

حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿وَمَتَّعَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال: «للمسافرين».

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لما ذكر الله -ﷻ- قدرته العظيمة، وبعضاً من نعمه وفضله على عباده بما سخره لهم من الحرث، وإنزال الماء، وإنشاء الشجرة التي تنتج نار الدنيا، أمر رسوله محمداً -ﷺ- أن يُسَبِّحَ ربه ويقدسه، ويعظمه على ما أنعم به على عباده، والأمر لرسول الله أمر لأُمته أن تسبح لله، وترفع أكف الشكر والضراعة له على ما خصها به من النعم، وفي مقدمتها: أنه رضي لها الإسلام ديناً، وبعث لها رسولاً من نفسها.

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير حقيقة البعث، وبيان الأدلة عليه، وأن الله هو الذي خلق هذا الكون، وأنشأ الخلق من العدم إلى الوجود، ويسر لهم ما في الأرض لطعامهم وشرابهم وراحتهم، وأنه وحده القادر على إحياء الموتى، ومع أن هذا من مدركات العقل السليم إلا أن المشركين ومن في حكمهم من الجهلة يعجزون عن إدراك هذه الحقيقة، كما قال -ﷻ- عنهم: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا

يَعْقِلُونَ ﴿البقرة: ١٧١﴾.

- أن الله تعالى-خَصَّ الماء بالشرب، مع تَعَدُّدِ منافعه؛ وذلك لأنَّ الشرب أَعْمُ المقاصد المنوطة به.
- وجوب شكر الله على نعمه، فبالشكر تدوم النعم، وما هلك قوم، وما هلكت أمة إلا لأنها كفرت بنعم الله، ولم تشكره عليها.
- أن الله ذَكَرَ حِكْمَتَهُ مِنْ خَلْقِ النار، فهي تُذَكِّرُ بنار جهنم.
- أن في نار الدنيا تذكرة للعباد؛ ليعرفوا مدى عظم هذه النار وحرها، رغم أنها أقل سبعين مرة من نار الآخرة؛ لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه-أن رسول الله-ﷺ قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، فقليل: يا رسول الله! إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً»^(١).
- وجوب تسبيح الله وتقديسه؛ لأن كل من في الكون العلوي والسفلي يسبح له، كما قال-عز وجل-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وعن عقبة بن عامر-رضي الله عنه-، قال: «لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: صفة النار، وأنها مخلوقة، (رقم ٣٢٦٥)، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب: في شدة حر نار جهنم، (رقم ٢٨٤٣).

رسول الله - ﷺ -: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: ﴿سَبِّحْ
اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم»^(١).

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ
عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ
إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ
مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (لا) يؤتى بها في أول القسم إذا
كان مقسمًا به على منفي، أو هي تأكيد للقسم، والمراد: أقسم بمواقع
النجوم أي: مطالعها ومغاربها، وثبت عن ابن عباس-رضي الله
عنهما- قال: مُطِرَ الناس على عهد النبي - ﷺ -، فقال النبي - ﷺ -:
«أصبح من الناس شاكراً، ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال
بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا»، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَا
أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

(١) أخرجه أبو داود، السنن، (٢٣٠/١)، (رقم ٨٦٩)، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه
وسجوده، وأخرجه ابن حبان في صحيحه الإحسان، (٢٢٥/٥)، (رقم ١٨٩٨)، وصححه الحاكم،
ووافقه الذهبي، المستدرک، (٤٧٧/٢).

تُكَذِّبُونَ ﴿١﴾».

﴿وَأَنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوُتَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: إن هذا القسم قسم عظيم، لو كنتم تعقلون لعظمتتم المُقَسَمَ عليه، وهو القرآن كما قال- تعالى:- ﴿وَأَنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ أي: إن هذا الكتاب الذي أنزلناه على نبينا ورسولنا محمد قرآن عظيم في ألفاظه ومعانيه وأحكامه.

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي: إنه كتاب معظم في لوح معظم، هو اللوح المحفوظ ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي: لا يمسه أحد من الملائكة أو البشر إلا طاهراً من الحدث الأكبر والأصغر، كما أخرج الدارمي عن يحيى بن حمزة: أن رسول الله -ﷺ- كتب إلى أهل اليمن: «ألا يمس القرآن إلا طاهر، ولا طلاق قبل إملاك، ولا عتاق حتى يبتاع»^(٢)، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال: «الملائكة».

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أنزله الله-جل وعلا-من عنده، فوجب تعظيمه، ومن ذلك: ألا يمسه إلا طاهر.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مُطَرْنَا بالنوء، (١/ ٨٤)، (رقم ٧٣).

(٢) سنن الدارمي، (٣/ ١٦١)، وفي سنده رجل فيه مقال، ويشهد له ويقويه ما أخرجه الطبراني في الكبير، (٣٣/ ٩)، بسند حسن عن عثمان بن العاص عن النبي -ﷺ-، قال: «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر».

﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ﴾ أي: هل أنتم بهذا القرآن

متهاونون أو مكذبون؟، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ﴾ قال: «تريدون أن

تمالئوهم فيه، وتركوا إليهم؟».

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ أي: تقابلون إنعام الله

عليكم بالرزق بالتكذيب، وتنسبون الفضل إلى غير أهله، فتقولون حينما تمطرون: مطرنا بنوء كذا وكذا، مع أن الله هو الذي ينزل

الغيث، كما أخرج ذلك الطبري وابن المنذر بسند صحيح عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾

قال: «ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا»^(١).

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير أن الله يقسم بما يشاء من خلقه، ولكن المخلوقين لا يقسمون إلا به، وهذا يقتضي تحريم القسم بالنبي أو الكعبة أو

^(١) جامع البيان، (٢٢ / ٣٧٠)، ومجموع الفتاوى، (١٦ / ١٥١) حيث قال: «وروى ابن المنذر في تفسيره: ثنا محمد بن علي يعني الصائغ، ثنا سعيد-هو ابن منصور-، ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكر الرواية، وهو سند حسن».

- حياة فلان، أو نحو ذلك مما يفعله بعض الجهلة.
- الحكم بأن القسم الذي يقسم الله به قسم عظيم.
 - وجوب تعظيم القرآن، وعدم تدنيسه، ووجوب التطهر قبل مسّه، ويشمل ذلك: تحريم امتهانه بأي صورة، فمن فعل ذلك عامداً فهو كافر.
 - تحريم مداهنة المعادين للإسلام وممالاتهم، ويشمل ذلك في هذا الزمان: اعتساف النصوص بقصد التفاهم معهم، وترضييتهم بالتنازل عن كثير من فروع الشريعة وثوابتها ومسائلها، بحجة حسن العلاقة معهم، كما يشمل ذلك: المداهنة، وعدم الأمر بما يجب الأمر به من أمور الدين، أو المداهنة خشية قوة العدو، ونحو ذلك مما يؤدي إلى إضعاف الدين، كما قال-تعالى:-
- ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَديمِينَ﴾
- [المائدة: ٥٢].

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ
مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ .

بيان الآيات:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلق
﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ أي: تنظرون إلى المحتضر، ولا
تستطيعون أن تعملوا له شيئاً.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي: بقدرتنا وعلمنا، وقيل: المراد
الملائكة الذين يقبضون الروح ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا
ترونهم ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: إن كنتم غير مصدقين
بالبعث، وأنكم تجزون، وتحاسبون على أعمالكم، كما أخرج الطبري
بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ
مَدِينِينَ﴾ قال: «غير محاسبين».

﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ فارجعوا النفس إلى الجسد الذي خرجت منه ﴿إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما زعمتم من عدم بعثكم، وعدم مجازاتكم على
أعمالكم.

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير أن الملائكة الموكلين بقبض الأرواح أقرب إلى من يحتضر ممن حوله من أسرته أو أصدقائه.
- أن الإنسان لا يرى الملائكة إلا إذا كانوا في صورة الإنسان، أما إذا كانوا في صورتهم الملائكية فلا يستطيع أحد رؤيتهم.
- أن الله تحدّى المنكرين والمكذبين بالبعث أن يردوا الروح إلى البدن الذي خرجت منه.

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ٨٨ ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾
 ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ٩٠ ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ
 الْيَمِينِ ﴾ ٩١ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴾ ٩٢ ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ
 حَمِيمٍ ﴾ ٩٣ ﴿ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴾ ٩٤ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ ٩٥ ﴿ فَسَبِّحْ
 بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ٩٦ .

بيان الآيات:

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ أي: إن كان المحتضر من المقربين، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات، فهؤلاء هم الأعلى درجة ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ أي: لهم

راحة كبرى من الدنيا، وريحان أي: رزق حسن، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿فَرَوْحٌ﴾ قال: «راحة، وقوله-تعالى-: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ قال: الرزق».

﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٍ﴾ فتبشرهم الملائكة بما أنعم الله عليهم، وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-عن النبي-ﷺ-قال: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة!، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء، فلا يُفتح لها»^(١).

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: المحتضر من أصحاب اليمين، وهم الذين فعلوا الواجبات، وتركوا المحرمات، وحصل منهم شيء من التقصير الذي لم يؤثر على إيمانهم ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: تبشره الملائكة، وتقول له: سلام لك من

(١) أخرجه ابن ماجه، السنن، (رقم ٤٢٦٢)، الزهد، باب ذكر الموت، والاستعداد له، قال البوصيري: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، مصباح الزجاجة، (٣٤٩/٢)، وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه، (٤٢٠/٢)، وأخرجه الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، المستدرک، (١/٣٧-٤٠).

إخوانك أصحاب اليمين ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ أي: كان المحتضر من الذين كذبوا بالحق لما جاءهم، وضلوا عن سواء السبيل .

﴿فَنُزِّلُ﴾ أي: ستكون ضيافته ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: الماء الشديد في حرارته ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي: له نار جهنم يصلهاها ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: إن هذا الذي ذكرناه عن حال المحتضرين الثلاثة لهو القول الحق اليقين، الذي لا مرأى فيه، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ قال: «الخبر اليقين».

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لما ذكر الله -وَجَلَّ- أحوال السابقين والمقربين والمكذبين عند احتضارهم أمر رسوله محمداً -ﷺ-، وهو أمر لأُمته-أن يسبح باسمه، ويقدسه، فهو العظيم في ملكوته، العزيز في سلطانه، المستحق وحده للتسبيح بحمده في الركوع والسجود، وفي كل لحظة من اللحظات.

أحكام وفوائد الآيات:

- فضل السابقين من المؤمنين الذين أجهدوا أنفسهم في فعل ما أوجب الله عليهم، واجتنبوا ما حرم عليهم، كما اجتنبوا ما كره لهم

أن يفعلوه، وتورعوا عن بعض المباحات، فاستحقوا بذلك صفة السابقين.

- فضل أصحاب اليمين الذين أدوا الواجبات، واجتنبوا المحرمات، وتمسكوا بإيمانهم، واستقاموا على طاعة الله، ولو حصل منهم شيء من التقصير الذي لم يتعمدوه، فهم كما قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزْلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

- تقرير عذاب المكذبين الذين كفروا بالله، وجادلوا بالباطل، واتبعوا أهواءهم، وصدوا عن سبيل الله.

- فضل التسبيح والتحميد والتكبير لله - عز وجل -.

- بيان عجز كل الناس أمام قدرة الله - تعالى -.

- أن في الآيات دلالة على أن الروح بعد مفارقة البدن إما مُنْعَمَةٌ أو مُعَذِّبَةٌ

- أن مَقَرَّ أرواح المؤمنين الجنة، ومَقَرَّ أرواح الكفار في النار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحديد

مدنية، وآياتها تسع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝
۝۳﴾.

بيان الآيات :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله -عز وجل- أن كل من في السماوات والأرض من الملائكة، والإنس، والجن، والحيوانات، والطيور، والنباتات، وسائر المخلوقات تسبح بحمده، وتقدس، وتنزهه عن سائر النقائص.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: القوي في ملكوته وسلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وتصريفه لكل ما في ملكوته من المخلوقات ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو المالك لهما، والمتصرف فيهما، والمدبر لهما بحكمته وسلطانه، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو الذي يحيي

الخلائق في آجالها، ويميتها في آجالها ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
أي: قدير على كل شيء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ﴾ أي: هو ﴿الْأَوَّلُ﴾ الذي ليس له سابق ﴿وَالْآخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء، كما قال-تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠]، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: أحاط بكل شيء في ملكوته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر ولا أكبر من ذلك.

أحكام وفوائد الآيات:

- الحكم بأن كل من في الكون يسبح بحمد الله، كما قال-تعالى-:
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وللتسبيح فضل عظيم، ففي الصحيح عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله-تعالى-: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، (رقم ٧٥٦٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء (رقم ٢٦٩٤).

- الحكم بأنه لا أحد قبل الله، ولا أحد بعده، ولا أحد فوقه، ولا أحد دونه، وأن علمه قد أحاط مطلقاً بكل ما في الكون.
- فضل التسبيح، وأفضله: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم^(١).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝﴾.

بيان الآيات:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هذا بيان من الله-عز وجل-أنه خلق السماوات والأرض، وكونهما في ستة أيام متتالية ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: استوى عليه بعد خلقهنَّ

(١) أيسر التفاسير، (٤/٢٠٣).

استواء لا نعلم كيفيته، ولكنه استواء يليق بجلاله وعظمته.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ما يدخل فيها من الأموات والأقطار ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: من النبات ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: ما ينزل منها من المقادير والأمطار والرياح ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الملائكة والأعمال ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أي: رقيب وحفيظ وشاهد عليكم بعلمه وقدرته، ومن قال: إنه كذاته فقد ضل ضللاً مبيناً.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند حسن عن مقاتل بن حيان قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من المطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من القطر ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ما يصعد إلى السماء من الملائكة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني بقدرته وسلطانه وعلمه معكم أينما كنتم^(١)، وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ قال: «هو على العرش، وعلمه معهم»^(٢).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: بصير بأعمالكم، لا تخفى عليه

(١) مجموع الفتاوى، (٥/٤٩٧-٤٩٨)، وسنده حسن.

(٢) مجموع الفتاوى، (٥/٤٩٥-٤٩٦)، ورجاله ثقات، وسنده حسن.

منها خافية ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: المالك المتصرف فيهما، وكل من فيهما عبيده، وتحت تصرفه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: إليه المآل والمصير يوم القيامة.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، في تعاقب محكم، لا يتغير، ولا يتبدل ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما تكنه القلوب من الأسرار والوساوس والنيات.

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير أن مدة خلق السماوات والأرض كانت ستة أيام، وأن الله يعلم بعلمه المطلق ما يدخل في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، كما قال-عز وجل-: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

- أن في الآية (٤) إخباراً مستقبلياً عن عِلْمِ الله المطلق في الماضي والحاضر والمستقبل، فهو يعلم ما يدخل في الأرض من حَبٍّ ومطر

وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزروع وثمار، وما ينزل من السماء من مطر وغيره، وما يعرج فيها من الملائكة والأعمال، وهو- سبحانه- بعلمه مع خلقه، أينما كانوا، وهو بصير بأعمالهم التي يعملونها، وسيجازيهم عليها.

- أن الله يكون بعلمه مع خلقه، في برهم وبحرهم، ومنامهم ويقظتهم، وسرهم وعلاانيتهم، كما قال- تعالى-: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، ولما سأل جبريل رسول الله -ﷺ- عن الإحسان قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

- الحكم بملكية الله للسموات والأرض ومن فيهن من المخلوقات كافة، كما قال- عز وجل-: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ٩٥﴾ [مريم: ٩٤-٩٥].

- أن في الآية (٦) إخبارًا مستقبليًا عن علم الله المطلق في الماضي والحاضر والمستقبل، كيف لا وهو يعلم بما في صدور خلقه؟.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي -ﷺ- عن الإسلام والإيمان والإحسان، (رقم ٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الإيمان، ما هو؟، وبيان خصاله، (رقم ٩).

﴿عَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ
 قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ
 مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ
 بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ
 رَحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكَ
 أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ
 الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾

بيان الآيات:

﴿عَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لما بين الله - جل وعلا - قدرته العظيمة
 في خلق السماوات والأرض، وإيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار
 في الليل، وبين ملكيته المطلقة للسماوات والأرض ومن فيهن، أمر
 عباده المؤمنين أن يؤمنوا به وبرسوله، وذلك بأن يزدادوا إيماناً مع
 إيمانهم؛ ليكون ذلك زيادة في أجورهم، كما أمر من لم يؤمن أو

كان منافقًا أن يتوب إلى الله من كفره أو نفاقه، ويؤمن إيمانًا صادقًا بما أوجب الله عليه من الإيمان به وبرسوله.

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي: أنفقوا من المال

الذي منحكم الله، واستخلفكم فيه، وهذا الإنفاق إما أن يكون على سبيل الزكاة المفروضة، وإما أن يكون من الصدقة على الفقراء والمحاويج.

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا وعد من

الله بأن من آمن بالله، وصدق رسوله، وأنفق مما هو مستخلف فيه، له أجر كبير.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ

وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ هذا استفهام إنكاري،

والمراد: لماذا لم تؤمنوا بالله والرسول بين ظهرانیکم، يبين لكم الآيات والأدلة والبراهين الدالة على وجوب الإيمان بالله ورسوله، مع ما أخذ عليكم من الميثاق، وأنتم في صلب أبيكم آدم؟.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: أن الله هو

الذي أنزل على عبده الآيات الواضحات ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ ﴿٤٣﴾ أي: ما كان الله لينزل هذه الآيات إلا لمنفعتكم، وهي إخراجكم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: إن الله رؤوف ورحيم بكم حين أرسل لكم الرسول معه البينات؛ ليكون في ذلك نجاتكم من العذاب.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذا الاستفهام للتوبيخ، والمراد: لماذا أيها المؤمنون لا تنفقون في سبيل الله، وهو الذي أعطاكم المال؟ ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أن أموالكم وما تملكون ملك له، فإذا أنفقتُم من ماله في سبيله ضاعف عطاءه لكم.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ الفتح: فتح مكة، أو صلح الحديبية، والمراد: أن من أنفق، وقاتل قبل الفتح أفضل من الذي أسلم بعده؛ ذلك أن الذي أنفق، وقاتل قبل الفتح عانى من المشركين الكثير من الأذى، فكان أجره أعظم، ولهذا قال- تعالى:- ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا﴾، ثم قال- عز وجل:- ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: وعد الله المنفقين قبل الفتح والمنفقين بعده بالجنات، وإن كان بينهم

بعض التفاوت بسبب الأسبقية ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بما تنفقون من أموالكم، وخبير بنواياكم وأعمالكم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ أي: أن من ينفق في سبيل الله ابتغاء مرضاته فإن الله سيضاعف ما ينفقه إلى سبعة ضعف ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: يوفى أجره يوم القيامة، وذلك بإدخاله في جنات النعيم.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب الإيمان بالله ورسوله قولاً وعملاً وتصديقاً، فإن كان العبد مؤمناً بالله ورسوله وجب عليه تثبيت إيمانه وزيادته، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وإن لم يكن العبد مؤمناً أصلاً، أو كان منافقاً وجب عليه التوبة مما هو فيه قبل حلول أجله.

- وجوب الإنفاق في سبيل الله، وذلك بإخراج الزكاة، والصدقة على الفقراء، وكل نفقة في سبيل الله كالجهاد، وتعليم العلم، ومداواة المرضى، ونحو ذلك من أعمال البر.

- تقرير فضل الأسبقية في عمل الخير من جهاد ونفقة ونحو ذلك، كما قال-تعالى:- ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

- مضاعفة الحسنة إلى سبعة ضعف في الإنفاق في سبيل الله، كما قال-تعالى:- ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

- أن الإنفاق في الشدائد والحرب أفضل منه في اليسر والعافية.

- أن في الآية (٧- ١١) إخباراً مستقبلياً عن عِظَمِ أَجْرِ المنفق في سبيل الله محتسباً من قلبه بلا مَنْ ولا أذى، فَإِنَّ الله سيضاعف له الأجر والثواب.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَتُ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظِرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا
بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ
الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا
يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ
مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ لما ذكر الله - عز وجل - في الآية
السابقة عن مضاعفة القرض والأجر الكبير للمقرض، ذكر حال
المؤمنين والمؤمنات يوم القيامة، يتقدمهم نورهم حسب أعمالهم،
فيضيء لهم طريقهم إلى الجنة التي وعدهم الله بها، فتبشرهم الملائكة
بما أُعِدَّ لهم فيها من ثواب الله ونعيمه جزاء إيمانهم وأعمالهم
الصالحة في الدنيا، كما قال - تعالى -: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا ﴿١﴾ أَي: مقيمين فيها أبداً ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢﴾ أَي: أن دخول الجنة هو الفوز الذي لا فوز بعده إلا رؤية الرحمن، كما أخرج الحاكم بسند حسن عن ابن مسعود في قوله-تعالى:- ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ ﴿٣﴾ قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نورا من نوره على إبهامه يطفى مرة، ويقد أخرى^(١).

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ ﴿٤﴾ المنافقون والمنافقات هم الذين كانوا يظهرُونَ في الدنيا بمظهر الإيمان، وهم كفرة في دواخلهم، ففي عرصات القيامة يجعل الله للمؤمنين والمؤمنات نوراً بين أيديهم وبأيمنهم، ويجعل للكافرين ظلاماً من بين أيديهم وشمالهم، فيذهبون إلى المؤمنين والمؤمنات يطلبون منهم الاقتباس من نورهم؛ لإزالة ظلمتهم ووحشتهم.

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ﴿٥﴾ أَي: يقول لهم المؤمنون والمؤمنات على سبيل التوبيخ: ارجعوا إلى ظلمتكم، فالتمسوا منها النور؛ لأن النور الذي تطلبونه الآن قد ضيعتموه في الدنيا بسبب

(١) المستدرک، (٢/٤٧٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

نفاقكم وكفركم، فالיום ليس لكم إلا الظلام.

﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ أي: وضع حينئذ حاجز بين الجنة والنار، كما قال-تعالى:- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ قال: «كالحجاب في الأعراف»، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ قال: «السور: حائط بين الجنة والنار».

﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: الجنة ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ أي: النار ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: يقول المنافقون للمؤمنين: ألم تكن معكم نصلي الصلوات، ونحضر الجمع والجماعات، ونتصدق كما تتصدقون؟، فيرد عليهم المؤمنون بقولهم: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالنفاق والتلبيس على الناس بظهوركم بمظهر الإيمان، وأنتم على خلاف ذلك ﴿وَتَرَبَّصُّمُ﴾ أي: كنتم تنتظرون النوائب بالمؤمنين ﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾ أي: شككتم بالبعث والحساب ﴿وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَانِيَّ﴾ أي: غرتم الدنيا وزينتها، ونسيتم الآخرة، وأخرج ابن أبي حاتم بأسانيد ثابتة عن قتادة في

قوله-تعالى:- ﴿وَتَرَبَّصْتُكُمْ﴾ قال: «تربصوا بالحق وأهله وقوله: ﴿وَأَرْتَبْتُكُمْ﴾ قال: كانوا في شك من الله، وقوله-تعالى:-: ﴿وَعَرَّيْتُكُمْ الْأَمَانِيَّ﴾ قال: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار».

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: عاجلكم الموت ﴿وَعَرَّيْتُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي: خدعكم الشيطان، وزين لكم ما كنتم تعملون ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في هذا اليوم لا يؤخذ منكم ولا من الذين كفروا فدية أي: مال تفتدون به أنفسكم من العذاب.

﴿مَأْوَانِكُمُ النَّارُ﴾ أي: هي مصيركم ومرجعكم ﴿هِيَ مَوْلَانِكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: تعس المقام.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن من بشائر السعادة لأهل الإيمان قبل دخول الجنة: تَلَقَّى الملائكة لهم، وإعطائهم كُتُبَهُم بأيمانهم، وسطوع نورٍ عالٍ يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، يتقدّمهم على الصراط إلى الجنة.

- أن للمؤمنين في عرصات القيامة نوراً يمشي بين أيديهم وبأيمانهم،

وهم على الصراط، وأن الملائكة تبشرهم بمقامهم في الجنة، وخلودهم فيها.

- أن المنافقين يستنجدون في يوم القيامة بالمؤمنين الذين كانوا يعرفونهم في الدنيا؛ لمساعدتهم في الاقتباس من نورهم بسبب ما هم فيه من الظلمة والوحشة، فيسخرهم منهم.

- أن من صفات المنافقين: ظهورهم للناس بمظاهر الإيمان، وهم في دواخلهم كاذبون، كما قال-تعالى-: ﴿يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، ومنها: تربصهم الدوائر بالمؤمنين، والانقضاض عليهم إذا تعرضوا للنوائب، وارتيابهم بالبعث والحساب، ومن صفاتهم: اغترارهم بالحياة الدنيا ومباهجها، واستجابتهم لأمر الشيطان، وما زينه لهم من النفاق.

- تقرير أنه في ذلك اليوم العظيم يوم القيامة ينتفي الفداء، وتنتفي الشفاعة إلا للمؤمنين، أما الكافرون فيلاقون العذاب.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ٥٦ أَعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ .

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ المراد: ألم
يجئ الوقت الذي تلين فيه قلوب المؤمنين، فتخشع قلوبهم عند سماع
المواعظ والآيات والوعيد ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ؟ وهو كلام الله،
فيتعظوا بما فيه من المواعظ، ويستشهدوا بما فيه من الهدى ﴿وَلَا
يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي: لا
يكونوا كاليهود والنصارى لما تطاول عليهم الزمان، وغرتهم الحياة
الدنيا ومفاتنها نسوا ذكر الله ومواعظه وآياته، فأصبح الإيمان يزول
من قلوبهم شيئاً فشيئاً ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم يعودوا يقبلون
موعظة، ولا ينتفعون بذكر من أذكّار الله وآياته ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
فَلَسِقُونَ﴾ أي: تاركون للحق، متبعون للباطل.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: أن الله برحمته
ورأفته بعباده يحيي الأرض التي أصبحت بمثابة الميتة بعد أن يبس
نباتها بعد انقطاع الغيث عنها، فكما أنه- عز وجل- يحيي هذه الأرض

بإنزال الغيث عليها، فهو يلين القلوب إذا خشعت لذكره، ويزيل عنها غشاوة الغفلة إذا استذكرت ما نزل من آيات الله وبراهينه، كما قال- عز وجل:- ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

أحكام وفوائد الآيتين:

- وجوب خشوع قلب المؤمن لذكر الله، والتحذير من اللهو الذي يغشى القلب، فينسيه ذكر الله.
- أنه صَحَّ عن ابن مسعود-رضي الله عنه- أنه قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أربع سنين»^(١).
- التحذير من الغفلة، ونسيان ذكر الله، وما عنده من نعيم، وما لديه من نكال وعذاب.
- أن الأرض الميتة كما تحيا بنزول الغيث عليها فإن القلوب تحيا بذكر الله، وتلاوة كتابه، وتدبر آياته وأوامره ونواهيه.
- تحذير المؤمنين من مشابهة من سبقهم من أهل الكتاب الذين طال عليهم الزمان وهم في غفلة عن ذكر الله، فأصبح إيمانهم يتناقص

(١) صحيح مسلم، التفسير، باب في قوله-تعالى:- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، (رقم ٣٠٢٧).

شيئاً فشيئاً، حتى صار أكثرهم فاسقين، معادين للحق، متبعين للباطل، كما قال-تعالى- في حقهم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعَّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ أي: أن الذين يتصدقون على الفقراء والمساكين والمحاويج ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: كانت صدقاتهم بنية خالصة لله، ليس فيها من ولا أذى ﴿يُضَعَّفُ لَهُمْ﴾ أي: تضاعف لهم أجورهم، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: سيكون لهم أجر وثواب عظيم.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: أن الذين آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد-ﷺ- نبياً ورسولاً ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ

الصَّادِقُونَ ﴿٥٤﴾ أي: الذين اكتسبوا هذه المرتبة العالية عند ربهم ﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ ﴿٥٥﴾ هذا كلام مبتدأ أي: أن للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أجرهم ونورهم أي: ثوابهم ومقامهم في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

أي: الذين كفروا بالله، وكذبوا آياته سوف يلاقون العذاب الأليم.

أحكام وفوائد الآيتين:

- تقرير فضل الصدقة، كما قال-عز وجل-: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]. وفي حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة.. الحديث»^(١).

- أن مرتبة الصديقين أعلى مرتبة من الشهداء، ولهذا قَدَّمهم عليهم في الآيتين.

- أن الذين يتصدقون على المحاويج، ويقرضون أموالهم في طاعة الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه، (رقم ٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، (رقم ٢٥٨٠).

تضاعف أجورهم، وأن الذين يؤمنون بالله ورسوله هم الصديقون والشهداء، والمؤمنون بالله ورسوله، فيكون الصديق أعلى رتبة من الشهيد؛ لما رواه أبو سعيد الخدري أن رسول الله -ﷺ- قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم! قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين»^(١).

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَلًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٥٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥١﴾﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة، (رقم ٣٢٥٦)، ومسلم في كتاب صفة الجنة، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء، (رقم ٢٨٣١).

بيان الآيتين:

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ

بَيْنَكُمْ﴾ لما بين الله -جل وعلا- في الآية السابقة فضل الذين يؤمنون

بالله ورسله، وما أعدّه لهم من الأجر العظيم، ذكّر المؤمنين، وعلمهم

أن الحياة الدنيا مجرد لعب ولهو، أي: تسلية عارضة، وزينة مؤقتة،

لا بد أن تزول ﴿وَتَكَائُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: مباهاة فيها

بكثرة المال والولد، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ أي: أن

مثل الحياة الدنيا كمثل غيث أعجب الكفار -أي: الزَّرَاعَ- نباته بعد

نزول الغيث عليه .

﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ أي: يتغير لونه،

فيصير مصفرًّا، ثم ما يلبث أن يكون حطامًا أي: يبسًا بعد أن كان

خضرًا نضراً، وهذا هو مثل الإنسان في الحياة الدنيا، حيث يولد، ثم

يتطور في مراحل، حتى يصير شابًّا، ثم يصير كهلاً، ثم شيخًا، ثم

ينتهي بانتهاء أجله ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانٌ﴾ أي: ليس في الآخرة إلا عذاب شديد لأهل الشرك والمعاصي

الذين كفروا بآيات الله ورسوله، وغرتهم الحياة الدنيا، ومغفرة من

الله ورضوان للمتقين الأبرار الذين فضلوا الحياة الآخرة على الحياة

الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: ليست الحياة إلا متاعاً زائلاً، يغتر بها السفهاء.

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا أمر من الله - عز وجل - لعباده أن يتسابقوا إلى فعل الطاعات، وترك المنهيات، وأن يتسابقوا كذلك إلى التوبة من ذنوبهم، حتى يغفر الله لهم، ويدخلهم الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: هيئت للذين آمنوا بالله إيمان حق وصدق، واتبعوا رسوله محمداً - ﷺ -، واثتمروا بما أمرهم به، وانتهوا عما نهاهم عنه.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: أن من حصل له هذا الإيمان فقد وفقه الله إلى هذا الفضل ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: المتفضل على عباده بجوده وكرمه ورحمته لهم.

أحكام وفوائد الآيتين:

- أن الحياة الدنيا مجرد لهو ولعب، سرعان ما يزول دون أن يستفيد منه صاحبه بشيء، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ﴿٢٤﴾ [يونس: ٢٤]، وهذا يقتضي عدم الاغترار بها.

- ذم التباهي بكثرة المال والولد، كما قال- تعالى:- ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

- أن المعيار في الحياة الآخرة إما النعيم جزاء الإيمان، وإما العذاب جزاء الكفر.

- الحث على المسارعة إلى فعل الأعمال الصالحة؛ للفوز بالجنة.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾.

بيان الآيات:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: ما حدث من حادث في الأرض، من قحط، أو غرق، أو زلزال، أو خسف، وما أصاب العبد من مصيبة في نفسه كمرضه، أو فقد ذريته، أو ذهاب ماله، إلا وقد كتبه الله في كتاب المقادير قبل خلق الخلق، كما قال-تعالى:- ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ أي: قبل خلقها.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل على الله-عز وجل-، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «أما مصيبة الأرض فالسنون، وأما ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ فهذه الأمراض والأوصاب ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ من قبل أن نخلقها».

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ ولأن الله قدر المقادير، وكتبها في اللوح المحفوظ، فقد وجب عدم الأسى على ما فاتكم مما تحبون، فقد يكون في فواته خير لكم ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي: لا تفرحوا فرح بطر بما آتاكم من المال أو الولد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: لا يحب كل متكبر يتباهى بما أوتي من المال أو الولد، ويتناول بذلك على الناس.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ كما لا يحب الله صنفين من الناس، هما: الذين يبخلون بما يجب عليهم الوفاء به، كإيتاء الزكاة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والذين يأمرون الناس بالبخل، أي: يمنعونهم من الوفاء بما يجب عليهم، فإثمهم في هذا أكبر؛ لأنهم لا يكتفون ببخلهم أنفسهم، وإنما يأمرون غيرهم بالبخل ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: من يعرض عن عبادة الله وطاعته بالإتفاق في سبيله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: الغني في ذاته وقوته وقدرته، وعدم حاجته إلى خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ أي: المحمود من خلقه على إنعامه وفضله عليهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب الإيمان بالقدر، كما قال -عَلَيْهِ السَّلَام-: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وفي حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»، وقال: «عرشه على الماء»^(١).

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى -عليهما السلام-، (رقم ٢٦٥٣).

- النهي عن الأسى على ما فات الإنسان في دنياه؛ لقول رسول الله - ﷺ -: « لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه »^(١).

- النهي عن فرح الإنسان بما أوتي من نصيب الدنيا، كما قال قوم قارون له فيما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]، والمراد من النهي عن الأسى والفرح إذا كانا يؤديان إلى فعل ما هو منهي عنه أصلاً، كاليأس والقنوط من رحمة الله عند نزول النوائب، أو الفرح الذي يؤدي إلى الفساد، كتبذير المال في أعمال السفه.

- تحريم الاختيال والفخر والتباهي، كما قال- عز وجل -: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقال- عز ذكره -: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان: ١٨].

- ذم البخل بما يؤدي إلى منع الحقوق عن أصحابها، والمنع عن الإنفاق في سبيل الله؛ لأن سوء عاقبة البخل ترتد إلى صاحبه، أما

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي عاصم في السنة، (رقم ٢٥٤)، من حديث أنس، وأخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر: خيره وشره، (رقم ٢١٤٤)، من حديث جابر، وصححه الألباني.

الله فهو غني عن خلقه وإنفاقهم، كما قال- عز وجل-: ﴿مَنْ يَبْخُلْ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥).

بيان الآية:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: أرسلنا معهم المعجزات والبراهين القاطعة ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهي: الكتب التي تحمل أحكام الله ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: العدل الذي جاءت به الرسل والكتب ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: يقوموا باتباع الرسل فيما أمروهم به، ويعدلوا فيما بينهم في تعاملهم ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: كما أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، أنزل الحديد فيه قوة ومنافع عظيمة؛ ذلك أن الله أمر رسله- ومنهم نبينا ورسولنا محمد- ﷺ- بإبلاغ الناس بوجوب توحيده، وطاعته، واتباع شرعه،

ولكن الإنسان قد يتبع هواه، فلا يَأْتَمِرُ بأمر، ولا ينتهي عن نهْي، بل يحارب الرسل، وينازعهم، ويؤذيهم، كما فعل المشركون معه-عليه الصلاة والسلام-، وهو يدعوهم في مكة ثلاث عشرة سنة إلى أن أمره الله بالجهاد، ولهذا شرع الله الجهاد، وهذا لا يكون إلا بآلات الحرب التي تصنع من الحديد، كالسيوف، والرماح، والدروع وغيرها، إلى أن تطورت، فأصبحت كما يراها الإنسان طائرات، ومدافع، وصواريخ، وقنابل، كل ذلك من الحديد الذي سخره الله للإنسان ﴿وَمَنْفِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي: وفي الحديد كذلك منافع للناس في معاشهم وأحوالهم، مما هو معلوم لهم ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: بإنزال الحديد يعلم الله من ينصرونه بالدفاع عن شرعه، وينصرون رسله بتصديقهم، والإيمان بما جاؤوا به، وهم لم يروههم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: قوي في أخذه للظالمين، عزيز في ذاته العلية، وغالب على أمره.

أحكام وفوائد الآية:

- بيان فضل الله على خلقه بأن بعث فيهم الأنبياء، وأرسل لهم الرسل يبينون لهم طريق الهدى، ويأمرونهم بما فيه نفعهم في الدنيا والآخرة.

- بيان هذا الفضل بإنزال الكتب التي تبين للخلق شرائع الله وأحكامه؛ ليكونوا على بينة من أمرهم، كما قال- عز وجل:-
﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾
 [الأنفال: ٤٢].

- تقرير منافع الحديد للإنسان، وهذه المنافع لا تحصى، فمِنذ أن خلق الله خلقه وهم ينتفعون بهذه المادة في معاشهم، وفي سفرهم وإقامتهم، وسائر شؤون حياتهم، وقد تطور هذا الانتفاع مع مرور الزمان إلى الحد الذي يعرفه الإنسان اليوم، متمثلاً في الطائرات، والسفن والسلاح، وأنواع البضائع، وغير ذلك مما لا يحصى من المنافع.

- تمثل عملية إنزال الحديد إلى الأرض، وتمايزها إلى سبع أرضين واحدة من أخطر العمليات في تاريخ الأرض، فلولا هذه العملية ما كانت الأرض صالحة للعمران، ولولا الحديد في لب الأرض ما كان لها مجال مغناطيسي، ولولا المجال المغناطيسي للأرض ما استطاعت الإمساك بغلافها المائي، ولا بغلافها الهوائي، ولا بمختلف صور الحياة على سطحها.

- أن في الآية (٢٥) إخباراً مستقبلياً، وبياناً للحكمة من إرسال الرسل

بالحُجَجِ الواضحات، وإنزال الكتاب معهم بالأحكام والشُّرائع،
وإنزال الميزان، كل ذلك كي يتعامل الناس بينهم بالعدل.

- تَبَيَّنَ للباحثين بعد دراسات تحليلية للآثار الراسخة في صخور
الأرض ومعالجات مخبرية لمحتوياتها أَنَّ المكونات الأساسية للحياة
في الأرض إنما نزلت من السماء، وأنها ألحقت بتركيبه الأرض بِفِعْلِ
القَذَفَات النيزكية التي كانت تأتي من الفضاء، وكشفت دراسات
دقيقة عن مكون مهم للنيازك، هو هيدرات الحديد الذي أنزل مع
هذه الأجسام إنزالاً ملموساً في شكل مركب حديد وماء
وأوكسجين^(١).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى
عَائِثِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا
عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَءَاتَيْنَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

(١) مجلة الإعجاز العلمي، العدد (٣٨)، ربيع الآخر ١٤٣٢هـ، (ص ٣٩).

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ لما بين الله - عز وجل - في الآية السابقة أنه أرسل الرسل والكتب بين أنه أرسل نوحًا وإبراهيم، ثم أرسل الأنبياء والرسل من ذريتهما وسلالتهما، وآخرهم عيسى ابن مريم الذي بشر بأن محمدًا - ﷺ - سوف يأتي بعده ﴿فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: من ذريتهما أناس مهتدون اتبعوا سننهما، ومنهم فاسقون - وهم الكثير - عصوهم، واتبعوا غير سبيلهما .

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: أتبعنا على آثار نوح وإبراهيم برسل أرسلوا واحدًا بعد الآخر، حتى عيسى ابن مريم.

﴿وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ أي: أنزلناه عليه ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي: شفقة ومودة بينهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعوا مغلاة في الدين من عند أنفسهم، وأخرج أبو داود بسند ثابت عن أنس: أن رسول الله - ﷺ - كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا

على أنفسهم، فشد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾^(١)، وقد خلف من بعدهم قوم ممن غير الكتاب، فقالوا: نسيح، ونتعبد كما تعبد أولئك، وكانوا جهلة، لا علم لهم بإيمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم، فتفرغوا للعبادة في الصوامع والأديرة، ولكنهم على جهل وضلال، فلم ينتفعوا بالرهبة.

قوله: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لم يكتبها الله عليهم؛ لأن فيها تشديداً على أنفسهم، والله لا يشدد على عباده ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ أي: ما ابتدعوها إلا طلباً لرضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: لم يرعها المتأخرون حق رعايتها ﴿فَعَائِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي: أعطينا المؤمنين الأوائل الذين فروا بدينهم أجورهم ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَلَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الطاعة، أي: الذين جاؤوا من بعدهم.

أحكام وفوائد الآيتين:

- أن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب لهداية الناس إلى ما فيه نفعهم

(١) صحيح سنن أبي داود، (٢٧٦/٤-٢٧٧)، كتاب الأدب، باب الحسد، (رقم ٤٩٠٤).

في دينهم ودنياهم، فمنهم من اتبع الحق الذي جاءت به الرسل، ومنهم من اتَّبَعَ الباطل، وكذب ما جاؤوا به.

- أن كل محدثة بدعة.

- مشروعية العزلة عن الناس إذا فشا فيهم الفسق والظلم، ولا يستطيع العبد تغييره، أما إن كان الاختلاط بهم لا يؤثر عليه في دينه فهو أفضل من اعتزالهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المراد بهم الذين آمنوا بموسى وعيسى
﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ أي: اتقوا الله في أنفسكم، وآمنوا
برسوله محمد - ﷺ - ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: يعطكم
أجرين عن إيمانكم بنبيكم، وإيمانكم بمحمد - ﷺ -، كما أخرج

الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال: «ضعفين».

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ أي: يجعل لكم نوراً تمشون به يوم القيامة إلى الجنة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما سبق من ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر ذنوب عباده إذا تابوا إليه، ويرحمهم من عذابه.

﴿لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ (لا) صلة تؤكد الكلام بعدها، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: لا يستطيعون منع ما يعطيه الله، ولا عطاء من يمنح الله عطاءه ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: ليس بأيدي أهل الكتاب، فيجعلوا النبوة في غير محمد-ﷺ؛ ذلك أن سبب عدم إيمانهم به-عليه الصلاة والسلام-هو حسده، وحسد أُمته على هذا الشرف الرفيع والمنزلة العظيمة ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: هو صاحب الفضل على خلقه، والمنعم والمتفضل عليهم.

أحكام وفوائد الآيتين:

- تقرير نداء الله لأهل الكتاب أن يؤمنوا برسول الله محمد - ﷺ -:
 ليحصل لهم أجر إيمانهم به، وأجر إيمانهم بأنبيائهم، ولكنهم
 أعرضوا عن ندائه، فلم يكن في ذلك خير لهم في الدنيا ولا في
 الآخرة.

- أن أهل الكتاب لا يقدرّون على منع النبوة عن محمد - ﷺ -، وأن
 عدم إيمانهم بهذه النبوة سيكون وبالاً عليهم وخسراناً لهم في
 الآخرة.

- أن في الآية (٢٨) إخباراً مستقبلياً عن جزاء مَنْ خاف عقاب الله،
 وآمن برسوله، فإنَّ الله - ﷻ - سيؤتيه ضعفين من رحمته، ويجعل
 له نوراً يهتدي به، ويغفر له ذنوبه.

- أن من لم يؤمن بنبوة ورسالة محمد رسول الله - ﷺ - فلا إيمان له،
 ولو كان مؤمناً بدينه ونبيه؛ لقول الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل
 عمران: ٨٥].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المجادلة

مدنية، وآياتها ثنتان وعشرون آية

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١﴾

بيان الآية:

ثبت عن خويلة بنت ثعلبة-رضي الله عنها-قالت: «والله فيّ وفي أوس بن صامت-رضي الله عنه-أنزل الله سورة المجادلة. قالت: كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً، قد ساء خلقه، وضجر. قالت: فدخل عليّ يوماً، فراجعته بشيء، فغضب، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، قالت: ثم خرج، فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ، فإذا هو يريدني على نفسي-. قالت: فقلت: كلاً، والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ، وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. قالت: فواثبني، وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني. قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-. فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه-

ﷺ- ما ألقى من سوء خُلِقَ، قالت: فجعل رسول الله- ﷺ- يقول: «يا خويلة! ابنُ عمِّك شيخ كبير، فاتقي الله فيه»، قالت: فوالله ما برحْتُ حتى نَزَلَ في القرآن، فتغشى رسول الله- ﷺ- ما كان يتغشاه، ثم سُرِّي عنه، فقال لي: «يا خويلة! قد أنزل الله فيك وفي صاحبك»، ثم قرأ عليّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: سمع قول المرأة في زوجها، ومجادلتها فيما فعل بها ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: تجأ إليه بحالها ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي: يسمع ما كان يجري بينكما من التهاور في شأنها ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: يسمع أقوال عباده وشكاواهم، وهو بصير بأحوالهم.

أحكام وفوائد الآية:

- إجابة الله لعباده، وسماعه لشكاوهم، كما قال- تعالى:- ﴿وَإِذَا

(١) أخرجه الإمام أحمد، المسند، (٦/٤١٠-٤١١)، وأخرجه أبو داود مختصراً، السنن، الطلاق، باب: في الظهار، (رقم ٢٢١٤)، وذكره ابن كثير، وسنده حسن، ثم قال: «هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة، (٦٢/٨).

سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾

[البقرة: ١٨٦].

- أن الله يسمع ما يجري بين عباده من القول.
- تكرير لفظ الجلالة ثلاث مرات في الآية؛ وذلك لتربية المهابة، وإثارة تعظيم مَنَّتِهِ - تعالى -، ودواعي شكره.
- أن ظهار أوس من خولة كان أولَ ظهارٍ في الإسلام.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ ﴿١٨٧﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَم مِّنْكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٨﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُتِمُّوا بِإِلَهِهِمْ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٩﴾

بيان الآيات:

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ﴾ الظهار: مشتق من

الظهر، وكان الجاهلي إذا أراد طلاق امرأته قال: أنت عليّ كظهر أمي ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ أي: ليست زوجة الرجل أمه إذا قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وإنما أمه التي ولدته، ولهذا قال-تعالى:- ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أي: أن هذا القول الذي كانوا يقولونه في الجاهلية قول فاحش وباطل.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ﴾ أي: اجتنبوا هذا القول، وسيعفو الله عنكم، ويغفر لكم ما كان منكم في الجاهلية إذا تبتم إليه .

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي: إذا قال الرجل هذا القول، ثم أراد جماع زوجته، فلا تحل له حتى يكفر؛ لقول الله-تعالى:- ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعتاق رقبة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّ﴾ أي: يحصل النكاح بينهما ﴿ذَلِكَمُ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: تزجرون بتغليظ الكفارة عليكم حتى لا تفعلوا الظهار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: يعلم ما فيه خيركم وصلاحكم.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّ﴾ أي: على المظاهر صيام شهرين متتابعين قبل النكاح، ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ أي: يعطي لكل مسكين مداً من بر،

أو مدين من التمر ونحوه من قوت المكان ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: هذا الذي أمرتم به من الكفارة لكي تؤمنوا أن الله أمركم به، وأن عليكم ألا تتعدوا حدوده، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ التي بينها لكم، وهي أن الظهار معصية، والكفارة طاعته فيما أمركم به.

﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: حين يتعدون حدود الله التي بينها لهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- تحريم الظهار بوصفه منكراً من القول وزوراً، ويجب التوبة منه إذا حدث، ولفظ الظهار صريح وكناية، فالصريح أن يقول لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي، والكناية أن يقول: أنت عليّ مثل أمي، فتعتبر في هذا النية، فإن كان يريد الظهار كان ذلك له، وإن لم يردده لم يكن مظاهراً.
- أن الظهار في حال الغضب لا يسقط حكمه، وهو الكفارة كما سيأتي.
- أن على المظاهر ألا يمس امرأته حتى يكفر؛ لأن وصفه لها بظهر أمه يقتضي تحريمها عليه حتى يتم كفارته.
- أنه إن طلق وظاهر لزمه الطلاق والظهار معاً، فلم يكفر حتى

يراجعها إذا لم تكن مبتوتة، فإن كانت كذلك لم يكفر حتى ينكحها بعد زوج آخر في نكاح صحيح.

- أن المظاهر لو جامع زوجته قبل إخراج الكفارة لا يلزمه إلا كفارة واحدة، وعليه أن يستغفر الله.

- أن على المظاهر عتق رقبة، فإن تعذر ذلك لأي سبب صام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع لأي سبب كالعجز أو المرض أطعم ستين مسكيناً، كل واحد منهم مداً من البر، أو مدين من قوت المكان الذي هو فيه كالأرز وما في حكمه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ المحادة: المعادة، والمراد: أن

الذين يعادون الله ورسوله، فلا يأترون بما أمروا به، ولا ينتهون عما

نهوا عنه ﴿كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: هُزِمُوا وَذُلُّوا
 كما هزم الذين من قبلهم ممن عادوا الله ورسله من الأمم الهالكة، وفي
 هذا بشرى لرسول الله - ﷺ - أن أعداءه من المشركين سوف ينهزمون،
 وهذا ما حدث بالفعل في غزوة بدر والأحزاب وغيرهما، وأخرج
 الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال: «يعادون الله ورسوله، وقوله: ﴿كُتِبُوا كَمَا
 كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال: خزوا كما خزي الذين من قبلهم».

﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: أنزلنا البراهين والحجج الدالة
 على صدق رسولنا ﴿وَاللَّكَفِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: سيحقيق
 العذاب المهين بالكافرين الذين لا يصدقون ما أنزل الله من الآيات .

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يوم يجتمعون كلهم في عرصات
 القيامة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: يخبرهم بأعمالهم التي عملوها
 في الدنيا من الحسنات أو السيئات، مما أحصاه عليهم، ودونه في
 صحائف أعمالهم، فنسوه، كما قال - تعالى -: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: شهيد وحفيظ لأعمالهم التي كتبتها
 الملائكة الحفظة، ودونت في صحائف أعمالهم.

أحكام وفوائد الآيتين:

- أن الذل والهوان والخزي يقع لكل من عادى الله ورسوله، كما قال -
 ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[الأنفال: ١٣].

- أن الله يحصي أعمال العباد، فينبئهم يوم القيامة بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من الحسنات أو السيئات، ويجازيهم عليها بحسبها، وهذا يقتضي منهم الخشية والحياء منه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

بيان الآية:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا

توكيد من الله أنه كما أحصى أعمال الخلق فإن علمه يحيط بكل ما في السماوات والأرض ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾

أي: ما يتناجى ثلاثة نفر إلا وعلمه محيط بهم، وما يتناجون فيه

﴿وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ أي: لا يتناجى كذلك خمسة نفر إلا هو سادسهم بعلمه وقدرته ﴿وَلَا أَذْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: كالاثنين ﴿وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ أي: ولا أكثر من الأربعة أو الخمسة إلا يعلم سرهم، وما يتناجون فيه، سواء كانوا في البر، أم في الجو، أم في ظلمات البحر.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يخبرهم بما كانوا يعملون، وما يتناجون فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: لا يحد علمه حد، ولا يصفه وصف، بل هو محيط بما في الكون علوه وسفله.

أحكام وفوائد الآية:

- الحكم بأن التناجي في عمل الخير ينبغي أن يكون بين ثلاثة أو خمسة أو سبعة، فإذا اختلف الاثنان رجع الثالث، وإذا اختلف الأربعة رجع الخامس.

- النهي عن تناجي الاثنين دون الثالث؛ لقول رسول الله - ﷺ -: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس؛ من أجل أن ذلك يحزنه»^(١)، وهذا من آداب الإسلام، إذ إن انفراد اثنين

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب: إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارعة والمناجاة، (رقم ٦٢٩٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، (رقم ٢١٨٤).

بالتناجي بينهما مما يؤذي نفس الثالث؛ إذ قد يظن أنهما يتحدثان عنه بسوء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجَوُّى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٨).

بيان الآية:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجَوُّى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ألم تنظر أيها الرسول! إلى اليهود والمنافقين الذين نهاهم الله عن الحديث سرًا بما يؤذي المؤمنين، ثم يرجعون إلى ما نُهُوا عنه؟.

﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي: يتناجون بينهم بعمل الإثم والعدوان على المؤمنين، ومن ذلك: معصية الرسول، والكيد له، والتواصي بينهم بالعداء له ومن معه من المؤمنين ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ أي: أنهم إذا دخلوا على رسول الله - ﷺ - قالوا: السام عليكم أي: الموت (١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب: كيف يرد على أهل الذمة السلام؟، (رقم ٦٢٥٦)، ومسلم في كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم؟، (رقم ٢١٥٦).

عن عائشة-رضي الله عنها-: «أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، وَلَعَنْتُهُمْ، فَقَالَ: «مَا لَكَ؟»، قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟، قَالَ: «فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ؟»^(١).

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ- وَأَصْحَابَهُ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ-: «هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ هَذَا؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، سَلَّمَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ! قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، رُدُّوهُ عَلَيَّ»، فَرَدُّوهُ، قَالَ: «قُلْتُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ؟»، قَالَ: نَعَمْ! قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- عِنْدَ ذَلِكَ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا: عَلَيْكَ، قَالَ: عَلَيْكَ مَا قُلْتُ»، قَالَ: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾^(٢) يَلْوُونَ بِهَا أَلْسِنَتَهُمْ، حَتَّى لِيْظُنَّ السَّامِعُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أَي: يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيٌّ لَعَذَّبَنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أَي: مَا لَهُمْ وَكَفَايَتُهُمْ جَهَنَّمُ ﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أَي: تَعَسَّ الْمَصِيرُ الَّذِي يَصِيرُونَ إِلَيْهِ فِي جَهَنَّمِ.

(١) صحيح البخاري، (١٢٤/٦ - ١٢٥)، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (رقم ٢٩٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، (٤٠٧/٥)، كتاب التفسير، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي، (رقم ٣٣٠١).

أحكام وفوائد الآية:

- تقرير كيد اليهود والمنافقين لرسالة رسول الله - ﷺ -، وهذا الكيد لم ينقطع منذ بداية الرسالة إلى يومنا هذا.
- تربية الإسلام للمسلمين، وتهذيبهم في سلوكهم وفي علاقتهم مع أعدائهم، وفي الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «دخل على رسول الله - ﷺ - يهود، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! فقالت عائشة: وعليكم السام والذام واللعنة، فقال رسول الله - ﷺ -: «يا عائشة! إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش»، قلت: ألا تسمعهم يقولون: السام عليك؟، فقال رسول الله - ﷺ -: «أو ما سمعت أقول: وعليكم»^(١)، وفي لفظ: «إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك، أي: عليك ما قلت»^(٢).
- أنه إذا سَلَّمَ الذمِّيُّ، وكان سلامُه بلفظ: السلام عليكم، فلا بأس أن يُردَّ عليه بلفظه.
- التحذير من مكر اليهود والمنافقين، وكيدهم للمؤمنين في كل زمان

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب: كيف يرد على أهل الذمة السلام؟، (رقم ٦٢٥٦)، ومسلم في كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم؟، (رقم ٢١٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب: ومن سورة المجادلة، (رقم ٣٣٠١)، من حديث أنس، وصححه، وصححه الألباني.

ومكان.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ هذا نهى من الله
للمؤمنين بأنهم إذا تناجوا فيما بينهم ألا يتناجوا بما فيه إثم أو معصية
لِلرَّسُولِ، كما هو حال اليهود والمنافقين، بل يجب أن تكون مناجاتهم في
عمل البر، وفي تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: خافوه، واحشوه، فإنكم
ستحشرون إليه يوم القيامة، وسوف يحاسبكم على أفعالكم ﴿إِنَّمَا
النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ النجوى هي: التَّسَارُّ، وهي من عمل الشيطان

وعمل المنافقين ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لكي يصيبهم الهم والغم
 ﴿وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: هذا التناجي من
 المنافقين ومن الشيطان لن يضر المؤمنين إلا بإذن الله.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: يجب أن يكلوا أمورهم
 واعتمادهم عليه، فهو المنجي والحافظ، ومن يتوكل عليه فهو حسبه.

أحكام وفوائد الآيتين:

- تحريم التناجي بالإثم والعدوان، ووجوب التناجي بالبر والتقوى،
 كما قال-عز وجل-: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
 بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
 ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].
- عدم جواز تناجي اثنين دون الثالث.

- ضرورة تطهير المجتمع من الإشاعات والأحاديث الموهنة للعزائم.

- أن في الآية (١٠) إخباراً مستقبلياً بأنَّ التحدُّث خفية بالإثم
 والعدوان من وسوسة الشيطان، فهو المزيِّن لها، والحامل عليها،
 وأن ذلك ليس بمؤذٍ للمؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله-تعالى- وإرادته.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ
فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ﴾

بيان الآية:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ
فَأَفْسَحُوا﴾ هذا من آداب الإسلام، وتربيته للمؤمنين، فإنه-تعالى-
يأمر أهل الإيمان أن يتوسَّعوا في المجالس إذا طُلب إليهم ذلك ﴿يَفْسَحِ
اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسع لكم في دنياكم وأخراكم ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا
فَأَنْشُرُوا﴾ أي: إذا قيل لكم: قوموا للصلاة أو للجهاد، أو لأي عمل من
أعمال البر، فقوموا ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ أي: يرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، ويرفع العالم
على من ليس بعالم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: عليم بما
تعملون، فاخشوه.

أحكام وفوائد الآية:

- تقرير التوسع في مجالس الذكر، أو أي مجالس مماثلة؛ لتكون هذه

المجالس أكثر نفعاً لأكبر عدد من الناس، والتوسع في المجالس لا يعني أن يقوم آخر ليجلس آخر مكانه، وإنما المراد أن يوسع له، ما لم يكن في ذلك أذى له، وفي حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-: أن رسول الله -ﷺ- قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، ثم يجلس فيه»^(١).

- أن الله يرفع المؤمنين وأهل العلم درجات، فالمؤمن يرتفع على من لم يؤمن، والعالم يرتفع على من ليس بعالم، وهكذا.
- أن في الآية إخباراً مستقبلياً عن جزاء مَنْ طَلِبَ إليه أن يُوسَّعَ لغيره في المجلس، فوسَّعَ له، فَإِنَّ الله -ﷻ- سيُوسَّعُ عليه في الدنيا والآخرة.
- أن في الآية إخباراً مستقبلياً آخر، وهو أَنَّ الله -تعالى- خير بأعمال عباده في الماضي والحاضر والمستقبل، لا يخفى عليه شيء منها.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجِيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه»، (رقم ٦٢٦٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب: تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح، (رقم ٢١٧٧).

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ .

بيان الآيتين:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةً﴾ في هذا أمر من الله للمؤمنين إذا أرادوا مناجاة الرسول أن يقدموا قبل المناجاة صدقة، ولهذه الصدقة فائدتان، أولاهما: أنها سوف تدفع للفقراء من المسلمين، وثانيتهما: أنها تخفف على رسول الله -ﷺ- عبء المناجاة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ﴾ أي: في تقديم الصدقة قبل المناجاة خير لكم؛ لما سينالكم من الحسنة، ولما في ذلك من طهارة أنفسكم وأموالكم.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: إذا لم يكن لديكم ما تدفعونه صدقة، فلا جناح عليكم إذا في مناجاته، وقد نسخ الله هذه الآية بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ أي: أشق عليكم أن تقدموا هذه الصدقة؟؛ ذلك أنهم قللوا من المناجاة بعد نزول هذه الآية ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: رفع عنكم هذا التكليف، وهو نسخ هذا الحكم ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾ أي: حافظوا عليها، وأدوها في أوقاتها بأركانها

وشروطها ﴿وَعَاثُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أخرجوها طيبة بها نفوسكم، وأخرج الطبري بسند حسن عن مجاهد في قوله - تعالى -: ﴿عَاشَفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ فَاذْكُ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاثُوا الزَّكَاةَ﴾ قال: «فريضتان واجبتان، لا رجعة لأحد فيهما، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة في النجوى».

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: الزموا طاعتها فيما أمركم به، ونهياكم عنه ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: خير وعليم بأعمالكم، فآخضوه، وخافوه.

أحكام وفوائد الآيتين:

- تقرير نسخ حكم أراد الله بحكمته نسخه، كما قال - عز وجل -: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

- أن نسخ الحكم يراد به مصلحة المكلفين.

- اتفاق العلماء على أن حكم صدقة المناجاة منسوخ.

- أن المؤمن إذا فاتته خير أو فضل عوضه بفضل آخر، وذلك بما

يتقرب به من زيادة في الأعمال الصالحة، كالبر والصدقة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُدْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ألم تر يا نبينا محمداً إلى الذين يوالون ويمالئون قوماً غضب الله عليهم، وهم اليهود، وكذا أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «هم

المنافقون تولوا اليهود، وناصحوهم ﴿مَا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾
 أي: ليسوا منكم أيها المؤمنون، ولا هم من اليهود، كما قال-تعالى:-
 ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾
 [النساء: ١٤٣].

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ويقسمون بالله
 كاذبين: إنهم مسلمون، ومُقرُّون برسالة النبي ﷺ، وهم يعلمون
 أنهم كاذبون في ذلك ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: أرصد الله
 لهم عذاباً أليماً جزاء نفاقهم وكذبهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾ أي: ببس الصنيع صنيعهم.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: اتخذوا من أيمانهم التي يحلفون
 بها ستاراً يسترّون به نفاقهم وعداوتهم للمؤمنين، ويقون بها أنفسهم
 من العقاب ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بسبب كفرهم ونفاقهم
 لبسوا على الناس، فصدّقوهم، فحصل بسببهم صد لهم عن سبيل الله.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: سيلاقون يوم القيامة العذاب والإهانة
 والذل ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم العذاب يوم

القيامة، فليس لهم من فدية يفتدون بها، وليس لهم ولي يواليهم، أو ناصر ينصرهم من دون الله ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: سيجزى هؤلاء بالخلود في النار، فلا يخرجون منها.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يوم يحشرهم يوم القيامة ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أي: يحلفون بالله أنهم كانوا مؤمنين، كما كانوا يحلفون في الدنيا لرسول الله -ﷺ- أنهم كانوا معه على الهدى.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: يظنون أن حلفهم هذا على هدى ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي: إنهم كاذبون في حلفهم، وأخرج الحاكم بسند ثابت عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: «كان رسول الله -ﷺ- في ظل حجرة، وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال رسول الله -ﷺ-: «إنه سيأتيكم إنسان، فينظر إليكم بعين شيطان، فإذا جاءكم لا تكلموه»، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور، فقال: حين رآه دعاه رسول الله -ﷺ-، فقال: «على ما تشتمني أنت وأصحابك؟»، فقال: ذرني آتك بهم، فانطلق، فدعاهم، فحلفوا: ما

قالوا، وما فعلوا حتى يخون، فأنزل الله- عز وجل-: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(١).

﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ أي: غلب عليهم، وسيطر على عقولهم، فنسوا أي: تركوا أوامر الله، واتبعوا الباطل ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أي: هؤلاء هم جند الشيطان واتباعه ﴿إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: إن أتباع الشيطان وجنوده هم المهزومون الخاسرون في الدنيا والآخرة.

أحكام وفوائد الآيات:

- التنديد بالمنافقين، وتوعد الله لهم بالعذاب الشديد، كما قال-ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].
- أن المنافقين ليسوا من المؤمنين، وإن تظاهروا بالإسلام، وصلوا، وصاموا.

(١) المستدرک، (٢/٤٨٢)، کتاب التفسیر، وصححه الحاكم، ووافقه عنه الذهبي، وقال ابن كثير في تفسيره (٥١٢/٤): «إسناده جيد».

- أن الحلف بالكذب من صفات المنافقين وعلاماتهم؛ لقول رسول الله - ﷺ -: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب.. الحديث»^(١).
- أن الشيطان يستحوذ على المنافقين، فيزين لهم أعمالهم، فيظنون أنهم على الحق، بينما هم على الباطل، ومن دلائل سيطرة الشيطان على أصحابه: موالاتهم لأعداء الإسلام، وممالاتهم لهم.
- أن في الآية (١٩) إخبارًا مستقبليًا عن عاقبة الذين غلبهم الشيطان، واستولى عليهم، حتى تركوا أوامر الله، والعمل بطاعته، فإنَّ لهم الخسران في الدنيا والآخرة.
- أن من علامات استحواذ الشيطان على الإنسان: تَرْكُهُ لِذِكْرِ اللَّهِ بِقَلْبِهِ ولسانه، وَلَوْعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، بأعماله وأقواله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۖ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: إن الذين يعادون الله ورسوله، فلا يأتمرون بما أمرا به، ولا ينتهون عما نهيا عنه، وأخرج

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، (رقم ٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، (رقم ٥٩).

الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال: «يُشَاقُّونَ»

﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: لهم الذلة والخزي يوم القيامة.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أي: قدَّر الله، وكتب في اللوح

المحفوظ أن النصر والغلبة والعزة لله ولرسله وكتبه

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: له القوة التي لا تضام، والعزة التي لا

ترام.

أحكام وفوائد الآيتين:

- أن المعادين لله ولرسوله بمخالفة أوامرهما ونواهيهما سيلاقون الذل والمهانة يوم القيامة.

- أن الله قضى في الأزل بأن النصر لرسول الله وأنبيائه والمؤمنين،

ومنهم: رسول الله محمد ﷺ، كما قال-تعالى-: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ

رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ

لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

[غافر: ٥١-٥٢].

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢).

بيان الآية:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هذا بيان من الله - عز وجل - لرسوله محمد - ﷺ - أنك لن تجد قوماً يؤمنون بالله حق الإيمان، وهم يحبون من كفر بالله، وعاداه ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم، هؤلاء أصحاب الدرجات العالية ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: كتب الله الإيمان في قلوب هؤلاء، وقلوب من لا يوادون من كفر بالله ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: جعل لهم قوة وبرهاناً.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: يدخلهم الجنات بكل ما فيها من النعيم المقيم، والخلود الأبدي، ومع ذلك تحقق رضا الله عنهم حين امتثلوا لطاعته ورضاهم عنه حين جازاهم ورحمهم.

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أي: هؤلاء هم حزب الله، أي: أهل رضاه وكرامته ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: هم السعداء المفلحون في الدنيا والآخرة.

أحكام وفوائد الآية:

- تحريم موالاة الكافرين وممالاتهم ومحبتهم، ولو كانوا أقرب الأقرباء؛ لأن محبة الله وطاعته ومحبة رسوله وطاعته مقدمة على كل ما سواها، كما قال-عز وجل-: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

- أن الله يكتب الإيمان في قلوب أوليائه، ويؤيدهم بقوته، ويجعلهم من

حزبه.

- أن حزب الله هم الذين يسعدون في الدنيا والآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحشر

مدنية، وآياتها أربع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ❶ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
 لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
 الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ
 الْأَبْصَارِ ❷ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ❸ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ❹ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ
 تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَلْسِقِينَ ❺﴾.

بيان الآيات:

أخرج البخاري عن سعيد بن جبير، قال: «قلت لابن عباس: سورة
 التوبة؟، قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ﴿ومنهم﴾
 ﴿ومنهم﴾، حتى ظنوا أنها لم تُبْقِ أحداً منهم إلا ذَكَرَ فيها. قال: قلت:

سورة الأنفال؟، قال: نزلت في بدر. قال: قلت: سورة الحشر؟ قال:

نزلت في بني النضير^(١).

وعن عائشة-رضي الله عنها-قالت: «كانت غزوة بني النضير - وهم طائفة من اليهود - على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله-ﷺ- حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة - يعني السلاح-، فأنزل الله فيهم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ① هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾، فقاتلهم النبي-ﷺ- حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يُصِبه جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك، ولولا ذلك لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وأما قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فكان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام^(٢).

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: قدس الله

(١) صحيح البخاري، (٨/٤٩٧)، كتاب التفسير، سورة الحشر، (رقم ٤٨٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه»، المستدرک، (٢/٤٨٣)، كتاب التفسير، ووافقه الذهبي.

وعظمه كل من في الكون العلوي والسفلي من المخلوقات والكائنات، كل منهم بلسان حاله أو مقاله يسبح له، ويعظمه، وينزهه عن الشريك والولد ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز بقوته وعظمته، الحكيم في تدبيره وتصريفه لخلقه ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ المراد بهم يهود بني النضير، لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله -ﷺ-، وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري، فبينما كان في طريقه إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر، وكان معهما عهد مع رسول الله -ﷺ- وأمان، لم يعلم به عمرو، فلما رجع إلى المدينة -كما سبق ذكره- أخبر رسول الله -ﷺ-، فقال له -عليه الصلاة والسلام-: «لقد قتلت رجلين، لأدينّهما»، وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد، فخرج رسول الله -ﷺ- إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك الرجلين، فقالوا: نعم يا أبا القاسم! نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، وكان رسول الله -ﷺ- إلى جنب جدار من بيوتهم، فمَنْ رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي الصخرة، فأتى رسول الله -ﷺ- -الخبر من السماء بما

أراد القوم، فقام، وخرج راجعاً إلى المدينة، وأخبر أصحابه، ثم تهيأ لغزوهم، فتحصنوا في الحصون، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله - ﷺ - أن يجليهم، ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة أي: السلاح، فخرجوا إلى الشام، ومنهم من ذهب إلى خيبر^(١).

﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ أي: إلى الشام، ثم حشرهم مرة أخرى إلى الشام، بعد أن أجلاهم عمر من خيبر.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أي: في المدة التي حاصرتموهم فيها، وهي ستة أيام ﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: ظنوا أنها ستمنعهم بسبب منعها.

﴿فَأَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: جاءهم أمر من الله لم يكونوا يظنونه ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي: ألقى فيها الخوف ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: كانوا يخرّبونها من داخلها، وكانوا يقتلعون الأبواب والسقوف، ويحملونها على الإبل

(١) السيرة النبوية، لابن إسحاق، (٢/٤٦-٤٧)، وأخرجه الطبري مختصراً بأسانيد مرسله يقوي بعضها بعضاً.

﴿وَأَيَّدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يخربون بيوتهم من خارجها لفتحها
 ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ أي: اتعظوا يا أهل العقول بما حل
 ببني النضير رغم قوتهم، وكيف أن الرعب زلزلهم، حتى أصبحوا
 يخربون بيوتهم بأيديهم؟.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي:
 لولا هذا النزوح الذي كتب عليهم لعذبهم الله بالقتل والسبي ﴿وَلَهُمْ
 فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلْتَارٌ﴾ هذا وعيد لهم بما سيلاقونه في الدار
 الآخرة من العذاب جزاء عدائهم لدين الله وغدرهم، وأخرج الإمام
 مسلم عن ابن عمر-رضي الله عنهما-: «أن يهود بني النضير وقريظة
 حاربوا رسول الله -ﷺ-، فأجلى رسول الله -ﷺ- بني النضير، وأقرَّ
 قُرَيْظَةَ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ، حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم،
 وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحقوا
 برسول الله -ﷺ-، فآمنهم، وأسلموا، وأجلى رسول الله -ﷺ- يهود
 المدينة كلهم: بني قينقاع-وهم قوم عبد الله بن سلام-، ويهود بني
 حارثة، وكل يهودي كان بالمدينة»^(١).

(١) صحيح مسلم، (٣/ ١٣٨٧-١٣٨٨)، كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، (رقم ١٧٦٦).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: عادوهما، وخالفوا

أوامرهما ونواهيهما .

﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ﴾ أي: يعاديه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ﴾ أي: نخلة .

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: تركتموها بلا

قطع، فإن ذلك بإذن الله ورضاه وقدره؛ ذلك أن رسول الله - ﷺ -

قطع بعضاً من نخيلهم نكاية لهم على غدرهم، فأيده الله في ذلك

﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: يذلهم، ويهينهم.

وأخرج الشيخان عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: «حَرَّقَ رَسُولُ

الله - ﷺ - نخل بني النضير وَقَطَعَ، وهي البُوَيْرَةُ، فنزلت: ﴿مَا قَطَعْتُمْ

مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، وأخرج

الطبري بسند صحيح عن عكرمة في قوله- تعالى -: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن

لِّينَةٍ﴾ قال: «النخلة».

(١) صحيح البخاري، (٣٨٣/٧)، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، (رقم ٤٠٣١)، وصحيح مسلم،

(١٣٦٥/٣)، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها، (رقم ١٧٤٦)، والبويرة:

موضع منازل بني النضير بالمدينة، وذكر البلادي أنها لم تعد معروفة، معجم المعالم الجغرافية في

الحجاز، (ص ٥١).

أحكام وفوائد الآيات:

- أن كل المخلوقات والكائنات تسبح بحمد الله، وتعظمه، كما قال-

ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ

تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

- تحريم الخيانة والغدر، كما قال-ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[الأنفال: ٢٧]، وفي الحديث عن رسول الله-ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا

حدث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر»^(١).

- أن القوة والمنعة لا تغني أصحابها شيئاً إذا جاء أمر الله بزوالها،

كما كان الحال مع بني النضير.

- أن اليهود ذوو غدرٍ ونقضٍ، لا يدومون على عهد.

- بيان أكبر عبرة في خروج بني النضير، وذلك لما كان لهم من قوة،

ولما عليه المؤمنون من ضعف، ومع هذا فقد انهزموا شر هزيمة،

وتركوا البلاد والأموال، ورَحَلُوا إلى غير رجعة، فعلى مثل هذا يتعظ

المتعظون، فإنه لا قوة تنفع مع قوة الله، فلا يغترَّ العقلاء بقواهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، (رقم ٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، (رقم ٥٩).

المادية، بل عليهم أن يعتمدوا على الله في كل حال.

- احتج بالآية (٢) في قوله-تعالى-: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾

بعض علماء الأصول؛ لإثبات حجية القياس بناءً على أنه من الاعتبار.

- أن من يعادي الله يعذبه، كما قال-عز وجل-: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ .

- تقرير مسألة تخريب دار العدو، وحرقتها، وقطع ثمارها، كما

حدث لنخيل بني النضير، ويرى الإمام الماوردي: «أن في الآية دليلاً

على أن كل مجتهد مصيب، وإن كان الاجتهاد يبعد في مثله مع

وجود رسول الله-ﷺ- بين أظهرهم، ولا شك أنه-عليه الصلاة

والسلام-رأى، وسكت، فتلقوا الحكم من تقريره فقط»^(١).

ونقل ابن العربي: أن العلماء اختلفوا على قولين: القول الأول:

جواز ذلك كما هو في المدونة، والقول الثاني: إن علم المسلمون أن

ذلك لهم لم يفعلوا، وإن ييأسوا فعلوا، وهذا قول الإمام مالك، وقد

علم رسول الله-ﷺ- أن نخل بني النضير له، ولكنه قطع وحرق

(١) تفسير الماوردي، (٥/٥٠٢).

ليكون ذلك نكاية لهم، ووهناً فيهم؛ حتى يخرجوا عنها، فإتلاف بعض المال لصالح باقيه مصلحة جائزة شرعاً، مقصودة عقلاً، قال ابن العربي: «وروي أنه كان بعض الناس يقطع، وبعضهم لا يقطع، فصوّب الله الفريقين، وخلّص الطائفتين، فظن عند ذلك بعض الناس أن كل مجتهد مصيب يخرج من ذلك، وهذا باطل؛ لأن رسول الله -ﷺ- كان معهم، ولا اجتهد مع حضوره -عليه الصلاة والسلام-، وإنما دل على اجتهاده فيما لم ينزل عليه أخذاً بعموم الإذابة للكفار، ودخولاً في الإذن لكل بما يقضي عليهم بالاجتياح والبولار، وذلك قوله: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾»^(١).

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٦ ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٧ ﴿.

(١) أحكام القرآن لابن العربي، (٤/ ١٧٦٨ - ١٧٦٩).

بيان الآيتين:

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ أموال بني النضير أخذت بدون قتال، ولا إيجاف خيل، ولا ركاب، بل ألقى الله الرعب في قلوبهم، فاستسلموا لرسول الله -ﷺ-، فأعطاه الله أموالهم، وتصرف فيها كما شاء لصالح المسلمين، ولم يقسمها؛ لأن الذين خرجوا معه إلى بني النضير لم يكونوا مقاتلين بمعنى القتال، ناهيك أن حصون بني النضير كانت قريبة من المدينة، فلم يحتاج إخراجهم من حصونهم إلى سفر وتعب، ولهذا قال-تعالى-: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: بدون قتال، فيرد الله عليهم مال الكافرين، والرسول-عليهم السلام- لا يأخذون هذا المال لأنفسهم، ولكنهم يوزعونه على فقراء أممهم .

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: غالب قادر بقوته وعظمته وسلطانه، وأخرج البخاري عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- حديثاً طويلاً، ومنه: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ-ﷺ- فِي هَذِهِ الْفِيءِ، لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ

مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾، فكانت هذه خالصة لرسول الله -ﷺ-، ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم»^(١)، وأخرج الشيخان عن عمر -رضي الله عنه- قال: «كانت أموال بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله -ﷺ-، ممّا لم يُوجِفِ المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله -ﷺ- خاصة، يُنفق على أهله منها نفقة سنّته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عُدّة في سبيل الله»^(٢).

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ أي: البلاد التي تفتح صلحًا، فأموالها توزع حسب ما بينته الآية في قوله -تعالى-: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، فهذا يقتضي تقسيم الفياء خمسة أقسام: خمس لله ولرسوله، وهذا الخمس يصرف في أمور الأمة ومصالحها، وخمس لقربة رسول الله -ﷺ-، وهم: بنو هاشم، وبنو عبد المطلب؛ لأنهم نصرُوا رسول الله -ﷺ- حين كان محاصرًا في (الشعب) من قبل

(١) صحيح البخاري، فرض الخمس، باب فرض الخمس (رقم ٣٠٩٣).

(٢) صحيح البخاري، (٤٩٨/٨)، كتاب التفسير، سورة الحشر، باب ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، (رقم ٤٨٨٥)، وصحيح مسلم، (١٣٧٦-١٣٧٧)، (رقم ١٧٥٧)، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفياء.

قريش، وليس لهم حق في الصدقة، وخمس لفقراء اليتامى، الذين فقدوا آباءهم، ولم يبلغوا بعد، وخمس للمساكين، وخمس لابن السبيل، وهو المنقطع عن بلاده ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ أي: لا يكون المال متداولاً ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ فقط، فيحرم منه الضعفاء والفقراء.

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ أي: ما أمركم به من أمر فافعلوه، وما نهاكم عن شيء فاجتنبوه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: اتقوه بطاعته، واتباع ما يأمركم به، واجتنبوا ما ينهاكم عنه، فإنه شديد العقاب لمن عصى أمره، وتعدى حدوده.

أحكام وفوائد الآيتين:

- الحكم بأن الفيء هو المال الذي أخذ بغير قتال، نتيجة صلح، أو بفرار العدو، فما يحصل من أمواله يقسم خمسة أخماس حسب ما حكم به الله، وهو أنه لله، ولرسوله، ولذي القربى قربى رسول الله - ﷺ -، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، أما المال الذي يؤخذ عنوة ونتيجة حرب وقتال وإيجاف بخيل

وركاب- كما نصت عليه الآية-، فهذا يحكمه قول الله- تعالى:-

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِالْيَتَامَىٰ وَلِلسَّكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]،

أي: أن الخمس يكون لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، يوزع بالتساوي، أما الأربعة الأخماس الباقية فتقسم على المجاهدين الذين قاتلوا العدو، فيكون للراجل منهم سهم، ولل فارس سهمان.

- أن مصارف الفياء حددها القرآن، وفصلها، حتى يرضي كل أحد.

- وجوب طاعة رسول الله - ﷺ - فيما أمر به، والانتفاء عما نهى عنه، وفي هذا ورد في الصحيح أن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: «لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله- عز وجل-، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد، يقال لها: أم يعقوب، فجاءت، فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله - ﷺ -، ومن هو في كتاب الله- تعالى-؟، فقالت: لقد

قرأت ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول، فقال لها: إن كنت قرأته لقد وجدته، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾؟، قالت: بلى! قال: فإنه قد نهى عنه رسول الله - ﷺ -، قالت: فأني أرى أهلك يفعلونه، قال: فاذهبي فانظري، فذهبت، فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئاً، فقال: لو كانت كذا ما جامعتها»^(١).

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ٨ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٩ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٠ ﴿

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قول الله-تعالى:- ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، (رقم

٤٨٨٦)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، (رقم ٢١٢٥).

بيان الآيات:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ كان رسول الله - ﷺ - أعطى من فيء بني النضير المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة، فقد ذكر الله فقرهما^(١)؛ وكعادة المنافقين في إشعال نار الفتنة، عابوا ما فعل رسول الله - ﷺ -، فأنزل الله هذه الآية يؤيد فيها ما فعله رسول الله - ﷺ -، ومبيناً أن هؤلاء المهاجرين فقراء، وقد تركوا ديارهم وقومهم يبتغون رضا الله ورحمته.

﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: خرجوا لنصرة دين الله، ونصرة رسوله، وصدقوا في ذلك، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ قال: «هؤلاء المهاجرون، تركوا الديار والأموال، والأهلين والعشائر، خرجوا حبا لله

(١) التفسير الوسيط للواحدي، (٤/٢٧٢).

ورسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة».

ثم أثنى-عز وجل- على الأنصار الذين سكنوا دار الهجرة قبل المهاجرين، وآمنوا بالله، ونصروا رسوله، فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من صفاتهم: الكرم، ومحبة من جاؤوا إليهم مهاجرين فرارًا بدينهم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي: لا يجدون في أنفسهم حسدًا مما أعطاه الرسول لإخوانهم المهاجرين من الفيء، بل إنهم يقدمون حاجة الفقراء على حاجتهم أنفسهم، ولو كانوا في أشد الحاجة والعسر، وهذا معنى قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: «أتى رجلٌ رسول الله-ﷺ، فقال: يا رسول الله! أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهنَّ شيئاً، فقال رسول الله-ﷺ-: «ألا رجلٌ يُضيفه الليلة يرحمه الله؟»، فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله!، فذهب إلى أهله، فقال لامراته: ضيفُ رسول الله-ﷺ-، لا تدَّخِريه شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصَّبيَّة، قال: فإذا أراد الصَّبيَّة العشاء فنؤمِّيهم، وتعالِي فأطفئي السَّراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجلُ على

رسول الله -ﷺ-، فقال: «لقد عَجَبَ اللهُ -ﷻ- أو ضَحِكَ- من فلان وفلانة»، فأنزل الله -ﷻ-: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١).

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: أن من وقاه الله البخل بالمال، والتهالك على جمعه، فهو من المفلحين وأهل السعادة.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الذين جاؤوا من بعد المهاجرين الأولين والأنصار، واتبعوهم بإحسان، هؤلاء هم القسم الثالث الذي يستحق الفيء، وهم لمحبتهم لإخوانهم المؤمنين من المهاجرين والأنصار ومن المؤمنين عمومًا يدعون لهم؛ لسبقهم لهم بالإيمان، ويرون في ذلك أفضلية لهم، كما يدعون الله ألا يجعل في قلوبهم حقدًا ولا حسدًا لهم، ولا للمؤمنين عمومًا، كما أخبر الله عنهم بقوله -ﷻ-: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

(١) صحيح البخاري، (٥٠٠/٨)، كتاب التفسير، سورة الحشر، باب (الآية)، (رقم ٤٨٨٩)، وصحيح مسلم، (١٦٢٤/٣)، (رقم ١٧٣)، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره. نحوه.

أحكام وفوائد الآيات:

- فضل المهاجرين والأنصار، وهذا يقتضي وجوب محبتهم، والترحم عليهم، والترضي عنهم؛ لصحبته لرسول الله - ﷺ -، وموازرتة ونصره، وإعلاء دين الله، كما يقتضي هذا الفضل كفر من يسبهم، أو يتنقص منهم، أو يعيب عليهم، أو ينكر فضلهم ومآثرهم.
- فضل الإيثار على النفس.
- بيان فضل الكرم والإيثار، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «اتقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإنَّ الشُّحَّ أهلك مَنْ كان قبلكم، حَمَلَهُمْ على أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، واستَحَلُّوا محارمهم^(١)».
- بيان فضل المهاجرين بالهجرة وترك الديار، وفضل الأنصار بالإيثار، وأنَّ حُبَّهُم إيمان، وبغضهم كفران.
- أن الفقراء المستحقين للفيء ثلاثة أقسام، هم: المهاجرون، والأنصار، ثم الذين اتَّبَعُوهم بإحسان.
- وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في إيثارهم على أنفسهم، فقد تقاسموا أموالهم مع المهاجرين، بل إن منهم من طلق إحدى

(١) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الظلم، (١٨/٨)، ط. المكتب التجاري.

زوجاته؛ لكي يتزوجها أخوه المهاجر.

- الحكم بأن الفقراء المستحقين للفيء ثلاثة أقسام، هم: المهاجرون،

والأنصار، ثم الذين اتبعوهم بإحسان، كما قال-تعالى:-

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ
أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾
لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ
نَصَرُوهُمْ لَيُولَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي
صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتُلُونَكُمْ
جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ
تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ ما زال الخبر في قصة بني النضير

وخيانتهم، والعلاقة بينهم وبين المنافقين في المدينة، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه، فبين الله لرسوله محمد - ﷺ - خبر هؤلاء بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تنظر يا نبينا ورسولنا محمدًا إلى الذين نافقوا أي: أبطنوا الكفر، وأظهروا الإسلام.

﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: يهود بني النضير ﴿لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ﴾ أي: إن أخرجتم من المدينة فسوف نتضامن معكم، ونخرج سويًا ﴿وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لن نقبل من أحد أن يكون ضدكم

﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ أي: إن قاتلكم محمد وأصحابه فسوف نكون معكم وننصركم، وإن الله مطلع على سرائرهم وكذبهم، قال-عز وجل-: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما قالوه لليهود، ثم قال-تعالى- مكذبا للمنافقين: ﴿لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ أي: لن يكونوا كما قالوا ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: لو صدقوا في قولهم-مع أنهم كاذبون فيه-، فنصروهم، لولّوا مدبرين منهزمين أمام المسلمين، وقد حدث هذا بالفعل، فلم يخرج

المنافقون مع اليهود حين عرضوا الخروج من المدينة، ولم يقاتلوا معهم، ولم ينصروهم بشيء.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: أنتم أيها المؤمنون أشد رهبة على المنافقين من الله، فيخافون منكم أكثر من خوفهم من الله، ظناً أن الله لن يعذبهم، أو أنه سيؤجل عذابهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: أن النفاق أعماهم، فلا يفقهون معنى الدين؛ إذ لو كانوا يعقلون لخافوا من الله، وليس من البشر.

﴿لَا يُقَتِّلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْىٍ مُحَصَّنَةٍ﴾ أي: لا يقاتلكم اليهود والمنافقون إلا في قرى محصنة بالأسوار ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي: من خلف المباني والمساكن ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: خلافهم وعداوتهم قائمة وشديدة بينهم، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي: تراهم في الظاهر مجتمعين، ولكنهم في بواطنهم مختلفون ومتباعدون، لا يجمعهم دين ولا معروف، وإنما يجتمعون على عداوة المسلمين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يدركون مصالحهم، فلو كانوا عقاء لآمنوا بالله،

وصدقوا رسوله، فحصل لهم بذلك الفوز في الدنيا والآخرة.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان أنَّ الكفرة والمنافقين إخوة في الكفر، كما قال-عز وجل:-
﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فالكافر يظهر كفره،
والمنافق يبطنه، وقد يكون هذا أخطر من أخيه الكافر.
- أن من سمات المنافقين: إخلاف الوعد، كما قال رسول الله -ﷺ:-
«آية المنافق ثلاث.. إذا وعد أخلف»^(١)، وقد أخلف المنافقون
وعودهم لليهود.
- بيان الرهبة التي يصاب بها أعداء الإسلام من رسول الله -ﷺ-
ودينه، كما قال-عليه الصلاة والسلام:- «وجعلت لي الأرض
مسجدًا وطهورًا، فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ،
وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة،
وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»^(٢).
- أن في الآية (١٤) إخبارًا مستقبليًا، وتأكيدًا لمواجهة اليهود لعباد

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، (رقم ٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، (رقم ٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، (رقم ٣٣٥)، ومسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (رقم ٥٢١).

الله المؤمنين، وقد وصف الله حال اليهود عند مواجهة المؤمنين بأنهم لا يُواجهونهم مجتمعين إلا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من خلف الجدران.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾.

بيان الآيات:

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مثل يهود بني النضير في نقضهم العهد، وخيانتهم، ومعاداتهم لرسول الله - ﷺ - كمثل إخوانهم بني قينقاع الذين كانوا من قبلهم في المدينة، فنقضوا ما عاهدوا رسول الله - ﷺ - عليه، فأخرجهم من المدينة، فذاقوا بذلك عذاب الدنيا، وهو الطرد والإبعاد، ولهم في الآخرة عذاب شديد.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي

بَرِيءٌ مِّنكَ ﴿١٠﴾ أي: مثل بني النضير مع المنافقين الذين وعدوهم بالنصر والقتال معهم، ثم تخلوا عنهم كمثل الشيطان الذي يزين للإنسان الكفر، فإذا كفر تولى عنه، وتبرأ منه، وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم قال-عز وجل-: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: عاقبة الإنسان الذي كفر وعاقبة الشيطان أنهما في النار مخلدين فيها.

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: جزاء كفرهما وشركهما.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن المنافقين يتبرؤون من أصحابهم عند النوائب؛ لأن من صفاتهم الكذب، وأنهم مثل الشيطان الذي يزين للإنسان المعاصي، ثم يتبرأ منه، كما قال-عز وجل-: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا
اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي
أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ
﴿٢٠﴾﴾ .

بيان الآيات:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ لما ذكر الله- عز وجل- ما
جرى من بني النضير من الخيانة والغدر، وما جرى لهم جزاء
خيانتهم، أمر الله المؤمنين أن يتقوا الله بطاعته، والتزام أوامره،
 واجتناب نواهيه، وأن يحاسبوا أنفسهم على ما مضى من أعمالهم،
 فيتداركوا ما كان منها سيئاً بالتوبة النصوح، ويزيدوا منها ما
كان صالحاً بالحسنات؛ ليزداد إيمانهم، وتتضاعف حسناتهم

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: وتتنظر كل نفس فيما
قدمته من الحسنات والأعمال الصالحة، كالصلاة والزكاة والبر
والصدقة وبذل المعروف ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ توكيد للتقوى؛ لعظم
أمرها ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يعلم ما تعملون من

الحسنات والسيئات.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ في هذا تحذير للمؤمنين ألا يكونوا مثل الذين غفلوا عن ذكر الله، وعملوا للدنيا، ونسوا الآخرة، فأنساهم الله أنفسهم، فازدادت غفلتهم، فلم يعد لهم في الآخرة من نصيب، فأصبحوا بذلك في عداد الفاسقين ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي: لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في عدل الله وحكمه ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: هم السعداء يوم القيامة بعد أن نجاهم الله من العذاب.

أحكام وفوائد الآيات:

- فضل التقوى وعظمها، ومن رحمة الله ورأفته بعباده أن أمرهم في عدة آيات أن يتقوه بالعمل في طاعته، واجتناب معاصيه، منها: قوله- تعالى:- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

[الأنفال: ٢٩].

ومن التقوى أن ينظر الإنسان ما قدم ليوم غده يوم القيامة من الحسنات والأعمال الصالحة، فعن المنذر بن جرير عن أبيه قال: «كنا عند رسول الله -ﷺ- في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة، مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله -ﷺ-؛ لما رأى بهم من الفاقة، قال: فدخل، ثم خرج، فأمر بلالاً، فأذن وأقام، فصلى، ثم خطب، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية، ثم قرأ قول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، «تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره»، حتى قال: «ولو بشق تمره»، قال: فجاء رجل من الأنصار بِصُرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله -ﷺ- يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله -ﷺ-: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل

بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١).

- وجوب ذكر الله وعدم نسيانه؛ لأن من نسي الله نسيه، ومن نسيه الله

فلن يجد له ولياً يواليه، أو ناصرًا يناصره، كما قال-تعالى:-

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ

أُتِّكَ ءَايَتُنَا فَنَسِيَتْهَا ط وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿ [طه:١٢٥-١٢٦].

- عدم تساوي أصحاب الجنة وأصحاب النار في حكم الله وعدله،

فالجزاء من جنس العمل، وكل نفس توفى بما كسبت، كما قال-

﴿وَلِكُلِّ أَجْرٌ كَسَبَ﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أُجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا

يَحْكُمُونَ ﴿ [الجاثية:٢١]، وقال-عز ذكره:- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ

الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿ [ص:٢٨].

- أن في الآيتين إخباراً مستقبلياً عن عِظَمِ خبره الله-سبحانه وتعالى-بما

يعمله عباده، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، فإنه لا يخفى

عليه شيء من أعمالهم، وهو مجازيهم عليها.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمر، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من

النار، (رقم ١٠١٧).

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمُثُلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ . ﴿١١﴾

بيان الآية:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ لما أمر الله -عز وجل- المؤمنين بأن يتقوه، وينظروا ما قدموا لأنفسهم يوم القيامة، بين لهم عظمة القرآن، وأنه لو أنزل على جبل من الحجر الصلد شديد القساوة ﴿لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: يخشع، ويتصدع خوفاً من الله، فإذا كان هذا هو حال الجبل فكيف بالإنسان الذي أنزل عليه القرآن هداية له، فلا يخشع لسماعه، ولا يتعظ بمواعظه، أو ينتفع بما فيه من الذكر والهدى؟ ﴿وَتِلْكَ الْأُمُثُلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: نضربها للعباد، لعلهم يتفكرون في حالهم ومآلهم، وما يجب عليهم نحو ربهم.

أحكام وفوائد الآية:

- عظمة القرآن وما فيه من الهدى للعباد، كما قال -عز وجل-: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال: ﴿إِنَّ

هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ [الإسراء: ٩].

-توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم خشوعه عند تلاوة القرآن، وقلة تدبره فيه.

-استحسان ضرب الأمثال؛ للتنبيه والتعليم والإرشاد.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو المتفرد بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، الذي خلق الكون على غير مثال سابق، وقدر الأقدار، ورفع السماوات، وبسط الأرض، لا يعبد بحق إلا هو، ولا يرجى إلا هو، ولا ينفع ولا يضر إلا هو، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير .

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم ما في الكون: دقائقه وجلائله، ويعلم ما في البر، وما في البحر، وما في طبقات الجو، يعلم ما يشهده خلقه من المخلوقات، وما لا يشهدونه منها، لا يعلم الغيب إلا هو، ولا يعلم ما كان وما يكون إلا هو.

﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ أي: هو الرحمن الرحيم في ذاته وصفاته وأسمائه، وسعت رحمته كل شيء في الوجود، فعمت المؤمن والعاصي من عباده، يفرح المؤمنون برحمته، ويتطلع العصاة إلى رحمته، كتب على نفسه الرحمة، فما من مخلوق إلا وهو تحت رحمته، يرحم صغار الطير، فتأتيها أرزاقها وهي في أعشاشها، ويرحم البهائم، فينزل الغيث رحمة لها: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ أي: المالك لجميع الأشياء، والمدبر لها، والمتصرف فيها، فلا مانع يمنعه، ولا راد يرده، فقد خضع له كل شيء في الوجود، فلا علم إلا علمه، ولا حكم إلا حكمه، ولا عدل إلا عدله. ﴿الْقُدُّوسُ﴾ المنزه عن كل نقص، يقدسه كل من في الوجود بلسان حاله ومقاله، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿الْقُدُّوسُ﴾ قال: «المبارك»

﴿السَّلَامُ﴾ أي: الكامل في ذاته وأوصافه العلية ﴿الْمُؤْمِنُ﴾

أي: صدق رسله وأنبياءه في إبلاغهم لأمرهم وأقوامهم، والمصدق لعباده المؤمنين في إيمانهم، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة قال: «آمن بقوله أنه الحق».

﴿الْمُهَيَّمُنُ﴾ أي: الرقيب على خلقه، الشاهد على أعمالهم

وأقوالهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي قهر كل شيء، فذل له، وخضع له، فلا يغلبه غالب، ولا ينااله أحد في ملكوته وسلطانه ﴿الْجَبَّارُ﴾ أي: القاهر لجميع الجبابرة والطغاة ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ لا يليق التكبر إلا له، ولا يكون إلا لعظمته، كما قال-عز وجل- في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»^(١)، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة قال: «تكبر عن كل شر».

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تقدس وتنزه عن شرك

المشركين، وعبث العابثين، وضلال المضلين، وإلحاد الملحدين ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾ أي: خالق جميع المخلوقات،

(١) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب: ما جاء في الكبر، (رقم ٤٠٩٠)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب:

البراءة من الكبر، والتواضع، (رقم ١٧٤٤)، وصححه الألباني.

﴿الْبَارِئُ﴾ أي: المبدع لكل الأشياء ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: مبدع الصور وصانعها حسبما يشاء ويريد ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي: الأسماء الدالة على كماله وعظمته، وقد علّمنا منها رسول الله - ﷺ - تسعة وتسعين اسمًا.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: تسبح له كل الموجودات في الكون، كما قال- عز وجل -: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بقوته وسلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في عدله وقضائه.

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير أسماء الله الدالة على كماله وعظيم صفاته، وقد علّمها على لسان رسوله محمد - ﷺ - لخلقه؛ ليؤمنوا أنه لا إله في الوجود إلا هو، وأنه المستحق وحده للعبادة، وأن كل ما عداه فهو باطل، كما علّمها لخلقه؛ ليعظموه بها، ويدعوه بها، كما قال- عز وجل -: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

سورة الممتحنة

مدنية، وآياتها ثلاث عشرة آية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
 تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ
 الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا
 فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا
 أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾
 إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
 وَالسِّنَنَتُهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ
 وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 . ﴿٣﴾

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ هذه
 الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أحد المهاجرين، ومن الذين شهدوا
 معركة بدر، وكان له في مكة مال وأولاد، ولم يكن قرشيًّا، بل كان
 حليفًا لعثمان بن عفان-رضي الله عنه-، فحين عزم رسول الله -ﷺ-

على فتح مكة بعد نقض أهلها للعهد، أمر-عليه الصلاة والسلام- المسلمين للاستعداد لغزوهم، فكتب حاطب إلى أهل مكة كتاباً يخبرهم فيه بخبر الرسول، وعزمه على غزوهم، وأرسل الكتاب مع امرأة من قريش، وذلك ليكون له يد عند قريش، فأطلع الله رسوله على ذلك، واستجاب لدعائه، حين قال: «اللهم غم عليها خبرنا»، فبعث عليّاً والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ^(١)، فإن بها ظعينة، معها كتاب، فخذوه منها»، قال علي-رضي الله عنه-: «فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا: لتخرجي الكتاب أو لنُلقيَنَّ الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاص شعرها أي: من صفائره، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله -ﷺ-، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله -ﷺ-، فقال رسول الله -ﷺ-: «ما هذا يا حاطب؟»، قال حاطب: لا تعجل عليّ يا رسول الله!، إني كنت امرئاً ملصقاً بقريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات، يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني

(١) موضع بين الحرمين، بقرب حمراء الأسد من المدينة، انظر: معجم البلدان، (٢/ ٣٣٥).

ذلك من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يداً يحمون قرايتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله -ﷺ-: «إنه صدقكم»، فقال عمر: دعني أضرب عنقه. فقال رسول الله -ﷺ-: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»^(١).

فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مناداة للمؤمنين وهذه المناداة تقتضي وجوب سماع الأمر المنادى به واتباعه.

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ المراد بهم الكفار والمشركون؛ لأنهم بشركهم وكفرهم يعدون أعداء الله، وأعداء لرسوله، وأعداء للمؤمنين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أصدقاء .

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ أي: توالونهم، وتصاحبونهم، وتسرون لهم أسرار رسول الله -ﷺ- والمؤمنين ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: كفروا بدينكم ورسولكم، وأخرجوا رسولكم، وأخرجوكم من دياركم، وآذوكم، وحاربوكم؛ لأنكم آمنتم بربكم، كما قال-تعالى-: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا

(١) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين، باب: ما جاء في التأولين، (رقم ٦٩٣٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر، (رقم ٢٤٩٤).

بِاللّٰهِ رَبِّكُمْ ﴿١﴾ إِنْ فَكَيْفَ تَكُونُ مِنْكُمْ مُودَّةٌ لَهُمْ وَمَحَبَّةٌ مَعَهُمْ؟.

﴿٢﴾ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَأَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ ﴿٣﴾ أَي: إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ فَلَا تُوَادُّوهُمْ ﴿٤﴾ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ﴿٥﴾ أَي: أَعْلَمُ مَا أَخْفَيْتُمْ فِي صُدُورِكُمْ، وَمَا أَعْلَنْتُمُوهُ عَنْ سَبَبِ مَكَاتِبَتِكُمْ لِلْمَشْرِكِينَ.

﴿٦﴾ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٧﴾ أَي: مَنْ يَفْعَلُ المَوَالَاةَ وَالْمَحَبَّةَ لِلْمَشْرِكِينَ فَقَدْ سَلَكَ مَسْلَكًا مُخَالِفًا لِدِينِ اللَّهِ، وَضَالًّا عَنْ سَبِيلِهِ ﴿٨﴾ إِنْ يَتَّقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٩﴾ أَي: إِنْ يَظْفَرُوا بِكُمْ، وَيُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ، فَلَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِيكُمْ، بَلْ سَوْفَ تَزْدَادُ عِدَاوَتَهُمْ لَكُمْ، وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ بِالْقَتْلِ وَالتَّنْكِيلِ وَالطَّرْدِ، وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْقَوْلِ الْفَاحِشِ وَالشَّتْمِ وَالْأَذَى، وَيُودُونَ أَنْ تَرْجِعُوا عَنْ دِينِكُمْ، فَتَكُونُوا كَفَارًا مِثْلَهُمْ.

﴿١٠﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴿١١﴾ أَي: إِذَا وَالْيَتَمُ الْمَشْرِكِينَ، وَأَسْرَرْتُمْ إِلَيْهِمُ الْمُودَةَ بِسَبَبِ وَجُودِ أَوْلَادِكُمْ وَأَرْحَامِكُمْ بَيْنَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ لَنْ يَنْفَعُوكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا جَوَابُ لِمَا قَالَهُ حَاطِبُ

بن أبي بلتعة، وما قد يدعيه غيره في الحاضر والمستقبل بمثل ما ادعاه؛ لأن موالاة المشركين ومن في حكمهم من الكفار معاداة لله ودينه، ومن يعاد الله فلن ينفعه ولد ولا مال ولا رحم.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: يحكم بينكم في ذلك اليوم، فلا أولادكم ولا أرحامكم يردون عنكم شيئاً من العذاب إذا واليتم المشركين والكفار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: بصير بعباده، فراقبوا أعمالكم، وتوبوا إلى الله من موالاة أعدائه.

أحكام وفوائد الآيات:

- تحريم موالاة الكافرين، أو محبتهم، أو الركون إليهم، أو مناصرتهم على المسلمين، كما قال -عَلَيْهِ السَّلَام-: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال -عز ذكره-: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، وقال -تقدست أسماؤه-: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴿٢٨﴾ [آل عمران: ٢٨].

- قبول توبة الموالي لهم إذا ألجأته ضرورة قصوى، وكان في نفسه صالحاً مؤمناً، وهدفه اتقاء شرهم، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة.

- أن من يتجسس على المسلمين بإفشاء أسرارهم للعدو يُعد خائناً، وتجري عليه أحكام الخيانة.

- أن المؤمن قد يُخطئ وَيُضْعَفُ، كما وقع من حاطب بن أبي بلتعة-رضي الله عنه، ولكن لا يُخْرِجُهُ ذلك من الإسلام.

- أن مَنْ يتجسس على المسلمين بإفشاء أسرارهم للعدو يُعدُّ خائناً، وتجري عليه أحكام الخيانة.

- تقرير سلوك الأعداء، وأنهم لن يرحموا المسلمين، فإذا ظهروا عليهم قتلوهم، ونكلوا بهم، وأذوهم بالقول والفعل، وهذا ما حدث بالفعل في كل تاريخ المسلمين الذين تعرضوا للغزو من التتار والصليبيين القدماء والجدد.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا

لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا
بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا أُسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ
اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ
يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ
﴿٦﴾ .

بيان الآيات:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ﴿٤﴾ لما

حرم الله-جل وعلا- على المؤمنين موالاة الكافرين في الآيات السابقة؛
لما فيها من الخطر على دينهم وعليهم، أرشدهم إلى أن يتأسوا بنبيه
إبراهيم-عليه السلام- وأتباعه الذين آمنوا معه.

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ ﴿٥﴾ أي: نتبرأ منكم ومن الأصنام التي تعبدونها من

دون الله، وكفرنا بكم وبدينكم، وما تعملونه من الشرك والكفر.

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ أي: أصبحنا أعداء لكم، نبغضكم إلى الأبد ما دمتم على شرككم ﴿حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ أي: سنبقى على عداوتنا لكم إلى أن تتركوا الشرك، وتعبدوا الله وحده.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: أن لكم أيها المؤمنون التأسي والافتداء بإبراهيم وقومه إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه كان على وعد منه أن يترك الشرك، فلما تبين له أنه عدو لله بسبب شركه وكفره تبرأ منه، فلهذا لا تستغفروا لمن مات من آبائكم وأمهاتكم على الشرك، كما نهى إبراهيم عن ذلك.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أي: توكلنا عليك في أمورنا كلها، وأنبنا إليك أي: رجعنا إلى توحيدك وطاعتك ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي: المعاد في يوم القيامة.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تظهرهم علينا، ولا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيعذبونا، وينتقموا منا ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾ أي: تجاوز عن سيئاتنا وخطايانا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي:

القاهر الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرك وحكمك.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾ هذا توكيد لما سبق من حث على التأسي بإبراهيم وأتباعه،
والمراد: أنه لا يقدر عليه إلا من كان يرجو الله، ويخافه، ويؤمن
بالبعث والنشور، ويخاف من أهوال يوم القيامة.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يعرض عما أمره الله به من معاداة الكافرين،
والتأسي بالصالحين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: غني بذاته العلية
عن إيمان خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ أي: المستحق للحمد، والمحمود في الحال
والمقال.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب التأسي بالصالحين والافتداء بهم، كما قال-عز وجل-على
لسان نبيه يوسف في اقتدائه بآبائه وأجداده الأنبياء: ﴿وَاتَّبَعْتُ
مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ
بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨].

- تحريم موالة الكافرين، ولو كانوا أقرب الأقرباء، وأعز الأعماء، كما
سبق ذكره وشاهده: قول الله-عز وجل-: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

ءَامِنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ [التوبة: ١١٣].

- أن العداوة للكافرين يجب أن تستمر إلى أن يكون إيمانهم خالصاً
لله وحده.

﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً
وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ
يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
قَتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ
أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً﴾ ﴿٧﴾ لما
حرم الله موالاة الكافرين عطف على ذلك بما قد يكون سبباً لموالاتهم،
وهو دخولهم في الإسلام، وبراءتهم من الشرك والكفر، وهذا هو ما
حدث، فبعد أن فتح الله مكة لرسوله، ودخل أهلها في الإسلام،
أصبحوا إخواناً للمسلمين، وسادت المودة والمحبة بينهم، بعد ما زال

سبب العداوة؛ فأبو سفيان وزوجته هند كانا من أشد الأعداء لرسول الله - ﷺ - وللمسلمين، ثم هداهما الله للإسلام، ومثلهما خالد بن الوليد سيف الله المسلول، فالحمد لله على ما قدره من دخول غالب المشركين في الإسلام، وله المنة على غفرانه لما سلف من ذنوبهم، كما قال - عز وجل -: ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: لا ينهاكم الله عن الإحسان إلى الكفار الذين لا يقاتلونكم في دينكم، ولم يضايقوكم للخروج من دياركم (أن تبروهم) أي: تحسنوا إليهم (وتقسطوا إليهم) أي: تنصفوهم، وتعاملوهم بالعدل والإحسان وحسن الأخلاق.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: المحسنين والعادلين، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله - تعالى -: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ قال: «أن تستغفروا لهم، و﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ قال: وهم الذين آمنوا بمكة، ولم يهاجروا».

﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ

دِيرِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴿١﴾ أي: إنما ينهاكم عن مولاة الذين قاتلوكم من أجل دينكم، وأخرجوكم من دياركم؛ بسبب تمسككم بدينكم، وظاهروا على إخراجكم أي: أعانوا على إخراجكم منها (أن تولوهم) أي: توالوهم ﴿٢﴾ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣﴾ أي: من يتولهم فإنه ظالم لنفسه، وسوف يلاقي العذاب يوم القيامة.

أحكام وفوائد الآيات:

- أنه في مسألة مولاة الأعداء يجب التفريق بين ثلاث حالات:

الحالة الأولى: حالة الأعداء الذين يقاتلون المسلمين، إنكاراً لدينهم، أو طعناً فيه، أو طمعاً في أرضهم، أو أموالهم، فهؤلاء تحرم مولاتهم على الإطلاق، ما لم يكن المسلمون في حالة ضعف، فإن كانوا كذلك جازت مولاتهم، كما قال-تعالى-: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وهذا يستوجب بالضرورة عدم بقاء المسلمين على ضعفهم وحالهم تلك، بل عليهم تقوية أنفسهم، كما قال-تعالى-: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الحالة الثانية: حالة الأعداء الذين لا يتوقع منهم عداء، أو لا قدرة لهم على العداوة، فهؤلاء يجوز الإحسان إليهم، وعدم عداوتهم، مثل: الشيوخ، والأطفال، والنساء، والمعتزلين للقتال، وشاهد ذلك في حديث أسماء بنت أبي بكر-رضي الله عنهما-، قالت: «قدمت أُمِّي وهي مشركة في عهد قريش، إذ عاهدوا رسول الله -ﷺ- مع أبيها، فاستفتيت رسول الله -ﷺ-، فقلت: إن أُمِّي قدمت، وهي راغبة، أفأصلُّها؟، قال: «نعم! صلي أُمك»^(١).

الحالة الثالثة: حالة المعاهدين، كما هو الحال في هذا الزمان الذي ينتظم فيه الأعداء والأصدقاء في معاهدات جماعية، أو ثنائية، فالموالة في هذا موالة ظاهرة، توجبها ظروف الزمان، وتشابك المصالح.

- وجوب العدل مع الأعداء؛ لأن الله أمر بالعدل في عمومهِ في قوله-عز وجل-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، هذا يشمل الصديق والعدو، وقد ضرب المسلمون في تاريخهم أروع الأمثلة في العدل مع أعدائهم، ويجب أن يكونوا على كذلك كما كانوا.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: صلة المرأة أمها ولها زوج، (رقم ٥٩٧٩) ومسلم في كتاب الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين، (رقم ١٠٠٣).

- أن ﴿عَسَى﴾ من الله تفيد وقوع ما يرجى بها ووجوده لا محالة، بخلافها من غير الله فهي للترجي والتوقع، وقد يقع ما يُترجى بها، وقد لا يقع^(١).

- أن العلاقات في المجتمع ينبغي أن تقوم على الأخوة في الله قبل الرحم والنسب.

- جواز معاملة أهل الذمة بالإحسان، وجواز الاحتفاء بأعيانهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُرُهُنَّ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْءَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقْتُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَنْ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابْتُمْ فَعَاتُوا ۚ وَالَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَّا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ۚ﴾

(١) أيسر التفاسير، (٤/٢٢٤).

بيان الآيتين:

هاتان الآيتان نزلتا بعد صلح الحديبية، فعن المسور بن مخرمة ومروان - يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه - قالوا: خرج رسول الله - ﷺ - زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق...، فذكر الحديث بطوله، وفيه قوله: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله - ﷺ - لأصحابه: «قوموا، فانحروا، ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله! أتحب ذلك؟، اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك، فيحلقك، فخرجن فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه، فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا، ثم جاء نسوة مؤمنات، فأنزل الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حتى بلغ: ﴿بِعِصْمِ الْكُوفِرِ﴾ فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي - ﷺ - إلى

المدينة»^(١).

وقد نص في وثيقة الصلح بين رسول الله -ﷺ- والمشركون على أن من لحق برسول الله -ﷺ- من مكة رده إليها، ولو كان مسلماً^(٢)، وكان هذا الشرط عامّاً يشمل الرجال والنساء، وقد أيد الله هذا الشرط بالنسبة للرجال، أما بالنسبة للنساء فاستثناهن؛ ذلك أن أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط جاءت مهاجرة من مكة إلى المدينة، فلحق بها أخوها؛ ليرداها إلى مكة، فنزل قول الله -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾^(٣) أي: إذا جاءكم المؤمنات يردن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام.

﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾
أي: إن وجدتموهن مؤمنات، وأن هدفهنّ الفرار بدينهنّ ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي: لا تعيدوهنّ إلى أهل الشرك ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ أي: لا يحلن لأزواجهنّ المشركين،

(١) صحيح البخاري، (٥/ ٩٢٣ - ٢٣٣)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، (رقم ٢٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب: كيف يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان؟، (رقم ٢٦٩٩) ومسلم في كتاب الجهاد، باب: صلح الحديبية في الحديبية، (رقم ١٧٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب: ما يجوز من الشروط في الإسلام، (رقم ٢٧١١).

ولا المشركين يحلون لأزواجهم المؤمنات، وهذا خلاف لما كان سائداً في الجاهلية، حيث كان المشرك يتزوج المؤمنة.

﴿وَعَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ أي: أعطوا الكفار أزواج المؤمنات اللاتي هاجرن ما أعطوه من مهر لهنَّ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: تتزوجوهن إذا آتيتموهن أجورهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ أي: لا تتزوجوا المشركات .

﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ أي: اطلبوا ما أنفقتم على أزواجكم اللاتي ذهبن إلى الكفار، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ قال: «أصحاب محمد أمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة، قعدن مع الكفار».

﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ أي: ليطلبوا ما أنفقوا على زوجاتهم اللاتي ذهبن مهاجرات إلى المسلمين ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: هذا قضاؤه الذي قضاه في الصلح، وعدم شموله للنساء.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بأحوال عباده، وحكيم فيما

يقضيه لهم، وما يأمرهم به، وما ينهاهم عنه.

﴿وَأِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي: إن ذهب بعض نساء المؤمنين مرتدات، ولحقن بالمشركين ﴿فَعَاقِبْتُمْ فَتَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ أي: من ذهبت زوجته من المسلمين إلى الكفار، وفاتت عليه، وجب أن يعطيه المسلمون بدل ما أنفقه، وذلك لأن الكفار يأخذون بدل ما يذهب من أزواجهم إلى المسلمين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ﴾ أي: أطيعوه، واخشوا عقابه إذا خالفتم أحكامه وقضائه.

أحكام وفوائد الآيتين:

- الحكم بأن المرأة المسلمة لا تحل للكافر، بل يجب طلاقها منه؛ لأنه لا يحل لها، ولا تحل له، ويعطى بدل ما أنفقه عليها من مهر وخلافه، ويجوز لها بعد ذلك النكاح من زوج مسلم حسب شروط النكاح، ومنها: الولي، والشاهدان، واستبائها بالعدة.

قلت: والحكم في عدم حل المرأة المسلمة للزوج غير المسلم باقٍ على أصله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن قد تتور مشكلة أولادها الصغار، فإذا تركتهم سوف يكونون عند أبيهم،

ويدينون بدينه، كما قد تثور مشكلة أخرى تتعلق بحالها، فقد لا يكون لها عائل يعولها، أو تكون مضطرة لأي سبب من أسباب الضرورة، ففي هذه الحال يجب النظر في حالها من قبل القضاء الشرعي.

- أن المرأة المسلمة لا تحل للكافر، بل يجب طلاقها منه، وكذا المسلم لا يجوز استمرار زواجه بالمشركة.

- أنه لا يجوز للمسلم استمرار زواجه من المرأة المشركة، أو التي ارتدت، ولحقت بالمشركين، وله أن يطالب بما أنفق عليها، وهذا خاص بالمشركة؛ لأنها تحرم عليه أصلاً، خلافاً للكتابية؛ فإنها تحل له ولو بقيت على دينها، كما أنه يحق للكافر الذي أسلمت زوجته، وهاجرت إلى بلاد المسلمين أن يطالب بما أنفقه عليها من مهر وخلافه.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامِنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُّوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا
يَيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

بيان الآيتين:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ
فَبَايِعَهُنَّ﴾ هذه الآية نزلت في بيعة النساء، فقد ثبتت عن عروة أن

عائشة-رضي الله عنها-زوج النبي-ﷺ-أخبرته أن رسول الله-ﷺ-

كان يمتحن مَنْ هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله-تعالى:-

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ
فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال عروة: قالت

عائشة: «فَمَنْ أَقَرَّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله-ﷺ:-

«قد بايعتك» كلاماً، ولا والله ما مَسَّتْ يَدُ امرأة قط في المبايعة، ما

يبايعهنَّ إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك»^(١)، وهذه الشروط: ألا يشركن بالله، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا ينسبن إلى أزواجهن ولدًا غير ولده، ولا يعصين رسول الله - ﷺ - في ما أمر به من المعروف.

ولما فتح مكة، وفرغ من مبايعة الرجال، بايع نساء قريش، وشرط عليهن في البيعة: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾، فقالت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان: «والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيـناك أخذته على الرجال»، قال: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ قالت هند: «والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة والهنة. قال أبو سفيان-وكان حاضراً:- أما ما مضى فأنت منه في حل، فقال رسول الله - ﷺ -: «أهند»؟، قالت: أنا هند، فاعف عما سلف عفا الله عنا، قال: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ قالت: وهل تزني الحرة؟، قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ قالت: قد ربينا هم صغاراً، وقتلتهم يوم بدر، فأنت وهم أعلم قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَيْنِ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ﴾ قالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، قال:

(١) صحيح البخاري، (٥٠٤/٨)، كتاب التفسير، سورة الممتحنة، الآية، (رقم ٤٨٩١)، وصحيح مسلم، (١٤٨٩/٣)، كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء، (رقم ١٨٦٦).

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن

نريد أن نعصيك في معروف^(١)، فقال رسول الله -ﷺ- لعمر:

«بايعهن»، ثم استغفر لهن رسول الله -ﷺ-، فبايعهن عمر، وكان-

عليه الصلاة والسلام- لا يمس النساء، ولا يصافح امرأة، ولا تمسه

امرأة إلا امرأة أحلها الله له، أو ذات محرم منه^(٢)، وأخرج مسلم

بسنده عن أم عطية قالت: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ

لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَ وَلَا يَزْنِيَ وَلَا يَقْتُلَ أَوْلَدَهُنَّ

وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي

مَعْرُوفٍ﴾ قالت: كان منه النياحة، قالت: فقلت: يا رسول الله! إلا

آل فلان، فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية، فلا بد لي من أن

أسعدهم، فقال رسول الله -ﷺ-: «(إلا آل فلان)^(٣).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لقد

بدأ الله هذه السورة بالنهي عن موالاة أعداء الله وأعداء المؤمنين، ثم

ختمها بهذا النهي، والمراد: لا توالوا، ولا تحبوا قوماً غضب عليهم، وهم

(١) تفسير الطبري، (٢٢/٥٩٦).

(٢) أخرجه البخاري بمعناه في كتاب التفسير، باب: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُكَ﴾، (رقم ٢٧١١).

(٣) الصحيح، (٢/٦٤٦)، حديث بعد رقم (٩٣٦)، كتاب الجنائز، باب التشدد في النياحة.

أَسْلَافَ الْيَهُودِ، وَسَائِرَ الْكُفَّارِ مِمَّنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ، وَمَعَادَاتِهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿قَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾
أي: من الجنة ونعيمها.

﴿كَمَا يَيْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أي: أنهم يئسوا من الجنة كما يئس الكفار الذين ماتوا، وعرفوا أنه لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها، بسبب أعمالهم الفاسدة في الدنيا.

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير بيعة النساء، ولولي الأمر أن يبايعهن كما يبايع الرجال، اقتداء برسول الله - ﷺ -.
- تحريم الشرك، والسرقه، والزنا، وقتل الولد، وإلحاق الولد بغير أبيه، والكذب، وعصيان ما جاء به رسول الله - ﷺ -.
- أن بيعة النساء دلالة على تكريم هذا الدين لهن.
- تحريم مصافحة النساء للرجال الأجانب عنهن، اقتداء برسول الله - ﷺ -.
- تحريم موالاته من غضب الله عليه بسبب معاداته للإسلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الصف

مدنية، وآياتها أربع عشرة آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ❶ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ❷ كَبُرَ مَقْتًا
 عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ❸ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ
 فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ مَرْصُوصًا ❹﴾.

بيان الآيات:

عن عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- قال: «قعدنا نفر من أصحاب رسول
 الله -ﷺ- فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه،
 فأنزل الله -تعالى-: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❶ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا
 تَفْعَلُونَ﴾»^(١).

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ❷﴾ أي: قدَّسه، وعظَّمه

(١) أخرجه الترمذي في السنن، (٤١٢/٥-٤١٣)، (رقم ٣٣٠٩)، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة
 الصف، وأخرجه ابن حبان في صحيحه الإحسان، (٤/١٠)، (رقم ٤٥٩٤)، وأخرجه الحاكم، وصححه،
 ووافقه الذهبي، المستدرک، (٦٩/٢)، وصححه الحافظ ابن حجر، فتح الباري، (٥٠٩/٨).

جميع من في الكون بلسان مقالهم وحالهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الغالب بقوته وعظمته ومراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وتصريفه لخلقه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ هذه الآية نزلت في نفر كانوا يقولون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناها، فأنزل الله قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ فلما كان يوم أحد نكلوا، فعاقبهم الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ^(١) أي: إن من أبغض الأعمال عند الله التظاهر بالقول دون الفعل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ أي: يحب ويقدر الذين يجاهدون في سبيله، وهم صافون متهيئون للقتال.

﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾ أي: مثلهم في الانضباط مثل البنين المرصوص بعضه فوق بعض، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله- تعالى:- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد عن مقاتل بن حيان، لكنه معضل.

صَقًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُوفٌ ﴿١﴾ قال: «ألم تر إلى صاحب البنيان؟ كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟، كذلك-تبارك وتعالى-لا يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله؛ فإنه عصمة لمن أخذ به».

أحكام وفوائد الآيات:

- الإنكار والتنديد بمن يعد وعدًا، أو يقول قولًا لا يفي به، فإن قال المرء عن نفسه قولًا لم يفعله فهذا من باب الكذب، والكذب من النفاق؛ إذ إن المنافق يتظاهر بفعل الفعل، سواء في علاقته مع ربه، أم من يتعامل معه، وقد وصف رسول الله -ﷺ- هذا العمل أنه من النفاق بقوله: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»^(١)، وقوله: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا: ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها»، فذكر منهن إخلاف الوعد^(٢)، وإن كان يقول قولًا يقصد به فعل شيء في المستقبل، فلم يفعله، فهذا إخلاف للوعد، وهذا-أيضًا-

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، (رقم ٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، (رقم ٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، (رقم ٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، (رقم ٥٨).

من علامات النفاق.

- فضل الجهاد في سبيل الله، والانضباط في القتال، وهذا من أهم قواعد الحرب في الماضي والحاضر؛ إذ إن انضباط المقاتلين والتزامهم آداب القتال أحد عوامل الانتصار في الحرب، وما كانت أمة لتهزم في قتالها مع عدوها إلا بسبب عدم انضباطها في قولها وفعلها وسلوكها وتصرفها قبل الحرب وأثناءها.
- استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفًا كصفوف الصلاة، وأنه يُسْتَحَبُّ سَدُّ الْفُرَجِ وَالْخِلَالِ فِي الصَّفُوفِ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومَ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ .

بيان الآيتين:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومَ﴾ هذا بيان من الله لرسوله

محمد-ﷺ- يخبره فيه أن موسى قال لقومه: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي: كيف تكيدون لي وتكذبونني، وأنتم تعلمون أنني مرسل من الله إليكم، ابتغاء هدايتكم ونجاتكم؟.

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: لما مالوا عن الحق إلى الباطل، واتبعوا أهواءهم، وكذبوا ما جاءهم به نبيهم، أزاع الله قلوبهم أي: صرفها عن الحق، وألبسهم لباس الريب والشك، فضلوا سواء السبيل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين يضلون عن سبيله، فيتبعوا الباطل، ويتركوا الحق.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ في هذا بيان من الله يخبر فيه رسوله محمداً-ﷺ- أن عيسى ابن مريم قال لبني إسرائيل: إن الله أرسلني إليكم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: أجدد ما في التوراة التي تقرأونها، ولم آت بشيء من عندي تستنكرونه، وتعجبون منه.

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ أي: جئكم- أيضاً- أبشركم بأن رسولا يأتي من بعدي، واسمه أحمد، يجدد دين

الله، ويدعو الناس إلى توحيد الله، وطاعته، وعدم الشرك به، ويأمر بالصلاة والزكاة ومكارم الأخلاق.

وأخرج البخاري عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»^(١).

وفي حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «بعثنا رسول الله -ﷺ- إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، منهم: عبد الله بن مسعود، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، وعبد الله بن عرفة، فأتوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو ابن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالوا له: إن نفرًا من بني عمنا نزلوا أرضك، ورجبوا عنا وعن ملتنا، قال: فأين هم؟، قالوا: هم في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلم، ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟، قال: إنا لا نسجد إلا لله -ﷻ-، قال: وما ذاك؟، قال: إن الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله -ﷻ-، وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو بن

(١) أخرجه البخاري، (٥٠٩/٨)، كتاب التفسير، سورة الصف، الآية، (حديث ٣٨٩٦).

العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟، قال: نقول كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: هو كلمة الله، وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسسها بشر، ولم يفرضها ولد، قال: فرفع عودًا من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسَّيسين والرهبان!، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وإنه الذي في الإنجيل، وإنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه، وأمر بهدية الآخرين، فردت إليهما»^(١).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قيل: المراد محمد، وقيل: المراد عيسى
﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر لا يحتاج إلى دليل.

أحكام وفوائد الآيتين:

- أن من زاغ عن الحق، واتبع الباطل، أزاع الله قلبه، وأضله عن سواء السبيل.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (٤٠٨/٧)، (رقم ٤٤٠٠)، والحاكم في المستدرک، (رقم ٣٢٥٠)، وصححه، ووافقه الذهبي.

- أن أسلاف اليهود آذوا نبيهم موسى، كما قال -ﷺ- عنهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

- أن أسلاف اليهود كذبوا رسالة عيسى رغم إقناعه لهم بأنه مصدق للتوراة التي بين أيديهم، كما أنهم كذبوا رسالة محمد -ﷺ- التي بشر بها عيسى ومن قبله موسى -عليهما السلام-.

- بشارة عيسى برسولنا محمد -ﷺ-.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٧ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ٨ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ٩ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله، فيجعل له ندًا أن يجعل له ولدًا، وهو يدعى إلى الإسلام، الذي يبين له طريق

الحق من الضلال ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يبين الله لهم الحق، فيميلون عنه إلى الباطل.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: يريدون باتباعهم الباطل أن يطفئوا بأفواههم نور الحق الذي جاء به القرآن، وبعث به الرسول إليهم، وهم في ذلك كمن يحاول إطفاء نور الشمس بفيه. ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ هذا حكم من الله حكم به بأن نوره لن ينطفئ، وأن هذا النور سيتم لا محالة، وذلك بانتصار دين الله، وهزيمة الباطل الذي يمثله المشركون والكافرون ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ أي: لو كرهوا تمامه فإنه واقع بلا ريب.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أي: أن الله هو الذي بعث رسوله محمدًا إلى الثقلين: الجن والإنس، يدعوهم إلى الهدى ودين الإسلام، الذي يهديهم إلى الصراط المستقيم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: ستكون له الغلبة، ويكون له العلو في الأرض، فلا يبقى دين إلا هو

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أي: سيظهر الله دينه، ويعلي كلمته، ولو كره ذلك المشركون والكافرون.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن في الآية (٧) إخبارًا مستقبليًا بأن الله - ﷻ - لا يُوفِّق الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك.

- أن الظلمة يحاربون الحق، وينصرون الباطل بعد أن سيطر الظلم والضلال على عقولهم.

- تحريم الكذب على الله، وأنه لا أحد في الأرض أظلم ممن يكذب عليه، كما قال - ﷻ -: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعْ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

- أن الله حكم - وحكمه الحق - أن نور الإسلام سوف يظهر، ويعم أرجاء الأرض، مهما حاول المبطلون الصد عنه، وهو ما حدث، فما من بلد في الأرض إلا وقد دخله الإسلام.

- أن الله أرسل رسوله محمدًا - ﷺ - بالهدى ودين الإسلام لما فيه خير العباد وسعادتهم في دنياهم وأخراهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنجيكم مِّنْ

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ .

بيان الآيات:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْلكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنجيكم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سبقت الإشارة إلى أن نفراً من الصحابة سألوا رسول الله - ﷺ - عن أحب الأعمال إلى الله - ﷻ - ليعملوها، فأنزل الله هذه الآية ^(١).

وقد بين الله لهم هذه التجارة، وهي قوله - ﷻ -: ﴿تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تؤمنون بالله حق الإيمان، وتؤمنون بما جاء به رسوله، وتقاتلون أعداء دين الله بالأموال والأنفس، ففي هذا كل الخير، وهو أفضل من تجارة الدنيا إن كنتم تعلمون، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا

(١) تفسير الطبري، (٢٢ / ٦٠٧).

الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿١٦٥﴾ قال:
فلولا أن الله بينها ، ودل عليها المؤمنين، لتلهف عليها رجال أن يكونوا
يعلمونها، حتى يضمنوا بها، وقد دلکم الله عليها، وأعلمکم إياها، فقال:
﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ﴾
أي: إن فعلتم ما أمرتكم به، وبينت لكم فوائده، فسوف يغفر لكم
ربكم خطاياكم، وسوف تنعمون بجناته، وبالمساكن الطيبة في جنات
الخلد، كما قال-تعالى:- ﴿وَمَسَاكِينٍ ظِيبَةٍ فِى جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ ، ثم
قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: هذا الفوز الذي لا فوز بعده إلا
رضا الله.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي: وزيادة على هذا الثواب سيكون لكم
﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: ينصرکم على أعدائکم، وفتح
عاجل تقرّ به أعينکم، وهو فتح مكة .

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بشر يا نبينا ورسولنا محمداً المؤمنين

بهذا الفوز العظيم الذي سيكون لهم في الدنيا والآخرة، إذا فعلوا ما أمروا به من الإيمان والجهاد في سبيل الله.

أحكام وفوائد الآيات:

- فضل الجهاد في سبيل الله، وهو على نوعين: الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال، وفيه قول الله-عز وجل-: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]. وقوله-عز ذكره-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٧٤].

- بشارة الله للمؤمنين بالفتح الذي سيكون لهم، وقد تحقق ذلك بفتح مكة والفتوحات الأخرى

- أن في الآية (٨) إخباراً مستقبلياً بأن النصر والعاقبة للإسلام، وأنه سيعم الأرض.

- أنه ورد في الآية (١١) ذِكْرُ أربعة عناصر يُقَدِّمُهَا المؤمن، ويكون جزاؤه في أربعة أمور عظيمة، كما في الآيتين: (١٢) و (١٣).

- أن في الآيات إخباراً مستقبلياً عن جزاء الذين يداومون على

إيمانهم بالله ورسوله، ويجاهدون في سبيل الله؛ لنصرة دينه بما يملكون من الأموال والأنفس، فَإِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- سينصرهم على عدوهم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

بيان الآية:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ لما بَيَّنَّ الله -سُبْحَانَهُ- في الآية السابقة أن الإيمان والجهاد في سبيله هما التجارة الرباحة نادى المؤمنين أن ينصروا دين الله، وأن يقولوا كما قال الحواريون لعيسى ابن مريم لما دعاهم قائلاً: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾.

﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ أي: لما قام عيسى بإبلاغ رسالة ربه، وناصره الحواريون-وهم أتباعه-آمنت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، فصدقته، واتبعته، وطائفة

كفرت بما جاء به، واتهمت أمه بالبغي، وطائفة غلت فيه، فجعلته في منزلة الربوبية، فقالت: إنه ثالث ثلاثة.

﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: أيدنا الذين آمنوا

برسالته، وصدقوه .

﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: صاروا غالبين، ومع مرور الزمان

غلبت الطوائف الفاسدة، فضيع بنو إسرائيل دين الله، وأفسدوه، ولم يبق إلا قلة من المؤمنين، فبعث الله نبيه ورسوله محمداً -ﷺ- داعياً إلى عبادة الله وحده، وتخليص البشرية من رجس الأوثان، فأمن به من بقي من المؤمنين، فأصبحوا ظاهرين بالإسلام على المشركين وسائر الكافرين، وأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن ابن عباس في قوله -تعالى-: ﴿فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ «يعني: الطائفة التي آمنت في زمن عيسى .

﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ يعني: الطائفة التي ظهرت في زمن عيسى

﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في زمن عيسى .

﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ بإظهار محمد -ﷺ- دينهم على دين الكفار

﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(١).

وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:-
﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ قال: «من آمن مع عيسى».

أحكام وفوائد الآيات:

- مناداة الله للمؤمنين أن يستجيبوا لرسول الله محمد-ﷺ،
وينصروه كما فعل الحواريون أتباع عيسى لما دعاهم إلى
نصرته، وقد استجاب المؤمنون لهذا النداء، فآزر الأوس
والخزرج رسول الله-ﷺ، وعاهدوه على إيوائه ونصرته،
ثم استقبلوه في المدينة، واستقبلوا المهاجرين معه، ووفوا
بما عاهدوه عليه، فرضي الله عنهم وعن المهاجرين،
وأرضاهم على ما فعلوا من نصره دين الله ونصرة رسوله.

(١) المصنف، (١٧ / ٥١٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجمعة

مدنية، وآياتها إحدى عشر آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ١ .

بيان الآية:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله - عز وجل - أن كل من في السماوات ومن في الأرض يسبح بحمده، فهو ﴿الْمَلِكِ﴾ أي: المالك لكل ما في الكون، المتصرف فيه، لا أمر إلا له، ولا حكم إلا له، ولا قوة إلا له، ولا عظمة إلا له، وهو ﴿الْقُدُّوسِ﴾ أي: المنزه في ذاته وصفاته عن المعاييب والنقائص، وهو ﴿الْعَزِيزِ﴾ بقوته وعظمته، الغالب في مراده ﴿الْحَكِيمِ﴾ في تدبيره وتصرفه في خلقه.

أحكام وفوائد الآية:

- أن جميع المخلوقات من النواطق والجوامد تسبح لله وحده، كما قال - عز وجل -: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا يدل على فضل التسبيح لله - عز وجل - وتحميده وتكبيره؛ لما في ذلك من الأجر العظيم؛ لقول رسول الله - ﷺ -: «فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة»^(١).

- أن الله - عز وجل - هو المالك المطلق للسموات والأرض ومن فيهنّ، وأنه المنزه عن المعاييب، الموصوف بصفات الجلال والكمال، العزيز بعظمته، والحكيم في تدبيره وتصرفه.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الأميون هم: العرب؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب من قبل، فكون رسول الله -

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة الضحى، (رقم ٧٢٠).

ﷺ- يبعث منهم وهو أُمِّيٌّ دليل على معجزته، أخرج الطبري بسند ثابت عن قتادة في قوله- تعالى:- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾ قال: «كان هذا الحي من العرب أمة أمية، ليس فيها كتاب يقرؤونه، فبعث الله نبيه محمدا رحمة وهدى يهديهم به».

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾ أي: يتلو عليهم القرآن الذي أنزل إليه من ربه هداية، ورحمة لهم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم، ويزكي قلوبهم، ويشرحها بالإيمان واليقين ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: السنة، كما أخرج الطبري بسند ثابت عن قتادة في قوله- تعالى:- ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ قال: «السنة».

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: كانوا قبل بعثه فيهم في ضلال مبين، وذلك أن الشرك كان ظاهراً فيهم، إلى جانب فساد معاملاتهم، وتقاتلهم فيما بينهم، واتباعهم لأهوائهم، وعصبيتهم، وانغماسهم في جاهليتهم.

﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قيل: المراد بهذا من كان من غير العرب كأهل فارس، وكل من صدق رسول الله -ﷺ- من

غير العرب، وفي حديث أبي هريرة قال: «كنا جلوساً عند رسول الله - ﷺ -، فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: قلت: من هم يا رسول الله؟، فلم يراجعه حتى سئل ثلاثاً، وفيما سلمان الفارسي، وضع رسول الله - ﷺ - يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال-أو رجل-من هؤلاء»^(١).

وأخرج ابن أبي عاصم بسند ثابت عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ فِي أَصْلَابِ أَصْلَابِ أَصْلَابِ رِجَالِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، ثم قرأ: ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: ذو العزة التي لا ترام ﴿الْحَكِيمُ﴾ في عدله وقضائه ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: هذا الذي أعطاه الله رسوله من النبوة، وأعطاه

(١) صحيح البخاري، (٥١٠ / ٨)، كتاب التفسير، سورة الجمعة، ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، (رقم ٤٨٩٧)، وصحيح مسلم، (١٩٧٢ / ٤ - ١٩٧٣)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس، بنحوه.

(٢) السنة لابن أبي عاصم، ومعها ظلال الجنة للألباني، (١ / ١٣٤)، وصححه الألباني.

أُمته من الإيمان به وتصديقه هو الفضل العظيم الذي تفضل به عليهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- معجزة رسول الله - ﷺ -، فمع كونه أمياً بعثه الله يتلو على أُمته القرآن، ويطهرها من الشرك، ويشرح صدورها بالإيمان.
- فضل صحابة رسول الله - ﷺ - من العرب ومن غيرهم.
- أن في الآية (٣) معجزةً من معجزات النبوة، وذلك إخبار عن غيب وقع، والبشارة بدخول أُممٍ غير العرب في الإسلام^(١).
- تفضيل القرآن لرسول الله - ﷺ - وأُمته ومن آمن به وصدقه، كما قال- عز وجل:- ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُمُ فَإِنْ سَأَلْتُمُوهُمُ فَقَدْ أَهْتَدَوْا﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

(١) تفسير القاسمي، (١٥٩/٩).

بيان الآية:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ المراد بهم: اليهود الذين أنزلت عليهم على لسان نبيهم موسى؛ لكي يعملوا بمقتضاها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بها مثلهم في ذلك ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أي: مثل الحمار الذي يحمل كتبًا، وهو لا ينتفع بها، ولا يفهم ما فيها، بل هم أسوأ منه؛ لأن لهم عقولاً وبصائر، لو أرادوا لانتفعوا بما فيها، كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ قال: كتبًا، والأسفار جمع سفر، وهي الكتب العظام.

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بئس هذا المثل الذي ضربه الله لهم لتكذيبهم بآيات الله، والإعراض عنها ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، وارتكاب المعاصي رغم ما جاءهم من الهدى.

أحكام وفوائد الآية:

- التنديد بمن يأتيه كتاب من عند الله، ولا يعمل به، أو يكفر به، ووصفه بأسوأ الأوصاف، كما قال-تعالى:- ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ

بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ [الفرقان: ٤٤].

- كفر من يكذب بكتاب الله، كما قال- تعالى:- ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَارُ مَوْعِدَهُ﴾ [هود: ١٧].

- أن في الآية (٥) إخبارًا مستقبليًا بأن الله -ﷻ- لا يُوفِّقُ القوم الظالمين الذين يتجاوزون حدوده، ويخرجون عن طاعته، سواء كانوا في الماضي أم في الحاضر أم في المستقبل.

﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أسلاف اليهود يقولون: نحن أولياء الله وأحباؤه، فأمر الله نبيه أن يقول لهم: إن كنتم

صادقين فيما تقولونه فتمنوا الموت؛ لتكونوا في الدار الآخرة من أولياء الله.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لن يتمنوه أبدًا بسبب تكذيبهم لرسول الله -ﷺ- ورسالته، ومعاداته، وفي هذا قال رسول الله -ﷺ- لما نزلت هذه الآية: «والذي نفس محمد بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات»^(١).

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: يعلم ما يقولون، كما يزعم اليهود أنهم أولياء له من دون الناس.

﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ أي: قل لهم يا نبينا ورسولنا محمدًا: إن الموت الذي تفزعون منه، وتخشون نزوله واقع بكم لا محالة.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: ترجعون إلى الله الذي يعلم كل ما غاب وما خفي في السماوات والأرض ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يحصي عليكم أعمالكم، ويجازيكم عليها بالعدل.

(١) تفسير ابن أبي حاتم، (رقم ٩٤٠)، ودلائل النبوة للبيهقي، (٦/٢٧٤)، وسنده صحيح.

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير كذب أسلاف اليهود بأنهم أولياء الله من دون الناس، كما قال-تعالى:- ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٤-٩٦].

- تقرير واقعة البعث والجزاء، وإحصاء الأعمال، ثم الجزاء عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.
- أن في الآيتين إخباراً مستقبلياً بأن اليهود لا يَتَمَنُّونَ الموت أبداً، إيثاراً للحياة الدنيا على الآخرة، وخوفاً من عقاب الله لهم بسبب ما قَدَّمُوهُ من الكفر وسوء الفعال، وفيهما إخبار مستقبلي آخر، وهو أَنَّ هؤلاء اليهود يعلمون علم اليقين بأنَّهم مذنبون بكفرهم وسوء فعالهم؛ لذلك لا يَتَمَنُّونَ الموت، ويؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ويخافون من عقاب الله لهم، وفيهما إخبار مستقبلي ثالث، وهو

أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- عليم بالظالمين، سواء مَنْ كانوا في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، فهو لا يخفى عليه من ظلمهم شيء.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ هذا أمر من الله -جل وعلا- للمؤمنين أن يقوموا لصلاة الجمعة، والاهتمام بها بعد أن يسمعوا النداء لها، والجمعة من الاجتماع.

وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله -تعالى-: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: «والسعي يا ابن آدم! أن تسعى بقلبك»، وأخرج ابن أبي شيبة بسند حسن عن الحسن البصري في قوله -تعالى-: ﴿

فَأَسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿١﴾ قال: «أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، وقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنيات والخشوع»^(١)، قال أبو جعفر الطحاوي: «قال الله -عز وجل-: ﴿فَأَسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فكان هذا من المتشابه المحتمل للتأويل؛ لأنه يحتمل أن يكون أريد بالسعي سرعة المشي والعدو، ويحتمل أن يكون أريد به السعي بالقلوب والأعمال، لا على الأقدام، أي: يخلص بالسعي إليها حتى لا يكون في ذلك ما يخالطه من غيرها، فنظرنا في ذلك، فوجدنا في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما قد نهى عن السعي والعدو في إتيان الصلاة»^(٢).

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: اتركوا البيع إذا سمعتم النداء للصلاة ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: أن ترككم البيع، وقيامكم للصلاة، وشهودكم لها خير لكم في الدنيا والآخرة.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: إذا فرغتم من أدائها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

(١) المصنف، (٦٤/٢)، وسنده حسن.

(٢) أحكام القرآن، للطحاوي، (١/١٤٩).

تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ أي: إن لكم بعد الفراغ من الصلاة الانتشار في الأرض للبيع أو العمل أو التجارة، ولكن لا تلهوا عن ذكر الله أو تنسوه؛ لأن في ذكره فلاحاً لكم في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ هذه الآية نزلت في الذين كانوا مع رسول الله -ﷺ-، وهو قائم على المنبر يخطب، فلما علموا بالقافلة التي جاء بها دحية الكلبي من الشام من خلال سماعهم للطبول التي تستقبل بها القافلة في العادة، خرج من في المسجد واحداً بعد الآخر، حتى لم يبق مع رسول الله -ﷺ- إلا اثنا عشر رجلاً^(١)، فعاتب الله الذين خرجوا إليها بقوله: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَرَةِ﴾ أي: ما عند الله من الثواب يوم القيامة خير وأبقى وأفضل من التجارة التي خرجتم إليها.

وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ قال: «رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم، وإلى السفر يبتغون التجارة» ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة، (رقم ٩٣٦)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب: في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، (رقم ٨٦٣).

أي: هو الرازق الذي لا رازق إلا هو، فمن توكل عليه، وفوض أمره إليه، رزقه من حيث لا يحتسب.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب صلاة الجمعة، والذهاب إليها عند سماع النداء الثاني، وهذا النداء هو الذي يتم بعد دخول الإمام وجلسه على المنبر، أما النداء الأول فقد أمر به عثمان -رضي الله عنه- في خلافته لما تباعدت بيوت المدينة^(١)، والجمعة فرض على الأعيان، فمن تركها طبع على قلبه؛ لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين»^(٢)، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه»^(٣).

- أنه يستحب الغسل والتطهر لها، والخطبة شرط لانعقادها، ولا تصح إلا بها.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: الأذان يوم الجمعة، (رقم ٩١٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب: التغليظ في ترك الجمعة، (رقم ٨٦٥).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: التشديد في ترك الجمعة، (رقم ١٠٥٢)، والنسائي في كتاب الجمعة، باب: التشديد في التخلف عن الجمعة، (رقم ٣٦٨)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب: فيمن ترك الجمعة بغير عذر، (رقم ١١٢٥)، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود.

- تحريم البيع وأنواع التجارة ونحوها إذا دخل وقتها بالشروع في الأذان الثاني، وقد اختلف الفقهاء في العدد الذي تتم به صلاة الجمعة، فقليل: أربعون^(١)، وقيل: اثنا عشر؛ لأن رسول الله - ﷺ - صلى بهم وهم في هذا العدد^(٢)، وقيل: تصح بما تصح به صلاة الجماعة، وهو اثنان فأكثر.
- الترغيب في ذكر الله، وعدم الغفلة عنه في حال الانتشار لطلب الرزق.
- أن من توكل على الله، وفوّض أمره إليه وعمل الأسباب الموجبة، رزقه من حيث لا يحتسب؛ لأنه خير الرازقين.
- أن في الآية (١٠) دلالة على تقديم الخطبة على الصلاة.

(١) أخرج أبو داود في كتاب الصلاة، باب: التشديد في ترك الجمعة، (رقم ١٠٦٩)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب: في فرض الجمعة، (رقم ١٠٨٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة، (رقم ٩٣٦)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب: في قوله-تعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، (رقم ٨٦٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المنافقون

مدنية، وآياتها إحدى عشرة آية

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ
 جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾
 وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ
 خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ
 قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ روى زيد بن أرقم قال: «كنت مع عمي،
 فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول
 الله حتى ينفضوا. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها
 الأذل. فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي ذلك لرسول الله -ﷺ-، فأرسل
 رسول الله -ﷺ- إلى عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه، فحلفوا أنهم

ما قالوا ذلك، فصدقهم رسول الله - ﷺ -، وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي، فأنزل الله - عز وجل - قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، فأرسل إلي رسول الله - ﷺ -، ثم قال: «إن الله صدقك يا زيد»^(١).

﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: إذا جلسوا عندك في مجلسك أظهروا لك أنهم يعترفون بنبوتك ورسالتك، وهم في بواطنهم على خلاف ذلك، ثم قال - عز وجل -: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ أي: لا حاجة لشهادة المنافقين لرسالتك؛ لأن الله يعلمها ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما أخبروا عن أنفسهم.

﴿اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: جعلوا من أيمانهم الكاذبة جُنَّةً أي: ستارا يسترون به كذبهم حتى لا ينكشفوا، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ قال: «ليعصموا بها دماءهم وأموالهم».

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله - تعالى -: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، (رقم ٤٩٠٠)، ومسلم في أول كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، (رقم ٢٧٧٢).

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بنفاقهم، فصدقهم من لا يعرف حقيقة أمرهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بئس نفاقهم وخبثهم وأيمانهم الكاذبة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: أنهم آمنوا إيماناً ضعيفاً، فسيطر عليهم الشك، فمرضت قلوبهم، فطبع الله عليها، فهم لا يفقهون بسبب ما طبع عليها، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ قال: «أقروا بلا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله-ﷺ-، وقلوبهم منكراً تأبى ذلك».

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي: إذا رأيت هؤلاء المنافقين راقت لك أشكالهم الحسنة ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحتهم، وقوة بيانهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ﴾ أي: تراهم في ضخامة أجسامهم وبلاحتهم مثل الخشب التي لا روح لها ولا فهم.

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا وقعت واقعة أو نازلة من حولهم أصابهم الخوف والهلع بسبب جبنهم وخورهم، كأنها واقعة عليهم ﴿هُمْ أَلْعَدُوُّ فَأَحْذَرُهُمْ﴾ الخطاب لرسول الله-ﷺ-، والمراد:

كن معهم على حذر، ولا تصاحبهم؛ فإنهم أعداء لك ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: هم بمثابة أعداء الله الذين يقاتلهم بسبب عداوتهم ﴿أَنْ يُّؤْفَكُونَ﴾ أي: يصرفون عن الحق.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب الحذر من المنافقين؛ لما يتصفون به من الخداع والكذب والتلبيس على الناس في مظهرهم الكاذب، وحلفهم الأيمان الكاذبة التي يسترون بها نفاقهم، ومن صفاتهم: صدهم عن سبيل الله بما يفعلونه في السر من محاربة المؤمنين، كما قال-عز وجل-عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تَّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٤-١٦].

- أن مظهر الإنسان لا يعكس حقيقته، وهذا يقتضي العمل على معرفة حقيقته قبل الاهتمام بمظهره.

- التحذير من الاستمرار على المعصية، فإنه يُوجب الطبع على القلب، ويحرم صاحبه الهداية.

- أن المنافق يتصف بالجبن والخور والخوف من الحوادث، فما يقع عند غيره من الحوادث يظن أنه واقع به؛ ذلك أن المنافق خائن، ونفسية الخائن تكون دائماً في وجل وخوف من الناس خشية كشف سريرته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، ففي غزوة بني المصطلق اقتتل على الماء

جهجاه بن سعيد الغفاري، وكان أجيئاً لعمر بن الخطاب وسان بن يزيد، فقال سنان: يا معشر الأنصار! وقال جهجاه: يا معشر المهاجرين! وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله -ﷺ-: «ما بال دعوى الجاهلية، دعوها فإنها منتنة»، فلما سمع عبد الله بن أبي ابن سلول ما قاله الرجلان قال: ثاورونا في بلادنا، وقال كلمة خبيثة في حق المهاجرين، وأضاف: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم قال لمن كان عنده من قومه: ما صنعتُم بأنفسكم؟، أحللتُموه بلادكم، وقاسمتُموه أموالكم، أما والله لو كففتُم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها. وقد أخبر رسول الله -ﷺ- بما قاله، فجاء، فحلف بالله أنه ما قال شيئاً مما أثيرَ عنه، فنزلت هذه السورة تكشف كذبه، فقليل له: لقد نزلت فيك آيات شديدة، فإذهب إلى رسول الله -ﷺ- يستغفر لك، فلوى رأسه، وقال: أمرتُموني أن أوْمن فآمنت، وأمرتُموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد! ^(١)، فنزل قول الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ

(١) أسباب النزول للواحدي، (ص ٤٣١ - ٤٣٣).

وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠﴾ .

ثم قال- عز وجل- في حقه وحق من معه من المنافقين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ وفي هذا حكم من الله بأنه لن يغفر لهم، سواء استغفر لهم الرسول أم لم يستغفر لهم، والسبب في ذلك قوله- تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ .

ثم عدد- عز وجل- أسباب فسق ابن سلول، وعدم هدايته هو وأضرابه، فقال: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ وذلك عندما قال لقومه: أما والله لو كففتهم عنهم لتحولوا إلى غيركم؛ إذ كان بهذا يحرض الأنصار على عدم مساعدة المهاجرين، فردّ الله- عز وجل- عليه وعلى أضرابه من المنافقين بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: أن خزائن الرزق عند الله وحده، فهو الذي بيده أرزاق العباد: برهم وفاجرهم، فلا أحد منهم يملك من رزقه شيئاً، إذن فهذا المنافق وأضرابه لا يستطيعون أن يمنعوا رزق الله الذي يعطيه عباده المؤمنين، ولكن المنافقين بسبب ضلالهم لا يفقهون هذه الحقيقة.

ثم ذكر-عز وجل-قول المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول:
﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾
هذه هي مقولة عبد الله بن أبي ابن سلول لما تقابل الأنصاري مع
المهاجر على الماء، وقد تأثر رسول الله -ﷺ- لهذه المقولة الخبيثة،
وأشار عمر-رضي الله عنه- بقتله، فأبى رسول الله -ﷺ-، وقال:
«كيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(١).

ولما رجع رسول الله -ﷺ- وأصحابه إلى المدينة، وكان من عبد الله
بن أبي ما كان من النفاق، وقف ابنه عبد الله، وكان رجلاً صالحاً
من خيرة الأنصار على باب المدينة، واستل سيفه، وجعل الناس
يمرون عليه، فلما جاء أبوه قال له: وراءك. قال: ما لك؟ ويلك!
فقال: والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله -ﷺ-،
فإنه العزيز، وأنت الذليل. فلما جاء رسول الله -ﷺ- شكاه عبد الله
بن أبي ابنه، فقال ابنه: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له،
فأذن له رسول الله -ﷺ-، فقال ابنه: أما إذ أذن لك رسول الله -
ﷺ- فجُز الآن. وقيل: إن ابنه جاء إلى رسول الله -ﷺ-، فقال: «إنه

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ
الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، (رقم ٤٩٠٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب: نصر الأخ ظالماً أو
مظلوماً، (رقم ٢٥٨٤).

بلغني أنك تريد قتل أبي؟، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له، ولئن شئت لآتينك برأسه، فإني أكره أن أرى قاتل أبي»^(١).

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن الله ولرسوله وللمؤمنين النصر والغلبة على أعدائهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وذلك بسبب النفاق الذي أعمى قلوبهم، فلم يعودوا يعلمون شيئاً.

أحكام وفوائد الآيات:

- أخطار المنافقين على الأمة، وتفريقهم لها، وتأميرهم عليها.
- أنه لا يجوز الاستغفار لهم ولا محبتهم، ولا الاجتماع بهم، ولا الصلاة عليهم في حال موتهم.
- أن من قيل له: استغفر الله، فلم يفعل يعد معرضاً عن الله، كما قال-تعالى:- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].
- أن الرزق كله من عند الله يرزق البر والفاجر، ولا يقدر أحد على منعه من أحد؛ لأن الله هو المعطي والمانع.

(١) أخرجه الحميدي في مسنده، (رقم ١٢٧٦).

- أن النصر والغلبة تكون دائماً للمؤمنين في كل زمان ومكان.
- أن النفاق يطبع على قلوب أصحابه، فلا يقدرّون على تمييز الحق من الباطل.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما ذكر الله حال المنافقين وضلالهم أمر المؤمنين بذكره، وألا تلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن هذا الذكر؛ لأن المال والولد مجرد متاع سوف يزول، أما الذكر فهو باق ومدخر لهم يوم القيامة، والآخرة خير وأبقى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: من يلهيه ماله وولده عن ذكر الله، وعن الأعمال الصالحة، فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: أنفقوا من المال الذي رزقكم الله، وضعوه في الأعمال الصالحة قبل أن يأتي وقت آجالكم، فيقول المفرط منكم: رب أخرني إلى أجل؛ لكي أعمل عملاً صالحاً من بر وصدقة وإحسان أتقرب به إليك، وأكفر به سيئاتي، وهيئات أن يكون له تأخير أجله؛ لأنه قد استوفاه وضيعه فيما لا ينفعه، وقد حكم الله - وحكمه الحق - أنه لا يؤخر الآجال بقوله - عز ذكره -: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: خير وبصير بأعمالكم،

فعليكم أيها المؤمنون المبادرة إلى فعل الخير قبل حلول الأجل.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب ذكر الله، وتحريم الاشتغال بالمال والولد عن دين الله، وأن من يفعل ذلك فهو من الخاسرين.

- تقرير أن المفرط في الدين، المضيع لأحكام الله يتمنى ساعة احتضاره تأخير أجله مدة قليلة؛ لكي يعمل عملاً صالحاً يقربه إلى الله؛ ذلك أنه يرى عند ساعة الاحتضار عاقبة التفریط، ومآل

المضيعين لأوامر الله، كما قال- عز وجل:- ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

- عظمة الصدقة وفعل الأعمال الصالحة من البر والإحسان إلى المستضعفين.

- أن الله لا يؤخر أجل نفس إذا استوفته.

- أن في الآيات إخباراً مستقبلياً بأنَّ مَنْ تشغله أمواله وأولاده عن عبادة الله وطاعته فهو مغبونٌ حَظَّهُ من كرامة الله ورحمته، وفيها إخبار مستقبلي آخر بأنَّ مَنْ لم يبادر إلى الإنفاق ببعض ما أعطاه الله في طرق الخير، وجاءه الموت، وبدأ يرى دلائله وعلاماته، فإنه سيقول نادماً: رَبِّ هَلَّا أَمَهَلْتَنِي، وَأَجَلْتَ موتي إلى وقت قصير.

- أن الرزق كله من عند الله، يرزق البرَّ والفاجر، ولا يقدر أحد على مَنَعِهِ؛ لأنَّه- سبحانه- المعطي المانع.

- أن النفاق يطبع على قلوب أصحابه، فلا يقدر على تمييز الحق من الباطل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التغابن

مدنية، وآياتها ثمانى عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ
 وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تسبح له
 جميع الكائنات النواطق والجوامد في السماء، وفي البر، وفي الجو، وفي
 البحر، تسبيحاً يليق بعظمته وجلاله.

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: هو المالك لكل ما في الوجود، وصانعه ومقدره
 ومسيره ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي: له الثناء في كل حال، فهو المحمود من
 خلقه على ما قدره وصنعه.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: القادر على كل شيء في الأرض،

وفي السماء، وفي كل لحظة، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ أي: هو

الخالق الذي لا خالق إلا هو، قدّر بحكمته أن يكون من خلقه مؤمن

وكافر، كما قضى قضاءه أن يجزي كلّاً منهم بما عمل ﴿وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: مطلع على كل ما يعمله عباده من الحسنات

والسيئات.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: صنعها، وكوّنها على غير

مثال سابق، وذلك لحكمة أرادها، وقدّر قدره ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

صُورَكُمْ﴾ أي: صوّر عباده أحسن تصوير، وركّبهم أحسن تركيب،

فكان الإنسان أجمل مخلوقات الأرض ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليه

المرجع والمآل.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يعلم بعلمه المطلق ما في

الكون من الحوادث والوقائع، دقائقها وجلالها، ظواهرها وبواطنها

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: يعلم سرائر الخلق

وعلاانيتهم، وما تنطق به ألسنتهم، وما تخفيه صدورهم، كما قال-عز

وجل:- ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن كل ذرة في الوجود تُسَبِّحُ بلسان الحال لله المعبود، فهو مالك الملك، المستحق للحمد.

- إثبات ملكيته-تعالى- للوجود بكل ما فيه.

- تقرير أنه خلق السماوات والأرض بالحق، كما قال-تعالى:-

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص:٢٧].

- تقرير أنه خلق عباده من البشر في أحسن صور مخلوقاته، كما

قال-عز وجل:- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

- أن الله يعلم ما يسره عباده وما يعلنون، وهذا يقتضي منهم خشيته، ومراقبته، والخوف من عقابه.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

فَقَالُوا أَبَشَّرُ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٦﴾ .

بيان الآيتين:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ المخاطب كفار
قريش في معاندتهم لرسول الله - ﷺ -، والمراد: ألم يأتكم خبر الأمم
الذين كذبوا من قبلكم رسلهم، كقوم نوح وهود وصالح ولوط
وغيرهم؟.

﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ أي: لاقوا عاقبة كفرهم، وتكذيبهم
لرسلهم، بأن أخذهم الله بعقابه من الرجفة والصيحة والغرق حتى
استأصلهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: وعلاوة على عقاب الدنيا لهم
عذاب شديد في الآخرة.

ثم بين-تعالى-سبب استئصالهم في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ
تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: جاءتهم رسلهم بالكتب والبراهين
والمعجزات من عند الله، فكذبوهم، وقالوا: ﴿أَبَشَّرُ يَهْدُونَنَا﴾ أي:
كيف يأتينا بالهداية بشر مثلنا؟.

﴿فَكْفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ أي: كفروا بما جاءهم، وأعرضوا عنه
 ﴿وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ أي: أن الله غني عنهم وعن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ
 غَنِيٌّ﴾ في ذاته العلية وصفاته القدسية ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: محمود من
 خلقه في المقال والحال.

أحكام وفوائد الآيتين:

- وجوب الاعتبار بما حل بالأمم السابقة من الهلاك في الدنيا، والعذاب
 في الآخرة.

- جهل الأمم المكذبة لرسالتها، وفساد عقولهم حين زعموا أن البشر لا
 يحملون رسالة الله، كما أخبر الله عن قول مشركي العرب: ﴿وَقَالُوا
 مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ
 إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَشَاعُنُ ثُمَّ
 لَتَنْبُوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ
 الْجُمُعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ
 عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾.

بيان الآيات:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُوا﴾ هذا إخبار من الله -جلّ وعلا- بأن الكافرين والمشركين ومن في حكمهم من الملاحدة يزعمون أنهم لن يبعثوا.

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي: قل لهم يا نبينا ورسولنا محمداً: إنكم سوف تبعثون لا محالة، ثم تنبؤون بأعمالكم التي أحصيت عليكم، وستجزون عليها بما تستحقونه ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل، ليس فيه صعوبة.

ولما بين الله حقيقة البعث، وأنه حق قال: ﴿فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ أي: آمنوا بالله وحده، واتركوا عبادة الأصنام والأوثان، وآمنوا برسوله، واتبعوه فيما يأمركم به، وما ينهاكم عنه، وأن تصدقوا، وتؤمنوا بالنور الذي أنزل على رسوله، وهو القرآن الكريم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: عالم بأعمالكم، وسيجزيكم

عليها، وذلك ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ أي: يوم القيامة، حيث تجتمع فيه الخلائق أولها وآخرها، جنها وإنسها.

﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ أي: اليوم الذي يُغْبَنُ فيه أهل النار حين يرون أهل الجنة أخذوا منازلهم في النعيم المقيم، ويرون أنفسهم في العذاب المقيم، فيصيبهم الغبن مما هم فيه، أخرج الطبري بسند ثابت عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ قال: «هو غبن أهل الجنة أهل النار».

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ هذا وعد من الله لعباده بأن من آمن به، وعمل صالحًا في الدنيا سوف يكفر عنه ذنوبه وخطيئاته، ويدخله جنة الخلود، وهذا هو الفوز العظيم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بالله ورسوله ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بالقرآن، وما فيه من البراهين.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: أن هؤلاء هم المقيمون في النار المخلدون فيها ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: بئس

مقامهم فيها.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن بعث الخلائق ونشورهم واقع لا ريب فيه.
- وجوب الإيمان بالله ورسوله، وبالقرآن الكريم، ومن لم يؤمن بهم وجبت له الشقاوة، كما قال-تعالى-: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].
- أن يوم القيامة هو اليوم الذي يُغبن فيه الكافرون بسبب كفرهم وإعراضهم عن الإيمان بالله ورسوله وكتابه.
- أن الإيمان بالله وعمل الأعمال الصالحة مكفر للذنوب والخطايا، وموجب للخلود في جنات النعيم.
- التحذير من الكفر بالله، والتكذيب بآياته؛ لأن العذاب سيكون مآل من يفعل ذلك.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣).

بيان الآيات:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يُطَمِّنُ اللَّهُ - تعالى -

عباده الذين نزلت بهم المصائب أَنَّ كُلَّ مَا أَصِيبَ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ
مَحَنَةٍ فَإِنَّهَا هُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ أي: مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّهُ لَا يَصِيبُهُ

مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ يَهْدِي اللَّهُ قَلْبَهُ لِلرِّضَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَيَكُونُ
لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَمَثُوبَةٌ مِنْهُ، كَمَا أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ
عَنْ عُلُقَمَةَ فِي قَوْلِهِ - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ قَالَ: «هُوَ الرَّجُلُ تَصِيبُهُ مُصِيبَةٌ،
فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَسْلَمُ، وَيَرْضَى» ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ﴾ أي: لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فَيَعْلَمُ مَنْ يُؤْمِنُ بِقَضَائِهِ،
وَيَصْبِرُ عَلَيْهِ، وَيَعْلَمُ مَنْ يَفْزَعُ وَيَجْزَعُ.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ

بِطَاعَتِهِ فِي اتِّبَاعِ شَرْعِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ،
وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أَعْرَضْتُمْ عَنْ طَاعَةِ
اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: مَا

عليه إلا أن يبلغكم ما أرسل به بلاغاً يبين لكم فيه ما يجب عليكم، فإن أطعتموه فذلك خير لكم، وإن عصيتموه فأمركم إليكم.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الإله الذي لا إله غيره ولا معبود بحق سواه فاعبدوه وحده ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: عليه يتوكل المؤمنون، فيتكفل بأرزاقهم، وما يهتمهم في دنياهم وآخرهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن في الآيتين إخباراً مستقبلياً بأن الله - سبحانه - لا يصيب أحداً بشيء من البلاء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل إلا بإذنه وقضائه وقدره، وأن من يؤمن بالله يهد قلبه للتسليم بأمره، والرضا بقضائه، وفيهما إخبار مستقبلي آخر، وهو أن الله - عز وجل - بكل شيء عليم، في الماضي والحاضر والمستقبل، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وأن من أعرض عن طاعة الله ورسوله فليس على الرسول ضرر في إعراضه، وإنما على الرسول أن يبلغ ما أرسل به بلاغاً واضح البيان.

- أنه ما من مصيبة تحدث، ولا نازلة تنزل في الكون كله إلا بإذن الله وقدره، كما قال -ﷺ-: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وهذا يقتضي وجوب الصبر عند المصائب والشدائد، والرضا بقضاء الله، كما قال -ﷺ-: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ١٥٦ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ١٥٧ ﴿[البقرة: ١٥٦-١٥٧].

- أن من يؤمن بالله ورسوله يثبت الله قلبه عند المصائب.

- وجوب طاعة الله وطاعة رسوله فيما أمرا به، وما نهيا عنه، كما قال -ﷺ-: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور: ٥٤].

- وجوب الإقرار بتوحيد الألوهية المقتضي أنه لا إله إلا الله المستحق وحده للعبادة.

- وجوب التوكل على الله، كما قال -عز وجل-: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وشاهده -أيضاً-: قول رسول الله -ﷺ-:

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا»^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
 إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ المراد: أن بعض أزواجكم عدو لكم، أي: يصدونكم عن الطاعة ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أي: كونوا منهم على حذر، فلا تتخلفوا عن أمر فيه طاعة لله، كالجهاد وغيره من أفعال الخير، أخرج الطبري

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب: في التوكل على الله، (رقم ٢٣٤٤)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب: التوكل واليقين، (رقم ٤١٦٤)، وصححه الترمذي، والألباني.

بسند صحيح عن مجاهد في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ قال: «إنهما يحملانه على قطيعة رحم، ومعصية ربه، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يقطعه».

﴿وَأِنْ تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾ أي: إن تعفوا عن شغلوكم من أولادكم عن الهجرة والجهاد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر لعباده زلاتهم، ويرحمهم إذا علم نياتهم وتوبتهم إليه.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: أن الأولاد اختبار وبلاء لكم، فلا تطيعوهم إذا أمروكم بمعصية، أو منعوكم عن فعل من أفعال الخير، كما أن الأموال اختبار لكم؛ ليعلم الله ما إذا كنتم تنفقونها فيما أمركم به، أو تنفقونها في معاصيه.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: عنده يوم القيامة أجر عظيم لمن أنفق ماله في وجوه الخير ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ هذا من فضل الله ومنته وكرمه على عباده أن جعل طاعته فيما يستطيعونه، ولم يكلفهم ما لا يطيقونه، فإذا لم يستطيعوا الهجرة فلا جناح عليهم، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] إلى قوله: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾

[النساء: ٩٨-٩٩] فَبَيَّنَ أَنَّهُ عَفَا عَمَّنْ لَا يَسْتَطِيعُ حِيلَةً لِلْهَجَرَةِ.

وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قال: «هذه رخصة من الله، والله رحيم بعباده، وكان الله جل ثناؤه أنزل قبل ذلك: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾» [آل عمران: ١٠٢] وحق تقاته: أن يطاع فلا يعصى، ثم خفف الله-تعالى ذكره- عن عباده، فأنزل الرخصة بعد ذلك، فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ فيما استطعت يا ابن آدم، عليها بايع رسول الله -ﷺ- على السمع والطاعة فيما استطعتم».

﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أي: اسمعوا ما يدعوكم الله ورسوله إليه، وأطيعوه ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: أنفقوا من مال الله على أولادكم، وعلى المحتاجين، وعلى كل عمل في سبيل الله، فإن في ذلك خيراً لكم.

﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الشح: هو إمساك المال، وعدم إنفاقه فيما يجب إنفاقه فيه، كالزكاة والصدقة،

والنفقة على الوالد والولد، ومن تجب نفقته عليه، ومن علامات الإيمان: ألا يبخل الإنسان على نفسه، والإيمان لا يحصل إلا بسؤال العبد لله أن يقيه شر البخل، فإذا وقاه الله ذلك أصبح من المفلحين في الدنيا والآخرة.

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

أي: إن تنفقوا في سبيل الله فإن نفقتكم قرض حسن يضاعفه الله لكم يوم القيامة، ويغفر لكم خطيئاتكم.

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي: يشكر من أنفق في سبيله، ويحلم

على من يعصيه من عباده، فلا يباغته بالعقوبة، بل يترك له سبل التوبة والرجوع عن خطيئته ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء من إنفاقكم، فهو شاهد على ما تنفقون ﴿الْعَزِيزُ﴾ بقوته ومراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره، وفي شرعه لخلقه.

أحكام وفوائد الآيات:

- عداوة بعض الأولاد لوالديهم والزوجات لأزواجهن.
- كون بعض الذرية فتنة، وفي حديث بريدة أن رسول الله - ﷺ - كان يخطب، فجاء الحسن والحسين-رضي الله عنهما-، عليهما

قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله -ﷺ- من المنبر، فحملهما، فوضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي، ورفعتهما»^(١).

- الترغيب في الصفح عن الإساءة، كما قال -ﷺ-: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

- أن المال والولد اختبار للعبد، فالمال يجب ألا يكون مانعاً لصاحبه من فعل الخير، والولد كذلك، وإلا أصبحا عدوين له.

- الحكم بأن التقوى حسب الاستطاعة؛ لقول الله -ﷻ-: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقول رسوله-

(١) أخرجه أبو داود في كتاب أبواب الجمعة، باب: الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، (رقم ١١٠٩)، والترمذي في كتاب المناقب، باب: مناقب الحسن والحسين، (رقم ٣٧٧٤)، والنسائي في كتاب العيدين، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، (رقم ١٥٨٥)، وابن ماجه في كتاب اللباس، باب: لبس الأحمر للرجال، (رقم ٣٦٠٠)، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني.

ﷺ-: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»^(١).

- أن في الآية (١٦) إخبارًا مستقبليًا بأنَّ مَنْ سَلِمَ من البخل وَمَنِعَ الفضل من المال، فهو الظَّافِرُ بكلِّ خير، الفائز بكلِّ مطلب.
- أن في الآية (١٧) إخبارًا مستقبليًا عن جزاء مَنْ أنفق أمواله في سبيل الله بإخلاصٍ وطيبِ نفس، فإنَّ الله-ﷻ-سيضاعِفُ له ثواب ما أنفق، ويغفر له ذنوبه، وفيها إخبار مستقبليٌّ آخر، وهو أنَّ الله-ﷻ-شكور لأهل الإنفاق بحسن الجزاء على ما أنفقوا، وفيها إخبار مستقبليٌّ ثالث، وهو أنَّ الله-ﷻ-حليمٌ، لا يُعَجِّلُ بعقوبة مَنْ عصاه.

- من الشح وهو البخل، وشاهده: قوله- عز وجل-: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨]
- وقول رسول الله-ﷺ-: «اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم..الحديث»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله-ﷺ-، (رقم ٧٢٨٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، (رقم ١٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، (رقم ٢٥٧٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطلاق

مدنية، وآياتها اثنتا عشرة آية

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا
أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾

المخاطب: رسول الله -ﷺ- وأُمته، والمراد: إذا طلقتم النساء لأي سبب
فليكن طلاقكم لهنَّ في عدتهنَّ، أي: في الوقت الذي هنَّ فيه طاهرات،
بمعنى أن يكون الطلاق في طهر لم تجامعوها فيه؛ لكي تعد المطلقة
طهرها ذلك أول عدتها.

وصح عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ يقول: «إِذَا طَلَّقْتُمُ قَالَ: فِي الطَّهْرِ فِي غَيْرِ

جماع»^(١).

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: اعرفوها من بدايتها إلى نهايتها؛ لما يترتب على ذلك من المراجعة والنفقة والسكن، وغير ذلك من الأحكام الأخرى، وذلك في التي دخل بها؛ لأن المعقود عليها فقط لا عدة عليها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في ذلك ﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ أي: ليس لكم أن تخرجوهن من سكن الزوجية ما دمن في العدة، كما لا يجوز لهن ذلك إلا لضرورة مقتضية، ولا يخرجن .

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة بينة كالزنا، أو النشوز، أو البذاءة للرجل ونحو ذلك ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: هذه أحكامه وشرائعه ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: يخرج عليها متجاوزاً لها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي: أضر نفسه بفعله.

﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: أن الأمر ببقاء المطلقة في بيت الزوجية مدة العدة هو المشروع؛ إذ لعل الزوج يندم على طلاقه فيراجعها، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-

(١) أخرجه الطبري، وصححه الحافظ ابن حجر، الفتح، (٩/ ٣٤٦).

تعالى:- ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قال: «هذا في مراجعة الرجل امرأته».

أحكام وفوائد الآية:

- أن الله شرع الطلاق، وهو أبغض الحلال إليه، وما شرعه-وهو أحكم الحاكمين-إلا لما تقتضيه وقائع الحياة وضروراتها، وهو على قسمين: طلاق سنة، وطلاق بدعة؛ فطلاق السنة: أن يطلق الرجل زوجته طاهرة من غير جماع، أو يطلقها وهي حامل قد ظهر حملها، أما طلاق البدعة فأن يطلقها في حال حيضها، أو في طهر جامعها فيه؛ لما روي في هذا أن عبد الله بن عمر طلق امرأته، وهي حائض فذكر عمر لرسول الله -ﷺ-، فتغيظ فيه رسول الله -ﷺ-، ثم قال: «ليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه، فتلك العدة كما أمر الله-عز وجل-»^(١).

- كون الطلاق واحدة، فإن طلقها اثنتين أو ثلاثاً بلفظ واحد، وهو ينوي طلقة واحدة عدت كذلك، فإن كان ينوي اثنتين عدت

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: سورة الطلاق، (رقم ٤٩٠٨)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، (رقم ١٤٧١).

كذلك، فلا يبقى له إلا طلقة واحدة، وإن كان ينوي بلفظ الطلاق بالثلاث بينونتها عدت بائنة منه، وإن كرر الطلاق واحدة بعد أخرى حتى بلغت ثلاثاً بانت منه، ولو قال: إنه ينوي واحدة.

- وجوب إحصاء عدة المطلقة من قبل الزوج والزوجة معاً، فالزوج بإحصائه العدة يعرف ما يجب عليه من السكن والنفقة، ووقت المراجعة، والزوجة عليها واجب الإحصاء؛ لكي تعرف ما ستكون عليه.

- تحريم إخراج المرأة من بيت الزوجية إلى أن تنقضي عدتها، ما لم ترتكب فاحشة ظاهرة كالزنا، أو النشوز، أو الإيذاء للزوج أو أهله، أو نحو ذلك.

- وجوب الحفاظ على حدود الله في الطلاق، وعدم تجاوزها، فمن تجاوزها فقد ارتكب إثماً عظيماً.

- أن في الطلاق معالجة مشكلة أسرية اجتماعية، ولكن هذا العلاج بعد معالجات سابقة هو بمنزلة «آخر الدواء الكي».

- بيان السنّة في الطلاق، وهي أن يُطَلَّقَها في طَهْرٍ لم يَمَسَّها فيه بجماع، عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه طلق امرأته وهي

حائض في عهد رسول الله - ﷺ -، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله - ﷺ - عن ذلك؟، فقال له رسول الله - ﷺ -: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيَتْرَكْهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضُ، ثُمَّ تَطْهَرُ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدَ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمْسَ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ - ﷻ - أَنْ يَطْلُقَ لَهَا النِّسَاءُ»^(١).

- بما أنه ثبت عن الصحابة والتابعين الوجهان في معنى القُرء بأنه الطهر والحيض، فيُنظر في مصلحة الزوجين أيهما أفضل؟، فإذا كان الأمل بالإصلاح فيُنظر في أبعد الأجلين، وإذا كان الأمل معدوماً، وقد بلغ الخلاف ذروته، فيُنظر في أقرب الأجلين، فيكون الجمع بين الوجهين، وينظر: تفسير سورة البقرة الآية (٢٢٨).

- أن في الآية (١) إخباراً مستقبلياً أن مَنْ تجاوز أحكام الله فقد ظلم نفسه، وأوردها مورد الهلاك.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ

(١) صحيح مسلم، (١٠٩٣/٢)، كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعته، (رقم ١٤٧١).

يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ .

بيان الآيتين:

﴿فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: أشرفن على انقضاء العدة، وقبل نهايتها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ والمراد: إن أراد الزوج أن يمسكها بالمراجعة والاستمرار في الزوجية فليكن ذلك بالمعروف، أي: بالإحسان إليها بما يجب لها من حقوق الزوجية، وإن أراد الزوج أن يفارقها فليكن ذلك بمعروف، أي: بالإحسان إليها بالكلم الطيب، وعدم الإيذاء لها.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: أشهدوا عدلين من المسلمين على الطلاق، وعلى الرجعة إذا رغبت فيها ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أدوها كما أمركم الله ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: هذا الذي أمركم الله به في أمور الطلاق من الإشهاد وغيره إنما ياتمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر،

ويرجو ثواب الله، ويخاف عقابه .

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من يتق الله ويخشه فيما أمره به وما نهاه عنه يجعل له مخرجًا من كل ضيق ومن كل هم، ويرزقه رزقا لم يكن في حسبانته، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:-
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ يقول: «نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة».

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: من يكل أمره إلى الله فلا يستعين إلا به، ولا يرج إلا إياه، ولا يسأل إلا إياه، فإن الله كافيه وواقيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾ أي: يُنفذ قضاءه في عبادته.
﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: جعل لكل شيء أجلا يبلغه، لا يتقدمه، ولا يتأخر عنه، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مسروق في قوله-تعالى:- ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ قال: «أجلاً».

أحكام وفوائد الآيتين:

- إنه إذا قاربت عدة الزوجة المطلقة الانتهاء وجب على الزوج تقرير

- علاقته بها، إما الاستمرار في الطلاق، أو الرجعة قبل نهاية المدة.
- أن الإمساك يجب أن يكون بالمعروف، وذلك على أساس العلاقة الحسنة، كما أن الفراق يجب أن يكون بالمعروف، كما قال-عز وجل:- ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ومن المعروف أن يعطي مطلقته مالها من مهر، ويمتعها حسب غناه وفقره.
- وجوب الإشهاد على النكاح، واستحباب الإشهاد على الطلاق وعلى الرجعة، ويجب أن يكون الشهود من ذوي العدالة من المسلمين.
- أن من يتقي الله في السر والعلن، ويخشاه حق خشيته، يجعل له مخرجاً من ضيقه وهمومه، ويرزقه مما لا يكون في حسبانته.
- تقرير أن من يتوكل على الله، فلا يسأل إلا إياه، ولا يستعين إلا به، فإنه كافيه وواقيه، وكفى به حسيباً، وفي حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- أنه ركب خلف رسول الله-ﷺ-، فقال له رسول الله-ﷺ-: «إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم

يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»^(١).

- أن في الآيتين إخباراً مستقبلياً عن جزاء مَنْ خاف الله، فعمل بما أمره به، واجتنب مانهاه عنه، فإنّه سيجعل له مخرجاً من كلّ ضيق، ويُسبّب له أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله، ولا يكون في حسبانهِ، وفيهما إخبار مستقبليٍّ آخر، وهو جزاء مَنْ تَوَكَّلَ على الله، فإنَّ الله هو كافيه ما أهمّه في جميع أموره، وفيهما إخبار مستقبليٍّ ثالث، وهو أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- بالغُ أمره، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب، سواء كان في الماضي أم الحاضر أم المستقبل، وفيهما إخبار مستقبليٍّ رابع، وهو أنَّ الله - جلَّت قدرته - قد جعل لكلِّ شيء أجلاً ينتهي إليه، وتقديراً لا يتجاوزه.

﴿وَالَّتِي يَسِّنُّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ دَرَجَةً﴾

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، (رقم ٢٥١٦)، وصححه، وكذا صححه الألباني.

أَجْرًا ﴿١﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَالَّتِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ أي: اللائي انقطع
حيضهن لكبرهن ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ أي: شككتن في كونه حيضاً أو
استحاضة.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهن، فعدتهن
كذلك ثلاثة أشهر، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-
تعالى:- ﴿وَالَّتِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ قال: «وهن
اللواتي قعدن من الحيض، فلا يحضن» ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ قال:
وهن الأبكار اللائي لم يحضن، فعدتهن ثلاثة أشهر».

﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ﴾ أي: الحوامل من النساء ﴿أَجَلُهُنَّ أَنْ
يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أي: إن عدتهن تترتب على وضعهن؛ لأنه لا يبرأ
الرحم إلا بذلك، وأخرج البخاري في بيان هذا عن أبي سلمة قال: «جاء
رجل إلى ابن عباس- وأبو هريرة جالس عنده-، فقال: أفنتني في امرأة
وَلَدْتُ بعد زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس- رضي الله عنهما:-
آخر الأجلين، قلتُ أنا: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ

حَمَلُهَا ﴿١﴾ قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة، فأرسل ابنُ عباس إلى أم سلمة يسألها، فقالت: قُتل زوجُ سُبَيْعة الأسلمية -وهي حبلى-، فوَضَعَتْ بعد موته بأربعين ليلة، فحُطِبَتْ، فأنكحها رسول الله -ﷺ-، وكان أبو السنابل فيمنُ خطبها^(١)، وأخرج الطبري بسند ثابت عن قتادة في قوله -تعالى-: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ﴿٢﴾ قال: «فإذا وضعت ما في رحمها فقد انقضت عدتها، ليس المحيض من أمرها في شيء إذا كانت حاملاً».

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ﴿٣﴾ أي: أن من يتقي الله ويخشاه في أمور الطلاق وغيرها ييسر أمره، ويجعل له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا.

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿٤﴾ أي: أنزل إليكم شرعه وأحكامه في النكاح والطلاق، وبيّنه لكم في كتابه، وعلى لسان رسوله -ﷺ-.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ ﴿٥﴾ أي: من يخش الله ويأتمر بأوامره، وينته عن نواهيه يكفر عنه خطيئاته، ويجزل له الأجر والثواب.

(١) صحيح البخاري، (٥٢١/٨ - ٥٢٢)، كتاب التفسير، سورة الطلاق، ﴿وَأَلْتَمِىَ يَسْنَمِنْ﴾ (رقم ٤٩٠٩).

أحكام وفوائد الآيتين:

- أن عدة التي يئست من الحيض لكبرها ثلاثة أشهر، وكذلك عدة الصغيرة التي لم تحض، أما التي توفي زوجها وهي حامل، فعدتها وضع حملها، أما إن توفي عنها زوجها وهي غير حامل فعدتها أربعة أشهر وعشر ليال.

- أن أحكام النكاح والطلاق والرجعة مما شرعه الله في كتابه، وعلى لسان رسوله محمد - ﷺ -، وهذا يقتضي الالتزام بهذه الأحكام، وعدم تعديها.

- بيان فضل التقوى، ووعد الله للمتقين بأنه يكفر خطيئاتهم، ويعظم أجورهم.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُوَ آخَرَى ٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ
يُسْرًا ﴿٧﴾ .

بيان الآيتين:

﴿أُسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ بعد أن بيّن الله-
تعالى- في الآيات السابقة أحكام العدة في حالات الطلاق، ووجوب
الإمساك أو الفراق بالمعروف بيّن حالات النفقة، فأمر الأزواج
بإسكان زوجاتهم المطلقات طلاقاً رجعيّاً، ونهى عن مضايقتهم في
السكن أو النفقة، كما قال-تعالى-: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوهُنَّ
عَلَيْهِنَّ﴾ .

وأخرج مسلم بسنده عن أبي إسحاق قال: «كنت مع الأسود بن
يزيد جالسا في المسجد الأعظم، ومعنا الشعبي، فحدث الشعبي
بحديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله-ﷺ- لم يجعل لها سكنى ولا
نفقة، ثم أخذ الأسود كفا من حصى، فحصبه به، فقال: ويلك تحدث
بمثل هذا؟! قال عمر: لا نترك كتاب الله وسنة نبينا-ﷺ- لقول امرأة لا
ندري لعلها حفظت أو نسيت، لها السكنى والنفقة، قال الله-عز وجل-
: ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ

مُبَيَّنَةٌ ﴿١﴾.

وأخرج الطبري بسند حسن عن السدي في قوله-تعالى-: ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ قال: «من ملككم، من مقدرتكم».

ثم قال: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أي: إن كانت المطلقة طلاقاً بائناً وهي حامل وجب عليه سكنها ونفقتها حتى تضع حملها، فإذا وضعت فلها الخيار في أن ترضع ولدها، أو تمتنع من إرضاعه، فإن أرضعته فلها أجر المثل، والتعاقد مع أبيه أو وليه على ذلك، ولهذا قال-تعالى-: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَعَاتُوهُمْ أُجُورَهُنَّ وَاتَّمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ليكن أمركم بينكم بالمعروف بعيداً عن المضايقة والإضرار، كما أخرج الطبري بسند حسن عن السدي في قوله-تعالى-: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَعَاتُوهُمْ أُجُورَهُنَّ﴾ قال: «ما تراضوا عليه، على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره».

﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَسَرِّضُ لَهُ أُخْرَى﴾ أي: إذا اختلف الأب والأم في أجرة الرضاع، كما لو طلبت أجراً كبيراً لإرضاع الولد، أو عرض

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب: المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، (رقم ١٤٨٠).

الأب أجرًا قليلًا لم ترض به، فليسترضع له غيرها، فإذا أرادت الأم أن ترضعه بنفس الأجر الذي رضيت به المرضعة الأجنبية فالأم أحق بإرضاعه.

وأخرج الطبري بسند حسن عن السدي في قوله-تعالى-: ﴿وَأِنْ تَعَاسَرْتُم فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ قال: «إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى، الأم أحق إذا رضيت من أجر الرضاع بما يرضى به غيرها، فلا ينبغي له أن ينتزع منها».

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ أي: ينفق الأب على ولده حسب قدرته وطاقته، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ قال: «على المطلقة إذا أَرْضَعَتْ لَهُ».

﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أي: من كان رزقه ضيقًا كانت نفقته على ولده حسب طاقته؛ لأن الله لا يكلف المرء ما لا يطيقه، ولهذا قال-عز وجل-: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا﴾.

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي: يجعل بعد الفقر غنى،

وبعد الضيق فرجًا، وذلك لمن اتقاه وخشيه، كما قال -ﷺ- في الآية السابقة: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَُم يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ [الطلاق: ٢-٣].

أحكام وفوائد الآيتين:

- وجوب السكن والنفقة لمن طلقت طلاقًا رجعيًا، وكذا وجوب السكن والنفقة لمن طلقت وهي حامل، وذلك إلى أن تضع ولدها، وأن يكون ذلك دون مضايقة أو إضرار، ولها أن ترضع ولدها بأجر المثل، فإن اختلفت مع الأب في قدر الأجر فيسترضع له أخرى.

- وجوب الإسكان والنفقة لمن توفي عنها زوجها وهي حامل، أما المطلقة البائن فليس لها سكن ولا نفقة في حال العدة؛ لقصة

فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص ثلاث طلاقات، وكان غائبًا باليمن، فأرسل إليها وكيله بقليل من الشعر لنفقتها، فلم تقبله، وقال: والله ليس لك علينا نفقة، فأتت رسول الله -ﷺ-، فقال: «إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة، فإذا كانت لا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره فلا نفقة لها ولا سكنى»^(١)، ومع ذلك فإن الله -عز وجل- قال: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] في تعاملكم، فإذا كانت المرأة محتاجة أو يتيمة، والزوج في غنى، فما أجمل وأفضل الإحسان إليها حال عدتها حتى يجعل الله لها فرجًا.

- أن النفقة تكون حسب قدرة الزوج المطلق من حيث غناه أو عدمه؛ لأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها.
- أن الأم لا تُجبر على الرضاع حيث وُجدَ غيرها، وقَبِلَ الصبي ثديها، وإلا أُجبرت على الإرضاع.

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا﴾ ٨ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب: المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها، (رقم ١٤٨٠).

عَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ
يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا
يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ
أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ .

بيان الآيات:

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ لما بين الله - عز
وجل - الأحكام الخاصة بالعلاقة بين الزوج وزوجته من طلاق وعدة
ونفقة، حذر من مخالفة أحكامه مبيناً أن كثيراً من القرى - والمراد
أهلها - كقوم هود وقوم صالح ولوط وغيرهم عتوا، وامتنعوا عن
امتثال أحكام الله، وما جاءتهم به رسله، فحاسبهم الله حساباً شديداً،
وعذبهم عذاباً عظيماً، كما قال - تعالى -: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا
وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا﴾ ﴿٨﴾ فذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: سوء عاقبة
عتوها وطغيانها.

﴿وَكَانَ عَقِبَهُ أَمْرُهَا خُسْرًا﴾ أي: عذابًا وخسرانًا ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: يوم القيامة، مع ما أصابهم من الهلاك في الدنيا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: اتقوه، واحذروا مخالفته يا أولي العقول! واعتبروا بما حصل لأهل القرى حين عتوا عن أمر ربهم ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أي: القرآن. ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أي: وأرسل إليكم رسولًا يبلغكم هذا القرآن بما فيه من الآيات الواضحات.

كما أخرج الطبري بسند حسن عن السدي في قوله-تعالى-: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ ﴿١٥﴾ ﴿رَسُولًا﴾ قال: «الذكر القرآن، والرسول محمد-ﷺ».

﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: ليخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والجهل إلى النور والعلم.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هذا وعد

من الله -ووعده الحق- أن من آمن بالله، وصدق رسوله، وما جاء به، ويعمل الأعمال الصالحة من صلاة وزكاة وصيام وبر وصدقة، ونحو ذلك من أعمال الخير، يدخله الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ويخلده فيها، وهذا هو الرزق الحسن الذي لا يتبدل، ولا يتغير.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الله -ﷻ- يحاسب ويعذب الذين يعصون أوامره وأحكامه، ويعتدون على حدوده، وهذا يقتضي الحذر من مخالفة أوامره.
- أن الله أنزل كتابه، وأرسل رسوله لهداية الناس، وإخراجهم من ظلمات الشرك والكفر إلى نور العلم.
- وعد الله بأن من آمن به ورسوله، وعمل صالحًا ستكون الجنة جزاءه خالدًا مخلدًا فيها.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

بيان الآية:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ هذا بيان من الله عن عظمته وقدرته المطلقة بأنه خلق سبع سماوات طباقاً، بعضها فوق بعض، وأمسكها بقدرته وسلطانه أن تقع على الأرض، كما خلق مثلها سبع أرضين واحدة فوق الأخرى، وجعلها مكاناً آمناً لخلقه إلى يوم يميتهم ويبعثهم، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: «خلق سبع سماوات وسبع أرضين، في كل سماء من سمائه وأرض من أرضه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضائه»، ويشهد له ما ثبت في الصحيحين «مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(١).

﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي: ينزل الوحي بين السماوات والأرض وهذا الخلق؛ ليكون دليلاً على قدرة الله، وما يجب على الخلق من الإقرار بأنه الرب الذي لا رب غيره، والإله الذي لا إله غيره، والإقرار

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، وصحيح مسلم، كتاب البيوع،

باب تحريم الظلم وغصب الأرض.

بتوحيده وإفراده بالعبادة، ولهذا قال -عز وجل-: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

أحكام وفوائد الآية:

- قدرة الله -تعالى- وعظمة صنعه في خلق الكون، كما قال -عز وجل-
مخبراً عن قول نوح لقومه وهو يدعوهم إلى توحيد الله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا
كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]، وقوله -تعالى-:
﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ
مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

- أن بيان عظمة الله في خلق الكون يقتضي من العباد توحيده،
والعمل في طاعته وتحكيم شرعه.

- أن في الآية إخباراً مستقبلياً عن الحكمة في خلق الله السماوات
السبع والأرضين السبع، وإنزاله الأمر ممّا أوحاه إلى رسله، وما
يُدبّر به خَلْقَه بين السماوات والأرض؛ وذلك كي يعلم الناس أَنَّ
الله على كلِّ شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأنّه قد أحاط بكلِّ شيء
عِلْمًا، فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التحريم

مدنية، وآياتها اثنتا عشرة آية

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
 أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ
 وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ
 أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ
 وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ
 تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ
 أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَزِينُ عِبَادَاتٍ
 سَيُحِلُّ لَكُنَّ نِكَاحًا وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ هذا خطاب من الله

لنبيه ورسوله محمد ﷺ، يعاتبه على أمر وقع بينه وبين زوجاته،

فقد روت عائشة-رضي الله عنها-: «أن رسول الله -ﷺ- كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلاً، فتوصيتُ أنا وحفصة أن آينا دخل عليها رسول الله -ﷺ- فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل رسول الله -ﷺ- على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له»، فنزلت هذه الآية^(١)، وقيل غير ذلك.

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: تريد رضاهن عنك، وأخرج النسائي بسند ثابت عن عن أنس: «أن رسول الله -ﷺ- كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرماها على نفسه»، فأنزل الله- عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾^(٢).

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفر لك ما قلته، فلا يحرم عليك ما حرّمته على نفسك.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: يحل اليمين

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، (رقم ٥٢٦٧)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، (رقم ١٤٧٤).

(٢) السنن، (٧١/٧)، كتاب عشرة النساء، باب الغيرة.

الكفارة عنها، وهو إطعام عشرة مساكين ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: وليكم في تحليل أيمانكم بما تخرجونه من الكفارة عنها ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بأسراركم ﴿الْحَكِيمُ﴾ في شرعه لكم.

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ أي: أن رسول الله - ﷺ - أسر لزوجته حفصة أنه شرب عسلاً، وطلب منها ألا تبديه لأحد، فحدثت به عائشة - رضي الله عنهما - لعلاقة مودة بينهما، فأطلع الله رسوله على ذلك.

﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾ أي: أن حفصة لما أخبرت بما حدثها به رسول الله - ﷺ -، وأطلعه الله على ذلك، عرّفها - عليه الصلاة والسلام - ببعض ما قالت، وأعرض عن بعض، فلم يعرفها به تكرماً منه ﴿قَالَتْ مَنْ أَتْبَاكَ هَذَا﴾ أي: قالت حفصة: من الذي أخبرك بهذا؟! ﴿قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ أي: نبأني الله الذي يعلم السر وأخفى.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ المراد: حفصة وعائشة، فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس قال: «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر

بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجاً، فخرجت معه، فلما رجعت، وكنا ببعض الطريق، عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه، فقلت: يا أمير المؤمنين! من اللتان تظاهرتا على النبي -ﷺ- من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة؟^(١).

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: مالت راجعة إلى حق زوجكما عليكما، وأخرج الطبري بسند ثابت عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ قال: «أي مالت قلوبكما».

﴿وإن تظاهرا عليه﴾ أي: تتعاونوا عليه بما يؤذيه ﴿فإن الله هو موله﴾ أي: وليه ومعينه وناصره .

﴿وجبريل وصالح المؤمنين﴾، المراد جبريل-عليه السلام-، وصالح المؤمنين: أبو بكر وعمر-رضي الله عنهما-؛ لأنهما أبوا زوجتيه: عائشة وحفصة، وأخرج الطبري بسند ثابت عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿وصالح المؤمنين﴾ قال: «هم الأنبياء».

(١) صحيح البخاري، (٥٢٨/٨)، كتاب التفسير، سورة التحريم، ﴿تَبَتَّغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾، (رقم ٤٩١٣).

﴿وَالْمَلَيْكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: أعوان له من كل ما يشق عليه ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ﴾ أي: لا يؤذينه، فلو طلقن، فإن ربه سوف يبدله أزواجًا خيرًا منك، فلا يشققن عليه، أو يؤذينه، وفي هذا تهديد من الله لهن ألا يعدن إلى ما حدث منهن لزوجهن رسول الله - ﷺ -، وأخرج البخاري عن عمر - رضي الله عنه -: «اجتمع نساء النبي - ﷺ - في الغيرة عليه، فقلتُ لهنَّ: عسى ربُّه إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ، فنزلتْ هذه الآية»^(١).

ثم وصف- عز وجل- أن الزوجات اللاتي سَيَكُنَّ له لو طلق زوجاته: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِيَتٍ تَابَتٍ عِبَادَاتٍ سَابِحَاتٍ﴾ أي: كثيرات العبادة لله، والخضوع له، والرجوع إليه.

﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أي: بعضهن أبكار، وبعضهن ثيبات، وقد ثبت رسول الله - ﷺ - على زوجاته، فلم يطلقهن؛ لأنهن لما سمعن هذا الوعيد والتأديب من ربهن بادرن إلى إرضاء زوجهن رسول الله - ﷺ - ، والتفاني في التلطف به، وتقديره.

(١) صحيح البخاري، (٥٢٨/٨)، كتاب التفسير، سورة التحريم ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ﴾، (رقم ٤٩١٦).

أحكام وفوائد الآيات:

- اختلف الفقهاء فيما إذا قال الرجل لزوجته: «أنت عليّ حرام»، وسبب هذا الاختلاف: أنه لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله محمد - ﷺ - نص يعتد به في هذه المسألة، فاجتهد فيها العلماء، فتعدد اجتهادهم، فمنهم من قال: لا شيء عليه، ومنهم من قال: إنها يمين توجب الكفارة، ومنهم من قال: إنها طلقة رجعية، ومنهم من قال: إنها طلقة بائنة، ومنهم من قال: إن المعتمد عليه في هذه المسألة النية، فإن كان يريد طلاقاً أو ظهراً فله نيته، وقد أخذ الإمام الشافعي وأحمد بأن عليه كفارة يمين^(١).
- أن من أسر حديثاً إلى آخر، وجب عليه أن يكتمه، إلا إن كان قد صرح له بإفشائه، فإن كان قد أصر عليه ألا يفشيه لأحد فيأثم إن أفشاه؛ لأنه مثل من أودعه أمانة فضيعها.
- أن على المرء أن يتوب من إثم ارتكبه، سواء في حق زوجه أو ولده أو غيره من الناس.
- بيان إكرام الله - ﷻ - لنبيه ورسوله محمد - ﷺ - بما أطلعه على ما كان من زوجتيه وتأديب الله لهما، وأمرهما بالتوبة.

(١) المذهب في فقه الإمام الشافعي، (٨٣/٢)، والمغني لابن قدامة، (٣٠٣/٨).

- أن من لُطِفِ الله بالنبِيِّ ﷺ وبالمسلمين، ومن رحمته: أن شرع لهم تَحِلَّةَ الْقَسَمِ بأداء الكَفَّارَةِ لليمين.
- أنه لا بأس بإسرار بعض الحديث إلى مَنْ يُرْكَنُ إِلَيْهِ مِنْ زَوْجَةٍ وَصَدِيقٍ، وَأَنَّهُ يَلْزِمُهُ كِتْمَانُهُ.
- فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ - رضي الله عنهما -، فقد قال - تعالى - في حقهما: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُبُوتًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ .

بيان الآيات:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ هذا نداء للمؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهليهم من الأولاد والأزواج من النار، وذلك بالعمل في طاعة الله وذكره، واتقاء معاصيه، حتى ينجوا من نار حطبها جثث المشركين والكافرين، والحجارة التي تتكون من كبريت، أو من أصنام المشركين

﴿عَلَيْهَا مَلَكِيَّةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ أي: إن طبيعتهم الغلظة والشدّة، حيث نزع الله من قلوبهم الرحمة، حتى يكونوا أشد قسوة على المشركين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يخالفون أمره ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: يفعلون ما يؤمرون به في الحال.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ أي: يقال يوم القيامة للمشركين والكفرة: إن عذرکم اليوم لن ينفعکم، فقد كان لكم فسحة من الوقت للعمل في طاعة الله، فلم تفعلوا ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: هذا جزاء عملکم في الدنيا.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: توبوا إلى الله توبة صادقة خالصة، لا تعودوا بعدها إلى فعل المعاصي، وأخرج الطبري بسند ثابت عن عبد الله بن مسعود في قوله-تعالى:-

﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَّصُوحًا﴾ قال: «يتوب ثم لا يعود».

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: إذا تبتم إلى الله التوبة النصوح فسوف يغفر لكم ما سلف من خطيئاتكم، ويدخلكم جناته بما فيها من النعيم والخلود الأبدي ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ أي: يغفر لكم ذنوبكم في ذلك اليوم الذي يدخل فيه النبي والمؤمنون الجنة.

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أي: يتقدمهم نورهم، وهم على الصراط في طريقهم إلى الجنة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا﴾ أي: يقول المؤمنون لربهم: أتمم علينا نورنا حينما يرون نور المنافقين قد انطفأ ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: تجاوز عن خطيئاتنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب أمر الأولاد والأزواج بطاعة الله، واجتناب معاصيه، ويشمل ذلك كل من تحت ولاية المرء، ومن يأتmer بأمره، وهذه تربية عظيمة من الله- عز وجل- لعباده المؤمنين، ليس لأن أولادهم وزوجاتهم تحت ولايتهم، ويجب عليهم تربيتهم على طاعة الله

فحسب، بل لأن نفع ذلك يعود عليهم جميعاً، فالولد الذي يتربى على طاعة الله يكون صالحاً، ومن الخير للأب أن يكون ولده كذلك؛ لأن عمله لا ينقطع، كما قال رسول الله -ﷺ-: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

- أن الجزاء من جنس العمل، فمن عمل صالحاً في الدنيا وجده يوم القيامة، ومن عمل سيئاً كذلك.
- وجوب التوبة الصادقة من الذنوب بما تقتضيه شروطها من الندم على ما فات من المعصية، وعدم العودة إليها، والعزم على تركها، هذا إذا كانت المعصية في حق الله، فإن كانت تتعلق بحق الآدميين كالغصب ونحوه وجب التحلل من صاحبه.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وِبَئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

بيان الآية:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد -ﷺ- أن يجاهد المشركين والكفار بالسلاح، وأن يجاهد

(١) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (رقم ١٦٣١).

المنافقين بالوعيد والتهديد لهم؛ لكي يتركوا نفاقهم، ويخلصوا في إسلامهم ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يغلظ على المشركين والكفار والمنافقين بالعقاب في الدنيا ﴿وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مقرهم جهنم يوم القيامة ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: تعس ما يؤولون إليه.

وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قال: «أمر الله نبيه-عليه الصلاة والسلام- أن يجاهد الكفار بالسيف، ويغلظ على المنافقين بالحدود .

﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: واشدد عليهم في ذات الله ﴿وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ يقول: ومصيرهم جهنم، ومصيرهم الذي يصيرون إليه نار جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ قال: وبئس الموضع الذي يصيرون إليه جهنم».

أحكام وفوائد الآية:

- وجوب التشدد في دين الله، وعدم التسامح مع المشركين والكفرة، وهذه مهمة المرسلين، فإن الغالب في بني آدم العصيان، إما بسبب الجهل، وإما بسبب العتو والطغيان، فاقتضى هذا إنذارهم أولاً بوجوب توحيد الله وطاعته، فإن فعلوا، وإلا وجب جهادهم لإعلاء دين الله، ولو لم يفعل الأنبياء والرسل تبليغ رسالات ربهم بالحجة

ثم بالقوة لفسدت الأرض التي خلقها الله؛ لتكون مكاناً لعبادته،
ولفسد الخلق الذين خلقهم الله لعبادته، كما قال-تعالى-: ﴿وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ
كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا
عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ ١٠ وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ١١ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا
فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ
الْقَانِنِينَ ١٢﴾.

بيان الآيات:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ
كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ هذا المثل
ضربه الله لتوكيد أن أحداً لن يغني عن أحد شيئاً يوم القيامة، فكون
هاتين المرأتين زوجتين لنبيين كريمين لم ينفعهما؛ لأنهما كانتا
فاسدتين في دين الله، فكانت امرأة نوح تتهمه بالجنون، وكانت امرأة

لوط تخبر بضيوفه، وتحرض قومه الفاسدين، وأخرج الطبري بسند حسن عن عكرمة في قوله-تعالى:- ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: «في الدين».

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لم ينفع زوجتي نوح ولوط قريتهما من زوجيهما، بل كان جزاؤهما بسبب عملهما ما ذكره الله-عز وجل-بقوله: ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ هي آسية بنت مزاحم، وقد ضرب الله المثل بها في الإيمان، فقد عذبتها فرعون، وأمر بقتلها لما علم بإيمانها مع موسى، فلما علمت بذلك ﴿قَالَتْ رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: دعت ربها أن يجعلها من عباده المتقين، وأن يسكنها جناته معهم، وأن ينجيها من كفر فرعون، وأن ينجيها من عذاب قومه الظلمة، فاستجاب الله لها.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هذا المثل الثاني من المؤمنات مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها، وصانته من الدنس، فكانت عابدة لله، تقية مؤمنة، صابرة على أذى اليهود وكيدهم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: نفخ جبريل في جيبها، فحملت بإذن الله بعيسى؛ ليكون نبيًا ورسولًا من عند الله إلى قومها الذين كان الفساد

منتشراً بينهم ﴿وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا﴾ أي صدقت بما قاله جبريل لها بأنه رسول من الله، ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ أي وصدقت بكتب الله .
﴿وَكَاَنْتَ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ أي: المطيعين لله المخبتين له، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ قال: «فنفخنا في جيبها من روحنا ﴿وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا﴾ يقول: آمنت بعيسى، وهو كلمة الله ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ يعني التوراة والإنجيل ﴿وَكَاَنْتَ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ يقول: وكانت من القوم المطيعين».

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير خيانة امرأتي نوح ولوط، والمراد بها الخيانة في الدين، وليس في العرض؛ لأنه ما من نبي بغت امرأته قط، كما قال ابن عباس-رضي الله عنهما-، فمن كرامة الله لأنبيائه ورسله حفظ زوجاتهم لأعراضهم.

- تقرير أن أحداً لن يغني عن أحد شيئاً يوم القيامة؛ لأن كلاً يجزى بعمله، كما قال-تعالى-: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم:٧]، فلما كان جزاء امرأتي نوح ولوط النار كان جزاء امرأة فرعون ومريم ابنة عمران الجنة، فالمعيار هو الإيمان أو الكفر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الملك

مكية، وآياتها ثلاثون آية

﴿تَبْرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

بيان الآيات:

﴿تَبْرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ هذا بيان من الله -عز وجل- يعظم فيه نفسه، وأنه المالك لكل ما في الوجود من الكائنات ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

أي: خلقهما لقدر قدره، وحكمة أحكمها، وذلك ليمتحن العباد؛

ليرى من يعمل منهم عملاً صالحاً في الدنيا، فيوحد الله حق توحيده، ويطيعه حق طاعته، ويشكره على نعمه، وليرى من الذي يتولى من عباده عن طاعته، ولا يأتى بما أمره به، ولا ينتهي عما نهاه عنه؟، ثم يكون لكل منهم جزاؤه حسب عمله.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: المتعالي بعظمته عن عصاه ﴿الْغَفُورُ﴾ لمن تاب وأتاب إليه ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: طبقة بعد طبقة، بعضها فوق بعض.

﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾ أي: ما ترى العين في خلقه للسماوات وغيرها من نقص أو عيب أو خلل، بل هو كامل في كينونته وصنعه، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾ قال: «ما ترى فيهم اختلاف».

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: ردد بصرك إلى السماء؛ لترى هل فيها من عيب أو خلل؟، والجواب: حاشا وكلا، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ قال: «هل ترى من خلل يا ابن آدم؟».

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: مرتين ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾

خَاسِئًا ﴿٢٥٠﴾ أَي: ذليلاً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ﴿٢٥١﴾ أي: كليل، والمراد: أنك لو كررت النظر في السماء لرجع إليك بصرك صاغراً دون أن يرى فيها خللاً.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ المراد بها الكواكب والأفلاك العظيمة ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ﴿٢٥٢﴾ أي: جعلنا الشهب التي تخرج منها رجوماً للشياطين إذا أرادت استراق السمع من السماء، أما الكواكب نفسها فهي ثابتة.

وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ قال: «إن الله -جلّ ثناؤه- إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها».

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ﴿٢٥٣﴾ أي: أعدنا للشياطين أشد الحريق وأعظمه.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن افتتاح السورة الكريمة بالإخبار عن عظمة الله والثناء عليه براعة استهلال؛ لندرة البدء بمثله في لغة العرب، وفي اختيار لفظ ﴿تَبَرَّكَ﴾ إشارة إلى أهمية البركة وفضلها، وهي أمر

معنوي يُشعر به، ولا تُدرك حقيقته.

- عظمة الله-جل وعلا-، وأنه المالك لكل شيء في الوجود، فتباركت
أسماءه، وتقدس صفاته.

- حكمة الله في خلق الموت والحياة، وهي اختبار عباده؛ ليعلم من
المطيع؟، ومن العاصي منهم؟، ومن الشاكر منهم لنعمه؟، ومن
الكافر بها؟.

- خلق السماوات على غير مثال سابق، وأن الله خلقها كاملة خالية
من العيوب والنقائص.

- خلقه-تعالى-للنجوم في السماء؛ لتكون زينة لها، وعلامات
يهتدى بها، ورجوًا للشياطين حين يحاولون استراق السمع
منها.

- كما أن الحياة نعمة عظيمة فإن الموت نعمة كذلك، فهو السبيل
للوصول إلى الجنة والنعيم، وبه تحصل الراحة من الهموم
والغُموم، وفيه العبرة والعظة لجميع الخلق، ولذا ورد في
الأحاديث الحث على تذكُّره وترقُّبه، كما في قوله-ﷺ-: «أَكْثَرُوا
من ذكر هاذم اللذات»^(١).

(١) رواه أحمد في المسند، (رقم ٧٩٢٥)، (٣٠١/١٣) الرسالة، ورواه آخرون، وهو حسن.

- النص على البصر في الآيات دون غيره من الحواس لأنه الوسيلة المثلى عند الإنسان للفحص والاختبار، والتأكد من سلامة الشيء، أو حصول العيب فيه.

- أن في إضافة الخلق إلى اسم ﴿الرَّحْمَنُ﴾ في قوله-تعالى:- ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ إشارة إلى عموم رحمة الله-تعالى- بخلقه، وأن الرحمة هي مبدأ التعامل مع الخلق، ولا يُحرم منها إلا من لا يستحقها.

- إشارة الآيات إلى أَنَّ تَفَحُّصَ الشيء للتيقن من سلامته أو عيبه يحتاج إلى النظر فيه مراراً متعددة، فقد لا يظهر العيب من بادئ النظر وأوله.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ٨ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ٩ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ١٠ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١١ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٢

بيان الآيات:

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ أي: لكل من كفر بالله وآياته ورسله عذاب جهنم يوم القيامة ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المرجع والمقام.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي: إذا رمتهم ملائكة العذاب فيها سمع الكفار شهيقتها وأصواتها، وهي تغلي من شدة حرها.

﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد تتقطع وتتمزق من شدة غيظها على الكافرين ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: مجموعة من الكافرين ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ على جهة التوبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: ألم يأتكم رسول في الدنيا ينذركم، ويحذركم من هذا العذاب الذي تلاقونه اليوم؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ أي: يقولون نعم! لقد جاءنا رسول، وأنذرنا من هذا العذاب ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: قلنا للرسول: لستم بصادقين، فلم ينزل الله عليكم من شيء.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ أي: أنتم الضالون، ونحن المهتدون.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

أي: لو كنا نسمع الرسل، أو نعقل عنهم ما جاؤوا به من الهدى، ما كنا في الحال التي نحن فيها اليوم، وهي النار المستعرة، ولهذا قال الله -عز وجل- عنهم: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ أي: اعترفوا بتكذيبهم الرسل الذين أرسلوا إليهم ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: قبحاً وبعداً لهم من رحمة الله.

أحكام وفوائد الآيات:

- ما للكافرين من العذاب جزاء تكذيبهم لآيات الله ورسله.
- اعترافهم بتكذيبهم لرسول الله، ووصفهم لأنفسهم بالجهل وفساد العقل حين اتهموا الرسل بالضلال.
- أن نسبة الغيظ والشهيق إلى جهنم إما أن يكون على ظاهره، وإما أن يُحمل على تشبيه صوت لهيبها وسرعة تبادلها بصوت الغضبان وحركته، وإما أن يكون المقصود به الزبانية^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(١٢)
 وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ^(١٣) أَلَا
 يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ^(١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (٥٦/٣٠).

الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ

﴿١٥﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: هم الذين يخافونه، ويعلمون أنه يراهم، ويراقبهم، فيطبقون شرعه، ولا يتعدون حدوده، ويخافون عذابه ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: تُغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم، ويهبهم الله الأجر والثواب.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ المراد: أخفوا قولكم في محمد-ﷺ- أو أعلنوه ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ ذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: إن الله يعلم ما تسرون وما تعلنون.

ثم قال-ﷺ-: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: أتظنون أيها الجهلة أن الذي خلقكم لا يعلم ما تسرون في نفوسكم ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أي: الذي لطف بعلمه وقدرته كل سرائر المخلوقات ومكنوناتها، وهي في الأصلاب.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ أي: جعلها منبسطة وسهلة؛ لكي تسيروا عليها، وتستقروا فيها ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾

أي: سيروا وسافروا في سهولها وأرجائها وفجاجها، واعملوا فيها، فقد سهلها الله لكم.

وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:-
﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ قال: «طرقها وفجاجها».

﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ أي: اسعوا فيها، واعملوا مما يسره الله لكم فيها من الطيبات إلى أن ترجعوا إليه يوم القيامة، كما قال-عز وجل:-
﴿وَالِيهِ النُّشُورُ﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب الإيمان بالغيب، وقد وصف الله المؤمنين بأنهم الذين يؤمنون بالغيب، فقال-عز ذكره:-
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ٢: ٣].

- أن الله يعلم سرائر خلقه وعلاانيتهم، سواء أعلنوها أم أسروها؛ لأنه الذي خلق السر، فهو يعلمه، لا تخفى عليه منه خافية.

- أن عِلْمَ الله-تعالى-محيط بكل الدقائق، وشامل لجميع الأسرار والخفايا في هذا الكون، وهذا من لوازم ألوهيته-سبحانه-.

- أنه شرع لعباده السير في الأرض لابتغاء رزقهم، وقضاء حاجاتهم،

ويدخل في ذلك سفرهم للسياحة إذا لم تكن في معصية، أو لم تكن لبلاد فيها خطر على دين المسافر.

- أمر الله-تعالى-بالمشي في الأرض طلباً للرزق، ولم يأمر بالسعي؛ لما يعلمه-سبحانه-من حال الإنسان في الحرص على الرزق، والمبالغة في طلبه، فكأنَّ الأمرَ بالمشي دون السير؛ للتخفيف من الاندفاع، والتقليل من الاجتهاد البالغ في طلب الرزق.

- حقيقة البعث والنشور يوم القيامة.

﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلْرَحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ .

بيان الآيات:

﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ لما ذكر الله-ﷻ-أنه جعل الأرض ذليلة لخلقه ذكَّروهم بقدرته وعظمته إذا لم يؤمنوا به، وبأنه قادر على أن يخسف بهم الأرض، فإذا تلك الأرض التي كانت سهلة أصبحت تمور، أي: تضطرب وتعلو

عليهم، فيكونون في أسافلها.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: هل

تأمنون إذا عصيتم الله، وتعديتهم حدوده أن يرسل عليكم ريحًا فيها حصاب، فتهلككم كما أرسلت إلى الأمم التي كانت قبلكم، فأهلكتهم؟.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أي: ستعلمون حينئذ كيف يكون

عقاب من يعصي الله، ويكذب آياته ورسله؟ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم السابقة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ أي: كيف

كان إنكاري عليهم شديدًا، وعقابي كان لهم أليمًا؟.

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: ألم ينظر

المكذبون لآيات الله وقدرته كيف حال الطير فوقهم، وهن صافات أجنحتهن في الهواء، ينشرنها تارة، ويجمعنها تارة أخرى؟، ما يمسكنهن في الهواء إلا الذي خلقهن، كما قال -ﷻ -: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾، أي: لا يفعلن ذلك إلا بقدرة الرحمن وتسخيره ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ أي: بصير بما يفعله ويدبره لخلقه.

وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله -تعالى-:

﴿صَفًى وَيَقْبِضْنَ﴾ قال: «بسطهن أجنحتهن وقبضهن».

أحكام وفوائد الآيات:

- تذكير المكذبين لآيات الله ورسله أن الله قادر على أن يقلب عليهم الأرض، فيهلكوا فيها بعد أن جعلها ذليلة لهم، وأنه قادر كذلك على أن يرسل عليهم ريحاً مصحوبة بأحجار، فتهلكهم كما أهلك بها من كان قبلهم من الأمم الظالمة.
- تذكير المكذبين لرسلمهم كحال المشركين الذين كذبوا رسول الله - ﷺ - بأن الله سبق أن أهلك أمماً وأقواماً جزاء كفرهم.
- تذكير العباد بقدرة الله، كيف جعل الطير في الهواء، يرفع جناحاً، ويخفض آخر، فلا يسقط وهو يقطع آلاف الأميال؟، في كينونة وصنع عجيب، لا يقدر عليه إلا الله.
- كَشَفَ العلمُ أن الطيور الصافَّة تُركب من التيارات الهوائية المساعدة التي تنشأ من اصطدام الهواء بعائق ما، أو من ارتفاع أعمدة من الهواء الساخن، فإذا كانت الريح هينة ظلت الأعمدة قائمة، وصَفَّت الطيور في أشكال حلزونية، أما إذا اشتدت انقلبت الأعمدة أفقيّاً، فتصَفُّ الطيور في خطوط مستقيمة بعيدة المدى، وتوصِّل العلم إلى أن كل طائر عندما يضرب بجناحيه يعطي رفعة إلى أعلى للطائر الذي يليه مباشرة، وعلى ذلك تتخذ الطيور

المهاجرة- بإلهام الله تعالى- الطيران على شكل الرقم (٧)، وهذا الشكل يُمكنُ الطيرَ من الطيران مسافات إضافية قُدِّرَتْ على الأقل بـ«٧١%» زيادة على المسافة التي يمكن أن يقطعها فيما لو طار بمفرده^(١).

- التعبير عن قبض أجنحة الطيور في الهواء بالفعل المضارع ﴿وَيَقْبِضَنَّ﴾ دلالة على تجدد هذه الحركة واستمرارها وضرورتها من أجل إتمام عملية الطيران للطيور.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾
 ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

بيان الآيات:

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾

المخاطب كفار قريش، وهذا استفهام إنكاري، والمراد: ليس لكم قوة أو حزب ينصركم من دون الله، فيدفع عنكم العذاب إذا

(١) صور إعجازية في القرآن الكريم، (ص ١٧٧-١٧٨).

عصيتموه ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ أي: غرتهم الشياطين، فأضلّتهم عن السبيل السوي.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ أي: لا أحد غير الله ينعم عليكم من نعم الدنيا، كإنزال الغيث ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ أي: إن أمسك الله رزقه عنكم ﴿بَلْ لَّجُؤًا﴾ أي: أصروا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ أي: طغيان ﴿وَنُفُورٍ﴾ عما جاءهم به رسول الله من الحق.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: إن من يمشي وهو منكس رأسه لا يرى أمامه، ولا يلتفت إلى يمينه ولا إلى شماله، ليس مثل من يمشي سويًا في سيره يرى أمامه، ويقلب وجهه يمينًا وشمالًا، وهذا مثل للمؤمن والكافر، فالكافر كالمنكس رأسه من العمى، لا يبصر طريق الهدى، خلافًا للمؤمن الذي يمشي وهو يبصر طريقه، ويقلب نظره ذات اليمين وذات الشمال، ولهذا قال- تعالى:- ﴿أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- أنه لا قوة إلا قوة الله، وأنه لا ناصر إلا هو، ولا ولي إلا هو، وأن من يعتقد أن له شفيعاً من دون الله فهو في غرور وضلال.
- أن الغرور المترتب من الشياطين يسيطر على عقل الكافر، فلا يبصر

هدى الله.

- أنه لا يرزق إلا الله، ولو أمسك رزقه لهلك الخلق جميعاً، وأن من يمشي على طريق الله وطريق رسوله هو الذي يحصل له الفوز في الدنيا والآخرة، خلافاً للكافر الذي يسيطر عليه غرور الشيطان، فيهلكه في الدنيا وفي الآخرة.

- أن في قوله-تعالى:- ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ تشبيهاً لحال المشرك بالدابة في مشيه مُكِبًّا على وجهه، مُنْكَسًّا رأسه، فهذا حال الدواب في هَيْئَتِهَا وَمَشْيِهَا.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾
قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً
سَيَّئَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ
﴿٢٧﴾﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أي: قل يا نبينا ورسولنا محمداً

لهؤلاء المشركين: إن الله هو الذي خلقكم من العدم إلى الوجود.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أي: جعل لكم آذاناً

تسمعون بها، وعيوناً تبصرون بها، وعقولاً تعقلون بها.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: ألا تشكرون الله على هذه النعم التي

لا يقدر عليها إلا هو.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو الذي نشركم في

الأرض، وبنثكم فيها ﴿وَالِيهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: سوف يجمعكم بعد

تفرقكم في أرجاء الأرض، فتأتون إليه فرادى لا يتخلف منكم أحد.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: يقول

المشركون: متى هذا اليوم أي: يوم القيامة الذي نجتمع فيه بعد

التفرق إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟، وهذا يقولونه على سبيل

السخرية والاستهزاء.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قل لهم يا رسولنا: لا يعلم أحد

ذلك اليوم إلا الله ﴿وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إنما أنا نذير لكم من

عذاب الله، وقد بلغتكم رسالته، وبلغتكم أن هذا اليوم سيأتي لا

محالة، أما علم وقوعه فهو عند ربي.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لما رأوا

عذاب يوم القيامة قريباً منهم ساءت وجوههم من العذاب بسبب كفرهم ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ أي: تتمنونه، وتسالون عنه استهزاء وسخرية، كقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦].

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب شكر الله- تعالى- على نعمة السمع والبصر والعقل.
- أنه قُدِّمَ السمع على البصر في الآية الكريمة لأنَّ الجهاز السمعي يعمل عند الإنسان قبل الجهاز البصري، وأُفِرِدَ السمع مع جمع الأبصار لأنَّ الإنسان إذا كَثُرَتْ حوله الأصوات لا يستطيع تمييز بعضها من بعض، ولكن إذا رأى عدداً كبيراً من الناس يستطيع التمييز بينهم.

- نعم الله على خلقه، حيث بثهم في الأرض، وحكم بأنهم سيرجعون إليه؛ لِيُرَوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فيجازيهم عليها.

- أن المشركين والكفار الذين كانوا ينكرون البعث، ويستهزئون به، تسود وجوههم إذا رأوا العذاب، ويقال لهم: هذا الذي كنتم به تستهزئون، كما قال- ﷻ- عنهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

[الزمر: ٤٨-٤٧].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ﴿٥٠﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: قل يا نبينا ورسولنا محمداً لمشركي مكة الذين كانوا يتمنون وينتظرون موتك: أخبروني إن أماتنا الله أو رحمنا، فأخر آجالنا، فمن ينقذكم أنتم من عذاب الله؟، فلا فائدة لكم من تمنى موتنا، فلو كانت لكم عقول لاهتديتم، وتركتم أصنامكم، حتى ينجيكم الله من العذاب.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: قل لهم يا

نبينا ورسولنا محمداً: هو الله الذي لا إله إلا هو، آمنا به حق الإيمان، وتوكلنا عليه حق التوكل.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: من هو الضال؟

أنتم أم نحن؟، ولمن تكون له الحسنى في الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: قل لهم: إن ذهب

ماؤكم في أسفل الأرض، فلم تجدوا ماء تشربون منه ﴿فَمَنْ

يَأْتِيَكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ أي: من الذي سيأتيكم بماء معين، أي:

عذب جار ينقذكم من العطش؟، والجواب: لا أحد يأتي به إلا الله

وحده.

أحكام وفوائد الآيات:

- أنه وَضَعَ الظاهرَ موضع المضمَر في قوله-تعالى-: ﴿فَمَنْ يُجِيرُ

الْكَافِرِينَ﴾ لتسجيل الكفر عليهم، وبيان أنه السبب في عدم

نجاتهم^(١).

- عداوة المشركين لرسول الله-ﷺ-، وتمنيهم موته، كما

قال-ﷺ- عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ

(١) الشوكاني، فتح القدير، (٣٥٢/٥).

الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾. [الطور: ٣٠].

- وجوب الإيمان بالله، والتوكل عليه، كما قال -عَلَيْهِ السَّلَام-: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وقال -عزَّ ذكره-: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

- أهمية الماء، وحاجة الخلق إليه لشرابهم، وأنه لا أحد يقدر على استخراجه إذا جعله الله غائراً في الأرض.

- أن في قوله -تعالى-: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ إخراجاً للكلام مَخْرَجَ الإنصاف؛ إذ فيه تسوية بين الفريقين، وجعلهما محتملين للضلال بنسبة واحدة، مع حصول اليقين لدى صاحب الحق به، وهو من أساليب الإقناع.

- أنه قد يغور الماء المخزون في صخور القشرة الأرضية بتكون الصدوع والخصوف الأرضية، كما قد يغور بالضخ المفرط الزائد على معدل تدفق الماء إلى البئر، وفي الحالتين لا يحفظ الماء في صخور الأرض، أو يعوضه إذا غار إلا رب العالمين^(١).

(١) آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، (ص ٤٥١-٤٦٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القلم

مكية، وآياتها اثنتان وخمسون آية

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ن﴾ أحد الحروف المقطعة، والله أعلم بمراده منها.

﴿وَالْقَلَمِ﴾ هذا قسم من الله بالقلم، والمراد به كل قلم كجنس، ويكتب به من في السماء ومن في الأرض ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: ما يكتبون، أي: الملائكة فيما تكتبه من أعمال العباد.

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم، وهو نفي الجنون عن رسول الله - ﷺ - ردًا على المشركين الذين يقولون: إن به جنونًا، كما حكاه الله عنهم بقوله - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

﴿وَأَنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: لك ثواب على حملك أعباء

النبوة والرسالة، غير ممنون أي: غير منقوص.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي: إنك على دين وأدب عظيم،

فقد أدبه ربه بدين الإسلام، وأرسله به، فصارت فيه كرائم الخلق من اللطف والرأفة والرحمة، كما قال -ﷺ-: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]،

فهو خير مثال لكل فضيلة، كالعفة والكرم والحياء والحلم،

وحسن الخلق بكل معانيه، وأخرج أحمد بسند صحيح عن أبي

هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إنما بعثت لأتمم صالح

الأخلاق»^(١)، وأخرج الحاكم بسند صحيح عن سعد بن هشام بن عامر

في قول الله -ﷻ-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال: سألت عائشة -

رضي الله عنها-: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن خلق رسول الله -ﷺ-،

فقالت: «أتقرأ القرآن؟»، فقلت: نعم!، فقالت: «إن خلق رسول الله -

ﷺ- القرآن»^(٢).

(١) المسند، (٢/٣٨١)، وأخرجه الحاكم في المستدرک، (٢/٦١٣)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل، (رقم ٧٤٦) مختصراً، وأخرجه الحاكم في المستدرک، (٢/٥٤١)، وصححه، ووافقه الذهبي.

﴿فَسْتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ أي: ستعلم يوم القيامة، ويعلم قومك الذين اتهموك بالجنون ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ أي: من المجنون فعلاً الذي فتن بالجنون؟، وذلك حين تنكشف الأعمال والسرائر، ويظهر الحق، ويبطل الباطل، فحينئذ سيعلم المتهمون لك عاقبة كذبهم، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ قال: «أيكم أولى بالشیطان».

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: هو الذي يعلم علم اليقين من الذي زاغ عن طريق الحق، واتبع الشيطان؟ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الذين ثبتوا على الطريق القويم، وسوف يجازى كلّاً بما عمل.

أحكام وفوائد الآيات:

- الحكم بأن الله يقسم بما يشاء من خلقه، وقد أقسم هنا بالقلم الذي كتب أقدار الخلائق؛ لما رواه الوليد بن عباد ابن الصامت-
رضي الله عنه- قال: دعاني أبي حين حضره الموت، فقال: إني سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: وما أكتب؟، قال: اكتب القدر، وما كان، وما هو كائن إلى الأبد»^(١).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب: في القدر، (رقم ٤٧٠٠)، والترمذي في كتاب القدر، (رقم ٢١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

- أن في القسم بالقلم وبما يُكتب رفعةً لشأن العلم والعلماء، وتنبيهًا لأهمية الكتابة وفضلها، ودورها في نشر العلم وحفظه.

- أن الله-تعالى-تَوَلَّى الدفاع عن نبيه-ﷺ-؛ وذلك لعظيم مقامه عنده، وَبَيَّنَتْ لنا هذه الآياتُ عَظِيمَ خُلُقِهِ، وعَظِيمَ الأجر الذي أكرمه الله-تعالى-به.

- تكذيب الله لمشركي قريش في اتهامهم لرسول الله-ﷺ-بالجنون.

- أنه يُلَحِظُ كثرة المؤكّدات في الآيتين (٣-٤)، وهي: التأكيد بـ(إِنَّ)، والخطاب بالكاف، وتقديم الجارّ والمجرور ﴿لَكَ﴾، وتنكير ﴿لَأَجْرًا﴾، ووصفه بأنّه غير منقطع، واستعمال ﴿لَعَلَّيْ﴾ المفيدة للاستعلاء والتمكُّن.

- أنه اجتمع في النبي الكريم-ﷺ-سماتُ القدوة الحسنة من الصفات الحسنة، والأخلاق الفاضلة، ولم يكن أحدٌ لِيُعِيبَهُ بشيء من هذا الجانب.

- الأجر الكبير من الله-ﷻ-لرسوله على ما تحمله في سبيل الدعوة إلى دين الله.

- وصف الله لرسوله محمد-ﷺ-بأنه على خلق عظيم، وهذا تشريف له من ربه، وكان-عليه الصلاة-كما وصفه ربه، وقد ثبت في الصحيحين ما رواه أنس-رضي الله عنه-قال: «خدمت رسول الله-ﷺ-عشر

سنين، والله ما قال لي: أفّ قط، ولا قال لشيء: لم فعلت كذا؟، وهل فعلت كذا؟^(١)، وكان -ﷺ- أحسن الناس خلقاً^(٢)، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله -ﷺ-، ولا شممت مسكاً ولا عطرًا كان أطيب من رائحته -عليه الصلاة والسلام-^(٣).

وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: «ما ضرب رسول الله -ﷺ- شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فانتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله -ﷻ-»^(٤)، وعنها -رضي الله عنها-: «ما خيّر رسول الله -ﷺ- بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله -ﷺ- لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله -ﷻ-»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب: استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صلاحاً له، (رقم ٢٧٦٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: «كان النبي -ﷺ- أحسن الناس خلقاً»، (رقم ٢٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الكنية للصبي، (رقم ٦٢٠٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: «كان النبي -ﷺ- أحسن الناس خلقاً»، (رقم ٢٣١٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب: ما يذكر من صوم النبي -ﷺ-، (رقم ١٩٧٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: طيب رائحة النبي -ﷺ-، (رقم ٢٣٣٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: صفة النبي -ﷺ-، (رقم ٣٥٦٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: مبادئه -ﷺ-، (رقم ٢٣٢٨)، واللفظ له.

(٥) هو نفسه الحديث السابق.

﴿فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ٩ وَلَا
 تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ ١١ مَنَّاعٍ لِلْخِيزِ
 مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُثْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ١٣ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤
 إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٥ سَنَسِفُهُ وَ عَلَى
 الْخُرُطُومِ ١٦﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ لما كذب الله المشركين في اتهامهم لرسول
 الله -ﷺ-، ثم وصفه بالخلق العظيم، نهاه عن طاعة المشركين
 ومقاربتهم؛ لأنهم كانوا يدعونه إلى الكف عنهم حتى يكفوا عنه.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ أي: يودون أن تلاينهم بالقول أو
 الفعل، فيلاينوك، ويبقوا على كفرهم، وأخرج الطبري بسند صحيح
 عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ قال: «لو
 تركزن إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه من الحق، فيمالئونك».

﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ قيل: المراد به الوليد بن
 المغيرة^(١)؛ لأنه عرض على رسول الله -ﷺ- مالا، وحلف أن يعطيه إن

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، (٤/٤٠٤).

رجع عن دينه، وكان هذا صاحب مال كثير، والحلاف: كثير الحلف بالكذب، والمهين: الفاجر، أو هو الحقير عند الله.

﴿هَمَّازٍ﴾ أي: يغتاب الناس، ويعيبهم ﴿مَشَّامٍ بَنَمِيمٍ﴾ أي: كثير المشي بين الناس بالنميمة بقصد زرع الفتنة والفساد بينهم.

﴿مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ أي: مُبالغ في منع بذل المال في وجوه الخير، فلا ينفقه إلا في فساد ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: يعتدي على الناس بلسانه ويده ﴿أَثِيمٍ﴾ بما يفعله من إيذاء الناس، والتطاول عليهم.

﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ العتل: الغليظ الجافي في تعامله وعلاقاته مع الناس، وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس في قوله- تعالى:- ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: «رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة»^(١)، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ قال: «شديد الأشر، والزنيم هو الدعي الذي ينتسب إلى قوم، وهو ليس منهم».

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ استفهام إنكاري، والمراد: لأن كان له مال وبنون طغى واستكبر ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة «نون والقلم»، (رقم ٤٩١٧).

الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ أي: إذا يتلى عليه كتاب الله قال: هذه خرافات الأولين وأباطيلهم.

﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ أي: سنجعل له علامة يعرف بها، وهي: علامة أهل النار يوم القيامة، فيسود وجهه يوم تبيض وجوه المؤمنين.

وأخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ قال: «سنسم على أنفه».

أحكام وفوائد الآيات:

- أن طلبَ المداينة والتنازل عن بعض الحق من قِبَلِ المشركين قديمٌ حديثٌ، وهو ممَّا يندرج ضمن اتباع خطوات الشيطان؛ إذ يبدأ التنازل بخطوة، ثم تتبعه خطوات.
- وجوب عدم طاعة من يكذب بآيات الله، أو يكفر أو يستهزئ بها.
- وجوب عدم مداينة الكفرة ومقاربتهم مقابل أي وعد منهم.
- ذم وتقبيح من يحلف بالباطل، ويلمز الناس، أو يعيبهم، أو يطعن فيهم، أو يمشي بالنميمة بينهم؛ لما رواه ابن عباس-رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما

الآخر فكان يمشي بالنميمة»^(١).

- ذم وتقبيح العتلّ الفظّ؛ لقول رسول الله - ﷺ -: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟: كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟: كل عتل جواظ مستكبر»^(٢).

- ذم كثرة المال إذا كان لا ينفق منه في وجوه البر والخير.

- أن جميع الصفات المذكورة في هذه الآيات لِمَنْ نهى الله عن طاعته صفات زميمة سيئة، ينبغي للمرء المسلم أن يترفع عنها، وأن يتخلق بحسن الأخلاق وطيبها.

- أن التعبير عن الأنف بالخرطوم، واختيار السمة، وهي العلامة فيه، لزيادة الإذلال والإهانة للمتكبر المتعالي على الخلق، الذي يشمخ بأنفه على الناس.

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب: ما جاء في غسل البول، (رقم ٢١٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول، ووجوب الاستبراء منه، (رقم ٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله - تعالى -: ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾، (رقم ٤٩١٧)، ومسلم في كتاب الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون، (رقم ٢٨٥٣).

أَعْدُوا عَلَى حَرِيكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْظِلُوا وَهُمْ
يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا
عَلَى حَرِّ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا
سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
يَتَلَوَّمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا
خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ .

بيان الآيات:

لما نهى الله -جل وعلا- نبيه ورسوله محمداً -ﷺ- عن صفات
المشركين كالوليد بن المغيرة المخزومي، ضرب الله مثلاً لكفار
قريش، فقد أنعم الله عليهم، وأعطاهم من فواضله الشيء الكثير،
وأهم ذلك بعثة رسوله محمد -ﷺ- فيهم؛ مما يعد شرفاً لهم،
ولكنهم لم يشكروا الله على ذلك، بل قابلوا بعثة رسوله بالكذب
والاستهزاء والطغيان.

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ أي: امتحناهم ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾

أي: بلوناهم بالقحط كما بلونا أصحاب الجنة، والمراد بها الحديقة التي كانت تشتمل على أنواع كثيرة من النخيل والثمار، قيل: إن أصحاب هذه الجنة أناس من اليمن، كانوا يسكنون في قرية تبعد عن صنعاء بستة أميال، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكان يسير في تلك الجنة سيرة حسنة، فما يستغله منها يرد فيه ما يصلحه، ويدخر لعياله قوت سنتهم، ويتصدق بالباقي، فلما مات، وورث بنوه الجنة، انتقدوا فعل أبيهم بما يدفعه للفقراء، وقالوا: إذا منعناهم مما كان يعطيهم توفر لنا خير كثير^(١)، فلما فعلوا ذلك عاقبهم الله فأذهب جنتهم، كما قال-تعالى-: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا ليقطعن ثمار نخيلهم وفواكههم قبل الصبح؛ حتى لا يأتيهم فقير أو سائل يسألهم شيئاً منها.

﴿وَلَا يَسْتَتْنُونَ﴾ أي: فيما أقسموا به، أو يكون المراد: لا يستثنون حق الفقراء والمساكين ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أي: أصابها الله بآفة حولت الجنة إلى حصيد أسود، وهم نائمون، لا يدرون عنها، كما قال-تعالى-: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي: الليل المظلم.

(١) تفسير الطبري، (٢٣١/١٧٢).

﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ﴾ أي: لما أصبحوا نادى بعضهم بعضاً؛ ليذهبوا إلى الجنة؛ ليقطعوا ثمارها قائلين: ﴿أَنْ أَغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰرِمِينَ﴾ أي: قوموا بسرعة، واذهبوا إلى جنتكم إن كنتم تريدون صرامها، أي: قطع ثمارها.

﴿فَانْظَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ أي: يناجي بعضهم بعضاً سرّاً، بحيث لا يسمع الفقراء حديثهم ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ أي: لا تسمحوا لأحد من المساكين أن يدخلها ﴿وَعَدُوا﴾ أي: ذهبوا في الغد إلى جنتهم ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: على قصدٍ وجدية في معزل عن طريق المساكين، وأخرج الطبري بسند صحيح عن الحسن في قوله-تعالى-: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ قال: «جهد أو جد» ﴿قَدِيرِينَ﴾ على صرام ما في الجنة من الثمار .

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضٰلُّونَ﴾ أي: لما رأوا جنتهم على حالتها من السواد والفساد ظنوا أنهم ضلوا الطريق، وأن ما رأوه ليس جنتهم، ولما عرفوا أن التي رأوها هي جنتهم قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرُومُونَ﴾ أي : قالوا: هذه هي جنتنا، ولكن ليس لنا فيها نصيب، لكن أحدهم -وهو أعلمهم- ذكّرهم بخطئهم، وأن ما حصل لهم هو عقاب لهم من الله؛ لأنهم لم يسبحوا أي: لم يستثنوا، أو لم

يشكروا الله على ما أعطاهم من النعم، فيحسنوا إلى الفقراء والمساكين، وهو معنى قوله-تعالى:- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أي: سبحوا لله، وعظموه، وندموا على ما فعلوا، ولكن بعد أن فات الأوان، فلم ينفعهم حينئذ الندم، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قال: «أعدلهم».

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضاً على ما فعلوا من حرمان الفقراء مما أوجب الله لهم في مالهم ﴿قَالُوا يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: يا ويلنا من الله! بسبب طغياننا وشحننا ومنع الفقراء من حقوقهم ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ أي: لقد تبنا إلى الله مما حصل منا، ونرجوه أن ينعم علينا بجنة خير من جنتنا، فنحن راغبون في رحمته وفي فضله.

﴿كَذَٰلِكَ أَلْعَذَابُ﴾ أي: هذا الذي حصل لهؤلاء الإخوة عذاب في الدنيا، حيث حرّموا من جنتهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعلمون لأدركوا أن عذاب الدنيا قليل

بالنسبة لعذاب الآخرة، من حيث شدته، والخلود فيه.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الله قد ضرب هذا المثل لكفار قريش؛ ليعلموا أن ما أصاب أصحاب الجنة قد يصيبهم في أموالهم، فيمنع الله عنهم القطر، وينزع البركة من رزقهم، فيصابون بالجوع، وهذا المثل كما ينطبق على كفار قريش ينطبق على كل من يبخل بماله في أي زمان أو مكان، فلا ينفق منه في وجوه الخير، كالعطف على الفقراء والمساكين، قال-تعالى:- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

- وجوب الاستثناء في كل أمر يهم العبد بفعله، أي: يجب عليه أن يجعل هذا الأمر تحت مشيئة الله، كما قال-تعالى:- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَائِيٍّ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَذُكِّرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣: ٢٤].

- يقول العلماء: عندما يتعرض النبات للأعاصير الصاعقة، أو الرياح الشديدة المصحوبة بالصاعقة، يهلك الزرع، فالصاعقة تميت وتجفف، فإذا ارتفعت شدتها تؤدي إلى الإحراق والتفحم،

والرياح الشديدة تحطم وتكسر ما جففته الصاعقة^(١).

- دلالة قوله-تعالى:- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ على وجود بذرة الخير، ولو عند واحد من الجماعة العازمين على الشر، وعلى توجُّهه إليهم بالنصح ألا يفعلوا ما عزموا عليه، إلا أنه مع ذلك وافقهم فيما أرادوا، ولم يمنعه ما فيه من خير من ذلك.
- بيان أن الله حين يعاقب قومًا بسبب ذنوبهم يجعل ذلك عبرة لهم لكي يتوبوا، كما يجعله عبرة لغيرهم لكي يحذروا.
- أن اللوم والندم لا يغير شيئاً مما يحدث من قول أو فعل، وإنما تجب التوبة عن فعل المعصية، وذلك دفعاً لانتقام الله.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلَهُمُ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾.

(١) الإشارات العلمية في القرآن الكريم علم النبات في القرآن الكريم، للدكتور السيد عبد الستار المليجي،

بيان الآيات:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ لما ذكر الله -ﷻ- حال أهل الجنة التي احترقت حين عصوا أمر الله، وذلك بمنعهم الصدقة على الفقراء والمساكين، بين ما للمتقين يوم القيامة من الجنات والنعيم الأبدي، ثم رد على كفار قريش الذين قالوا: إن الله أعطانا من النعيم في الدنيا، وسنكون كذلك يوم القيامة، إن صح أنا نبعث كما يقول محمد، ونحن بهذا أفضل من أصحاب محمد، فقال -ﷻ- ردًا عليهم: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: هل نجعل المسلمين الذين استسلموا لله، وانقادوا له، فوحدوه وأطاعوه، مثل المجرمين الذين عصوا الله، وطغوا، وعتوان وأشركوا بالله؟، والجواب بالنفي، فبين هؤلاء وهؤلاء فرق كما بين السماء والأرض.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف تحكمون هذا الحكم الضال، وكأن أمر الحساب والجزاء عندكم؟.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: هل لكم كتاب تجدون فيه حكما يجعل المسلم كالمجرم؟.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي: لكم في ذلك الكتاب ما تختارونه من الأحكام.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنْ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أي: هل أعطيناكم عهدًا ومواثيق بأنه سيكون لكم يوم القيامة ما تشتهون؟.

﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: اسألهم يا نبينا محمدًا: من الذي ضمن لهم هذا؟، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله- تعالى:- ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ قال: «أيهم بذلك كفيل؟» ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ من الأوثان ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن المؤمنين لا يتساوون بأي حال مع المجرمين، كما قال-تعالى:-
﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨]، وقال-عز ذكره:-
﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر:٢٠].

- ذكر حجج المشركين والكافرين يوم القيامة، وأن ادعاءهم وأعدائهم لا تغني عنهم من الله شيئاً.

- دلالة قوله-تعالى:- ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ المتضمن مقابلة المسلم للمجرم، أن الكفر من أعظم الجرائم التي

تحصل من الإنسان، ويستحق الكافر أن يلقب مجرمًا.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٤٢ خَلِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهَقَهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ٤٣ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ ٤٤ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٥ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ٤٦ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ٤٧ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ٤٨ .

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بيان ذلك أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا كان يوم القيامة مُثَّلَ لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا، فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، ويبقى أهل التوحيد، فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب الناس؟، فيقولون: إن لنا ربًّا كنا نعبد في الدنيا، ولم نره، قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟، فيقولون: نعم!، فيقال: فكيف تعرفونه ولم تروه؟، قالوا: إنه لا شبيه له، فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله - تعالى -، فيخرون له سجدًا، وتبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي البقر

(أي قرونها)، فينظرون إلى الله-تعالى-فيريدون السجود، فلا يستطيعون، وذلك قوله-تعالى-: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(١).

وأخرج البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-قال: سمعت رسول الله-ﷺ-يقول: «يكشف الله ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى مَنْ كان يسجد في الدنيا رثاء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً»^(٢). وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس-رضي الله عنهما-أنه قال في معنى الآية: «هو الأمر الشديد المفضع من الهول يوم القيامة»^(٣).

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلة منكسرة ﴿تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: تغشاهم ذلة بسبب إجرامهم وتكبرهم ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي: كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا وهم أقوياء في أبدانهم، ولكنهم لم يفعلوا تكبراً منهم عن عبادة الله وطاعته. ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: دعني ومن يكذب بالقرآن، فإنني سأمهله، ثم آخذه،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٤١/١٤ - ٤٢).

(٢) رواه البخاري، (رقم ٤٩١٩)، في كتاب التفسير، باب سورة القلم.

(٣) أخرجه الطبري وغيره بسند حسن، يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، (٤٢٨/١٣).

وأعاقبه أشد العقاب ﴿وَأْمُلِي لَهُمْ﴾ أي: أمهلهم، وأزين لهم الدنيا، وأغدق عليهم النعم كيذا لهم بسبب تكبرهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي: عظيم شديد ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: أتريد منهم أجرًا على إبلاغك دين الله لهم، مع أنك لن تسأل ذلك؟ ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي: يضجرون ويتبرمون من طلب أي مال يطلب منهم ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ أي: هل يأتيهم الوحي بهذا القول الذي يقولونه؟، وهذا سؤال استنكاري، والجواب بالنفي.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الله -عز وجل- يتجلى يوم القيامة للمؤمنين الذين آمنوا به في الدنيا، وهم لم يروه، ولكنهم عرفوه بعقولهم وإيمانهم، وبما جاءتهم به رسلهم، وعندما يرون نوره يخرون له سجدًا إجلالًا لعظمته، وعندما يراهم الكافرون على تلك الحال يحاولون أن يفعلوا مثلهم، وقد خشعت أبصارهم، وأرهقتهم الذلة، فلا يستطيعون، وذلك عقوبة لهم على عدم سجودهم له في الدنيا.
- أن العادة ألا يُعلم المستدرج المستدرج بما يخطط له، ولا يخبره به؛ ليتّم له الاستدراج كما يرغب، ولكن الله -سبحانه- عدلاً منه ورحمة بعباده أعلمهم باستدراجه إياهم؛ ليأخذ الفطن اللبيب منهم جذره، وينجو من الاستدراج والإملاء.

- عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُمْلِهِ»^(١).

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدْرَكُهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَأَجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَفَجَعَلَهُ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

بيان الآيات:

لما ندد الله بما فعله المكذبون لرسوله من كفار قريش أمره أن يصبر على أذاهم، وألا يكون مثل صاحب الحوت يونس بن متى -عليه السلام- حين ذهب مغاضباً لقومه، كما قال -تعالى-: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ حيث كان من أمره -كما سبق ذكره في سورة الأنبياء- ركوب البحر، ودخوله في جوف الحوت، وذهابه به في ظلمات البحر، وسماعه تسبيح البحر ومن فيه لله الواحد القهار، فعندئذ نادى في الظلمات

(١) رواه البخاري، (رقم ٤٦٨٦)، كتاب التفسير، باب سورة هود، ورواه مسلم، (رقم ٢٥٨٣)، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم.

﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٧].

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾

أي: لولا مناداته لله وهو في ظلمات البحر، وتوبته عليه، ل طرح من بطن الحوت في أرض تهلكه، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ قال: «وهو ملیم» ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: اصطفاه بعودة الوحي إليه مرة ثانية، وجعله من عباده الصالحين.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا

الذِّكْرَ﴾ أي: وإن يكاد المشركون ليحسدونك بغضا وعداوة لك إذا

سمعوك تتلو القرآن، ذلك أنه من شدة عداوتهم لرسول الله -ﷺ-

أرادوا أن يصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش، وقالوا: ما رأينا

مثل حججه، وكان الحسد بالعين شائعا عند نفر من العرب، وقيل:

إن أحدهم يمكث لا يأكل شيئا يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانب الخباء

فتمر به الإبل أو الغنم، فيعاينها، فما تلبث إلا قليلا حتى يسقط شيء

منها، فسأل المشركون أن يصيب لهم رسول الله -ﷺ- بالعين،

فأجابهم، فلما مر رسول الله -ﷺ- أنشد:

قد كان قومك يحسبونك سيذا وإخال إنك سيد معيُونُ فعصم

الله رسوله - ﷺ -، ونزلت هذه الآية^(١).

وأخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عباس في قوله - تعالى -: ﴿لَيَزِلُّ قُنُوكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ قال: «ليزهقونك» ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: يتهمونك وهم كاذبون؛ لكي يبعدوا الناس عن سماع القرآن، والدخول في دين الله ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: ما القرآن أو محمد إلا ذكر للعالمين، يهتدون به، فتشملهم رحمة ربهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب الصبر حين الدعوة إلى الله، وفي الصبر فضل كبير، كما قال - ﷺ -: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]. وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ٢: ٣].

- أن العين تصيب المعيون، وذلك بأمر الله - ﷻ -، وفي ذلك حديث بريدة بن الحصيب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا رقية إلا من عين أو حمة»^(٢)، وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، (ص ٦٩٣ - ٦٩٤)، والجامع لأحكام القرآن، (١٨/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، (رقم ٥٧٠٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، (رقم ٢٢٠).

سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا»^(١)، وعنه-أيضاً-: «أن رسول الله-ﷺ- كان يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»^(٢).

كذب المشركين والكفار في اتهامهم لرسول الله-ﷺ-، والتوكيد بأن القرآن ومحمداً كليهما حق، فالقرآن كلام رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومحمد-ﷺ- رسول من رب العالمين إلى الثقلين الجن والإنس.

- أنه يُستدل بقوله-تعالى-: ﴿لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ على إمكان حصول الإصابة بالعين، وفي الحديث عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أن النبي-ﷺ- قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين»^(٣).

- أنه كما بدأت السورة بنفي الجنون عن النبي الكريم-ﷺ- خُتمت به، وفي ذلك توافق والتئام بين البدء والختام.

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب: الطب والمرض والرقي، (رقم ٢١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، (رقم ٣٣٧١).

(٣) رواه مسلم برقم ٢١٨٨ كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحاقة

مكية، وآياتها ثنتان وخمسون آية

﴿ الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكِثُ بِالْخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ١٢ ﴾ .

بيان الآيات:

﴿ الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴾ المراد بها: القيامة؛ لأن الحقوق تُحَقُّ فيها
 ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ ﴾ تعظيمًا لشأنها، وأخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن قتادة في قوله -تعالى-: ﴿ الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴾ قال: «حققت لكل قوم أعمالهم».

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ أي: كذبت ثمود وهم قوم

صالح، وعاد وهم قوم هود، بالقارعة وهي القيامة؛ لأنها تقرر القلوب بالخوف والهلع، كما أخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ قال: «أرسل الله عليهم صيحة واحدة، فأهمدتهم».

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ أي: بالصيحة المهلكة التي نزلت بهم، فأهلكتهم ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أي: أهلكوا بريح باردة شديدة.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: أرسلها عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتاليات، كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿وَتَمْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ قال: «تباعا».

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا بِرِيحٍ خَافِيَةٍ﴾ أي: ترى يا نبينا محمداً القوم بعد أن تتابعت عليهم هذه الريح قد ألقوا على الأرض، كأنهم جذوع نخل ساقطة على الأرض، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي: لم يبق لهم باقية، بل بادوا عن آخرهم.

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ أي: من الأمم السابقة

﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ﴾ أي: قرى قوم لوط، وسميت بهذا الاسم لأنها اتفتكت بهم، أي انقلبت بهم، وقيل: إنها خمس قرى، هي: سدوم، وصعوة، وصبعة، ودوما، وعمرة .

﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالمعاصي الجسيمة ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أن تلك الأمم كذبت رسل الله إليها ﴿فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَّابِيَةً﴾ أي: أخذهم أخذة شديدة بسبب عصيانهم، وتكذيبهم لرسولهم، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿أَخَذَةً رَّابِيَةً﴾ قال: «شديدة».

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي: الطوفان الذي أغرق الله به قوم نوح، ونجّاه ومن كان معه من المؤمنين في السفينة ﴿حَمَلْنَكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي: حملنا آبائكم في السفينة، ومعنى آبائكم أن الذين نجوا مع نوح هم آباء البشر ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ أي: أبقينا السفينة عظة وعبرة لكم ﴿وَتَعِيَهَا﴾ أي: لتحفظها ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ سامعة.

أحكام وفوائد الآيات:

- التوكيد على القيامة، وتعظيم شأنها، وأن ثمود قوم صالح وعادًا قوم هود كذبوا بها، فأهلكهم الله بالصيحة، وبالريح العاتية، وكانت ثمود تسكن في الحجر بين الحجاز والشام، وأما عاد

فكانت تسكن في الأحقاف الواقعة بين عمان وحضرموت، وقد دمرت مساكنهم جميعاً - كما سبق ذكره -، فلم يبق إلا آثار جعلها الله عبرة لمن يعتبر من الطغاة.

- أن من عصى رسل الله كان مصيره الهلاك، كحال ثمود وعاد، وقوم نوح الذين أهلكهم الله بالطوفان، ومن كان بعدهم كثمود وعاد وقوم لوط ممن عصوا رسلهم، وأن الله نجى من الطوفان نوحاً ومن كان معه في السفينة، فكان من بقي من قوم نوح آباء الجنس البشري، فلو لم ينجم الله لكان هذا الجنس قد انتهى من الأرض.

- وضع الاسم الظاهر موضع المضمرة في ﴿مَا الْحَاقَّةُ ۚ﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿﴾ لزيادة التهويل.

- أن الله خاطب الذرية في قوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ مع أَنَّ المحمول أجدادهم لا هم؛ لاستحضار المشهد، ولأنَّ إنجاء السابقين إنجاءٌ لِمَنْ توالد منهم بعد.

- أنه ذكّر إهلاك ثمود بصيحة عظيمة رهيبة، وُصفت في بعض الآيات بأنها رجفة، وفي بعضها بأنها صاعقة، وكل هذا للدلالة على عظمتها وقوة أثرها^(١).

(١) روح المعاني، (٢٠٨/٢١).

- أنه يُفْهَمُ مَنْ قَوْلِهِ-تعالى:- ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أن ابتداء عذاب عادٍ كان أول النهار، وأنه انتهى آخر النهار كذلك، ولذا كان عدد أيامه زائداً على عدد لياليه بواحد.

- يقول علماء النبات: النخيل من الأشجار القوية العملاقة الباسقة المتحدية لظروف الجفاف والرياح والرمال وما شابه ذلك، ومع ذلك فإنها تصاب بالهرم والشيخوخة، وعند الشيخوخة تَصْفَرُّ أوراقها، وتجف قمتها، وتبقى واقفة في الهواء كالوتد العملاق، وبعد فترة من الزمن يخترق الجفاف نخاعها قبل الأجزاء الخارجية من الجذع فتصبح خاوية، فإذا هبَّت الريح تساقطت على الأرض خاوية اللَّب^(١).

- أن الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ من قوله-تعالى:- ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ يعود على عاد وثمود.

- أنه أفرد لفظ ﴿رَسُولٌ﴾ في الآية الكريمة ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ مع أن المتحدث عنه رسولان؛ إذ أُرْسِلَ موسى إلى فرعون، وأُرسل لوط إلى قومه؛ لأنَّ دعوة الرسل كلهم واحدة، فكأنهما رسول واحد، وهذا كقوله-تعالى:- ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ

(١) الإشارات العلمية في القرآن الكريم علم النبات في القرآن الكريم، للدكتور السيد عبد الستار المليجي، (ص ٤٠٤).

الْعَلَمِينَ ﴿الشعراء: ١٦﴾.

- أنه في إفراد لفظ ﴿أُذُنٌ﴾ ، وتنكيره في قوله - تعالى -: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ إشارة إلى قلة مَنْ يَعِي من الناس، وأن هؤلاء لهم عند الله مكانة كبيرة، وإن قَلَّ عددهم مقارنةً بالكثير من الناس الذين لا يَعُون، ولا ينتفعون مما يسمعون^(١).

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ لا يزال الحديث عن أهوال يوم القيامة، وقد بَيَّن الله مقدماتها، وهي نفخ إسرافيل في القرن النفخة الأولى.

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: رفعتا،

(١) الكشف، (٤/٦٠٠).

وانتقلتا من محلهما، وتحركتا، فتفتتت من شدة عظم الهول ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أي: تصدعت السماء من الهول، فهي آنذاك ضعيفة.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ أي: الملائكة يقفون على أطرافها، ينظرون إلى أهل الأرض، وهم يتجهون قيامًا إلى ربهم ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ أي: يوم القيامة يحمل عرش الرحمن ثمانية من الملائكة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: بعد قيام القيامة تعرضون أيها الخلائق على ربكم، لا يخفى عليه من أعمالكم خافية.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان ما تؤول إليه الأرض والسماء عند قيام الساعة، ويتغير الكون كله كما قال -ﷺ-: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝١ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ۝٢﴾ [الطور: ٩: ١٠]، وقال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ۝١ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾ [الانشقاق: ١- ٥].

- أن مصير الناس بعد قيام الساعة هو العرض على الله للحساب والجزاء، كما قال-تعالى-: ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

- أنه يُؤخذ من الآيات التي تبين حال الجبال يوم القيامة ثبوت عدة مراحل من التغيير لها، منها: الدُّكُّ المذكور في هذه السورة، ومنها: النفس، والتسيير، وأن تصير هباءً، وأن تصير سراباً، وأن تصير كالعهن المنفوش، ولبعض المفسرين اجتهادات في ترتيب هذه المراحل^(١).

- أن في قوله-تعالى-: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أقوى رادع للكف عن محارم الله، واجتناب ما يُسخطه-سبحانه- سرّاً وجهراً.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ۝١٩
إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ
عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي
الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾.

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (١٢/٣١).

بيان الآيات:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ أي: من أعطاه الله كتابه بيمينه فهو دليل نجاته ﴿ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي ﴾ يقول ذلك فرحاً بأن الله أعطاه كتابه بيمينه، فنجاه من العذاب، ثم يقول: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ ﴾ أي: أيقنت ﴿ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِي ﴾ أي: كنت مقرراً ومعتزلاً بوقوع هذا اليوم، وكنت أخاف الله أملاً في رحمته وخوفاً من عذابه، ثم بين الله حاله في قوله-تعالى-: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ أي: يعيش عيشة الرضا، وهي ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أي: جنة عظيمة خالدة ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ أي: ثمارها قريبة لأهلها، ويقال: لأهلها.

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا ﴾ أي: لا كدر ولا هم لكم، وذلك جزاء لكم ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ أي: جزاء ما قدمتم من الأعمال الصالحة في حياتكم الدنيا.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الذين يؤمنون بالدار الآخرة، ويعملون لها، يعطون كتبهم بأيمانهم، فيفرحون بها، ويكون مآلهم إلى الجنة خالدين مخلدين فيها، ويحمدون الله على أنهم عملوا في طاعته، وأيقنوا بأنه سوف يحاسبهم، فعملوا ليوم الحساب.

- ﴿هَآؤُمْ﴾ اسم فعل أمر بمعنى: خذوا، ويجوز فيه الهمز والقصر: هاء وهاء، وتتصل به كاف الخطاب^(١).

- أن الهاء في ﴿كِتَبَهُو﴾ و ﴿حِسَابِيَّة﴾ و ﴿مَالِيَّة﴾ و ﴿سُلْطَانِيَّة﴾ هاء الوقف التي تُجْتَلَب حال الوقف على الكلمة؛ لتبيين حركة آخرها، وتثبت هاؤها وصلًا؛ لثبوتها رسماً.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَبِيَّةً
 ٢٥ وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةً ٢٦ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ٢٧ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي
 مَالِيَّةٌ ٢٨ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ
 صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُ
 كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ٣٤
 فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ٣٦ لَا
 يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ٣٧﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُ بِشِمَالِهِ﴾ لما ذكر الله -ﷻ- حال الذي يعطى كتابه بيمينه، ذكر حال الذي يعطى كتابه بشماله، فيقول: ﴿

(١) الدرالمصون، (١٠/٤٣٢).

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ يَلْتَمِسْ لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أُدْرِ
مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ أي: يتمنى أنه لم يعط كتابه، كما يتمنى أنه لم
يعرف حسابه من هول وعظم ما يرى ﴿يَلْتَمِسْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾
أي: يتمنى أن موته في الدنيا كان موتاً أبدياً لم يبعث بعده ﴿مَا أَغْنَى
عَنِّي مَالِيَةَ﴾ أي: ما أغنى عني مالي في الدنيا.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ أي: ذهبت حجتى، فليس لدي ما أقوله
وأعتذر به في هذا اليوم، ثم يقول الله-تعالى- للزبانية: ﴿خُذُوهُ
فَعْلُوهُ﴾ أي: أوثقوه في الأغلال، وصفدوه فيها ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ
صَلُّوهُ﴾ أي: أدخلوه في الجحيم ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ
ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: يسلك في سلسلة طويلة من الحديد.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ أي: لم يكن مؤمناً بالله، ولا
مصدقاً به ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ أي: كان يمنع
الطعام عن مستحقه بسبب شدة بخله وحبه للمال.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي: ليس له في ذلك اليوم صديق
أو ولي أو قريب ينفعه، أو يشفع له ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾
أي: ليس له طعام يطعمه إلا ما يسيل من أهل النار ﴿لَا يَأْكُلُهُرَ

إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿١﴾ أي: المشركون، وكل من يتعدى الحق إلى الباطل.

أحكام وفوائد الآيات:

- ندم من يعطى كتابه بشماله على تفريطه في الدنيا، وإقراره بأن المال الذي جمعه لا ينفعه.
- أن أحداً لا ينفع الكفرة يوم القيامة، لا أولادهم ولا أقاربهم ولا أصنامهم، وإنما توفى لهم أعمالهم، ويجزون عليها بالعدل.
- أن من لا يؤمن بالله يكون من أصحاب الجحيم.
- أن من يمنع حق الله فيما أوجبه من الفرائض والطاعات، ويمنع حق العباد فيما أوجب الله لهم من الزكاة، يعد من أهل الجحيم.
- أن في قوله-تعالى:- ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أقوى رادع للكف عن محارم الله، واجتناب ما يُسْخِطُه-سبحانه- سراً وجهراً.
- حَصَرَتِ الآية الكريمة ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ طعام أهل النار في هذا الصنف، وورد في آيات أخر أنه من الضريع، ومن الزُّقُوم، ولا تعارض بينها؛ إذ تُحْمَلُ على تَنَوُّعِ عذاب أهل النار، فَيُعَذَّبُ بعضهم بهذا، وبعضهم بغيره، أو على حصول بعض العذاب في مراحل، وبعضه في مراحل أخرى.

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ۝ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ .

بيان الآيات:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾ فأقسم الله بكل مخلوقاته، ما يرونها منها، وما لا يرونها ﴿ إِنَّهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: قول تلاه رسول الله بعد أن نزل به عليه جبريل.

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ كما تقولون كذباً؛ لأنه ليس من جنس الشعر، ولا من صنوفه ﴿ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴾ أي: ما أقل إيمانكم! بسبب جهلكم، وغلبة أهوائكم عليكم ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴾ أي: وليس القرآن بقول كاهن؛ لأنه حكم بكفر الشياطين فلا ينالونه بشيء ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ أي: ما أقل ما تذكرون! ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: أن القرآن تنزيل من رب العالمين، نزل به الروح الأمين على نبي الله ورسوله محمد الأمين.

أحكام وفوائد الآيات:

- الحكم بأن الله يقسم بما يشاء من مخلوقاته، ولا يجوز لأحد أن

يقسم بغيره.

- أن القرآن كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين على نبي الله ورسوله الأمين، وهذا يقتضي بطلان دعاوى المشركين وكذبهم وفجورهم، وبطلان اتهامهم لرسول الله - ﷺ - بأنه وضع القرآن، بينما هم يعلمون أنه الأمي الذي لا يكتب، ولا يقرأ، كما أنه يقتضي بطلان دعاوى وكذب كل من يقول بقول المشركين في القرآن الكريم.
- الحكم بنفي الشعر والكهانة عن القرآن، وتكذيب من قال ذلك من أعداء دين الله.

- أنه تَضَمَّنَ قوله - تعالى -: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٢٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿ الْقَسَمَ بِكُلِّ شَيْءٍ، فالمبصر وغير المبصر يشمل الخالق والمخلوق والدنيا والآخرة، والنعم الظاهرة والباطنة، وما نعلم من الخلق وما لا نعلم.

- يشير النص في القَسَمَ بما لا نُبْصِرُ إلى وجود عوالم لا يستطيع الإنسان رؤيتها، ومجرد الجزم بوجود هذه العوالم يفتح للإنسان آفاقاً هائلة من العلم بمدى ضعف الإنسان، وقلة حيلته أمام هذه العوالم العظيمة، ويتعالى بعلمه على الذين يَحْصُرُونَ إدراكهم في عالم مَرْتَبِيٍّ ضيق الحدود، وفيه دعوة إلى التأمل والتفكير والبحث والاجتهاد.

- أَنَّهُ يُنْسَبُ الْقُرْآنُ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، كما في قوله-تعالى-هنا: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ بوصفه مُبَلِّغَهُ للناس، وَيُنْسَبُ إِلَى جَبْرِيلَ -الْعَلِيِّينَ-، كما في قوله-تعالى-: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] بوصفه المرسل به من الله إلى رسوله، وَيُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ-تعالى-، كما في قوله-تعالى-: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥] لَأَنَّهُ قَائِلُهُ-سبحانه-.

- وَجَهُ الْجَمْعِ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالْكِهَانَةِ فِي الْآيَاتِ مَعَ اخْتِلَافِهِمَا أُمُورٌ، مِنْهَا: أَنَّ الْكِهَانَ كَانُوا يَجْتَهِدُونَ فِي تَحْسِينِ كَلَامِهِمْ بِالسَّجْعِ وَالْمَحْسَنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ؛ لِيَقْوَى تَأْثِيرُ كَلَامِهِمْ فَيَمُنَّ حَوْلَهُمْ.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَتَعْلَمُونَ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ أي: لو أن نبينا ورسولنا محمداً افترى، فزاد في الرسالة، أو نقص منها خلافاً لما أرسلناه إليه

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي: لانتقمنا منه باليمين ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ أي: قطعنا منه عرق القلب ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أي: لا أحد منكم حينئذ يمنع الهلاك عنه.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إن القرآن تذكرة وعظة للمتقين الذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ أي: نعلم أن منكم من يكذب بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: التكذيب ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: ندامة على الكافرين يوم القيامة حين يلاقون سوء أعمالهم .

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: إنه القول الحق الذي لا شك ولا ريب فيه ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: نزهه وقُدِّس وعظَّم الذي أنزل هذا القرآن الذي جعله هدى وبشرى للمتقين، وفي هذا أمر لرسول الله - ﷺ -، والمراد به أمته؛ لتنزيه الله عن الأنداد، وتقديسه، وتعظيمه، وتسبيحه في السر والعلن.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن رسول الله - ﷺ - لا يمكن أن يتقول على الله، فقد نزهه وطهره من الكذب؛ لأن الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم-مؤمنون بالله حق

الإيمان، وقد علم الله ما في قلوبهم، فنجاهم من الكذب، والمؤمنون لا يكذبون سواء فيما بينهم وبين الله، أو بينهم وبين خلقه، فلا يفترى الكذب إلا الذين لا يؤمنون، كما قال-تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

- أن القرآن عظة وعبرة للمتقين، وحسرة على الكافرين حين يرون أصحاب القرآن يفوزون بالجنة يوم القيامة، وهم ينظرون إليهم في أشد الحسرة والندامة، كما قال-تعالى-: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

- الأمر بتسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن الأنداد.

- أن في قوله تعالى: ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ وجهين، أولهما: أن يكون من إضافة الموصوف إلى صفته، ومثله: عين اليقين، وثانيهما: أن يكونا بمعنى واحد، ويكون من إضافة الشيء إلى نفسه بلفظ مغاير، وهو أسلوب شائع معروف في اللغة^(١).

(١) الهداية، (٧٦٩٣/١٢)، والدرالمصون، (٢٣٢/١٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المعارج

مكية، وآياتها أربع وأربعون آية

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾
مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ
يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ أي: دعا داعٍ من المشركين على نفسه
وعلى قومه بنزول العذاب؛ ليخدع الناس، ويبرهن لهم أنه ومن معه
على الحق، حقًا أن العذاب سيقع على الكافرين، وليس ثمة ما يمنعه،
وقيل: نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث^(١).

﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ أي: إذا وقع العذاب على الكافر
فليس له مانع، بل لا محالة في وقوعه من الله.

﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أي: رب السماوات، ذي العلو العالي،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، (٥١٢/٢)، (رقم ٣٩٠٠)، وصححه، ووافقه الذهبي.

والدرجات العظيمة ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي: تصعد إليه الملائكة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي: يكون صعودها في يوم مقداره في السير العادي خمسون ألف سنة، وهذا من دلائل عظمة الله وقدرته في تدبير هذا الكون وتصريفه.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: اصبر يا نبينا ورسولنا محمدًا على ما تلقاه من الأذى من قومك، فلا تجزع، ولا تهن، فإن الله ناصرك ومعينك على دعوتك، وهذا كان في بداية الدعوة، وقبل الأمر بالقتال. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ أي: يرى المشركون العذاب بعيدًا؛ لأنهم يكفرون بالبعث ﴿وَنَرْنَهُ قَرِيبًا﴾ أي: نراه آتياً لهم، لا محالة.

أحكام وفوائد الآيات :

- جهل المشركين وسفاهتهم في سؤالهم العذاب، فلو سألوا الله الهداية والرحمة لكان خيرًا لهم، ولكنه الضلال والعياذ بالله.
- الأمر بالصبر، سواء أكان في الدعوة إلى الله أم في كل أمر ينزل بالمسلم من المصائب وغيرها.
- أن واقعة القيامة في الزمن الذي حدده الله، ولا يعلمه إلا هو.
- أن التنكير في قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ لبيان أن المقصود، وليس التعريف به، أو تبين هويته، والقصد منه العموم؛ إذ ينطبق ما في

هذه الآية على كل مَنْ يصدر عنه مثل هذا السؤال.

- أن الباء في ﴿بِعَذَابٍ﴾ بمعنى (عن)؛ لأنَّ ﴿سَأَلَ﴾ بمعنى دعا، واللام في ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بمعنى (على)، أو يكون الكلام على تقدير سؤال سائل: لِمَنْ هذا العذاب الواقع؟، فيقال: للكافرين^(١).
- وَصَفُ الله-تعالى-بأنه ذو المعارج لم يقع في غير هذه الآية، والمعارج هي المصاعد، وَيُفْهَمُ منه أَنَّ للملائكة الكرام طُرُقًا أو أَبوابًا، أو وسائلَ خاصة للصعود إلى السماء.

- أن في قوله-تعالى-: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ تحديد مدة يوم القيامة إلى ما قبل دخول الجنة والنار بخمسين ألف سنة-على قولٍ في تفسير الآية-، وفي سورة السجدة تحديده بألف سنة، والجمع بينهما: أن في يوم القيامة مواقف متنوعة، لها مُدَدٌ يصل بعضها إلى ألف سنة، ومجموعها خمسون ألف سنة، ويخفف الله-تعالى-هذه المدة على المؤمنين؛ لما ورد في الحديث عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ-رضي الله عنه-قال: قيل يا رسول الله: ما أطولَ هذا اليوم!، فقال: «والذي نفسُ بيده! إنه لَيُخَفَّفُ على المؤمن، حتى يكون أخَفَّ عليه من صلاة مكتوبة يصلِّيها في الدنيا»^(٢).

(١) أبو حيان، البحر المحیط، (٢٧١/١٠).

(٢) رواه أحمد في المسند، (رقم ١١٧١٧)، وحَسَّنَه ابن حجر في الفتح، (٤٤٨/١١).

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ ٨ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾
 ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي
 مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِيهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
 تُتْبِعُهُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى ﴿١٥﴾
 نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ .

بيان الآيات:

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ أي: إن العذاب واقع بالكافرين

يوم تذوب السماء كذوبان الرصاص أو النحاس.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أي: تتفتت الجبال، وتكون مثل

الصوف المصبوغ الذي تلعب به الريح ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾

أي: لا يسأل القريب قريبه، بل كل منشغل في نفسه.

﴿يُبْصَرُونَهُمْ﴾ وعدم سؤال القريب قريبه ليس نتيجة عدم

معرفته له، بل إنه يبصره، ويعرفه، ثم يفرّ منه؛ لأن ما يراه من هول

ذلك اليوم يشغله عن كل شيء ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ

يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ﴾ أي: يتمنى المجرم مرتكب المحرمات أن يفتدي نفسه

من عذاب ذلك اليوم ببنيه الذكور ﴿وَصَاحِبَتِيهِ﴾ أي: زوجته

﴿وَأَخِيهِ ١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُسَوِّيه ﴿أَي: عشيرته﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿أَي: يود أن كل من في الأرض يفتيديه﴾ ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿من عذاب ذلك اليوم؛ لما يراه من هوله وعظمه وشدته﴾.

﴿كَلَّا ١٣﴾ أَي: لا يقبل منه فداء في ذلك اليوم، لا من قريب، ولا من غيره، وإنما توفي له أعماله، ويجازى عليها ﴿إِنَّهَا لَطِي ١٤﴾ أَي: جهنم شديدة الحرارة ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ١٥﴾ أَي: تنزع وجوه المجرمين وجلود رؤوسهم ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ١٦﴾ أَي: تدعو النار سكانها الذين عملوا لها في الدنيا بارتكابهم لمحارم الله، واتباعهم لأهوائهم، وتكذيبهم لآيات الله، وتولوا وأعرضوا عما جاءهم من الهدى ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى ١٧﴾ كما تدعو صاحب المال الذي جمعه، فأوعاه، أَي: أمسكه في وعائه، وبخل به، فلم ينفق منه في زكاة، ولا صدقة، ولا بر.

أحكام وفوائد الآيات:

- هول يوم القيامة، وتغير الكون، فتكون السماء مثل الرصاص المذاب، وتكون الجبال كالصوف الذي تتطاير به الرياح.
- أن أحداً لا ينفع أحداً يوم القيامة مهما كانت قرابته منه، كما قال- تعالى:- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوهَا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ

حَقٌّ فَلَا تُغَرِّتُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢٣﴾
 [لقمان: ٢٣]، وقال - عز ذكره -: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ
 بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

- الوعيد للذين يعرضون عن سبيل الله، ويتولون عنه، ويجمعون
 المال، ويمسكونه، فلا يزكونه، ولا يتصدقون منه، ولا يبرون به
 قريباً أو فقيراً أو مسكيناً.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا
 مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
 دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾
 وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ
 مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
 حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
 مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ
 قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي
 جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ هذا بيان من الله -ﷻ- عن طبيعة الإنسان، وأنه خلق هلوًا أي: شديد الحرص ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ أي: كثير الجزع والأسى ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ هذه صفة للذي يملك المال، ويمنع حق الله منه كالزكاة، ثم استثنى الله من هذا الوصف أناسًا بسبب إيمانهم، فقال- تعالى -: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي: الذين يؤدون الصلاة المكتوبة في أوقاتها، ويقيمون أركانها، ويوفون بشروطها.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ أي: يحافظون عليها في أوقاتها، وأخرج الطحاوي بسند صحيح عن أبي الخير، قال: سألت عقبة بن عامر عن قول الله -ﷻ-: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ أهم الذين لا يفترون؟، قال: «هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا خلفهم، ولا عن أيانهم، ولا عن شمائلهم»^(١).

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ المراد به: الزكاة المفروضة ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ أي: أصحاب الحاجات الذين يسألون، والذين لا يسألون بسبب عفافهم ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الدِّينِ﴾

(١) أحكام القرآن للطحاوي، (١/ ٢٣٧)، (رقم ٤٦٢).

أي: يقرون ويؤمنون بوقوع يوم القيامة والجزاء والحساب ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ أي: يخافون من عذاب ربهم، فيجتنبون محارمه، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي: غير مأمون لمن أشرك به، أو ضيع حدوده، أو كذب آياته أو رسوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي: يمنعونها عن المحرمات، ولا يأتون إلا ما أحل الله لهم، كما قال -ﷺ-: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ فهؤلاء حلال لهم، ولا يلامون على إتيانهم.

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي: من ابتغى غير زوجته وإمائه فهو ظالم متعد لحدود الله، مخالف لأوامره ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي: إذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا وفوا، ولم يغدروا.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ أي: محافظون عليها، لا يزيدون فيها، ولا ينقصون منها، ولا يكتُمونها، ولا يتقدمون بها إذا لم يسألوا عنها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: يحافظون على أدائها في أوقاتها كما تقدم.

ثم بَيَّنَّ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حال هؤلاء المتصفين بهذه الصفات العظيمة، فقال:

﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: يكرمون عند ربهم في جنات النعيم.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن في الآيات (١٩-٢١) إخبارًا مستقبليًا بأنَّ الإنسان جُبِلَ على الجزع وشدة الحرص، فإنه إذا أصابه المكروه والعسر فهو كثيرُ الجَزَعِ والأسى، وإذا أصابه الخير واليسر فهو كثير المنع والإمساك.
- أن الهلع والجزع ومنع الفضل من أسوأ الأوصاف في الإنسان، فما تكون هاتان الصفتان في إنسان إلا لنقص إيمانه؛ لأنَّ المؤمن يُسَلِّمُ أمره إلى الله، فلا يحرص على جمع الدنيا، ولا يجزع من فواتها، كما قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، ولأنَّ ما فات قد يكون في فواته مصلحة كبرى للإنسان، كما أن الفرح بالدنيا قد يكون فيه ضرر له، فقد استثنى الله من هذه الصفات المؤدين لصلاتهم، والمزكين لأموالهم، والمؤمنين بالبعث، والمشفقين من عذاب ربهم، والحافظين لفروجهم إلا على أزواجهم وإمائهم، والمؤدين لأماناتهم وعهودهم، والقائمين بشهاداتهم، والمحافظين على صلاتهم.

- أن المقصود بـ ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الإماماء، وهنَّ النساء المملوكات، وتفيد الآية جواز وطء الأمة من سيدها، وللإماء كما للعبيد أحكام مذكورة في كتب الفقه.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي: مصوبى النظر إليك مسرعين، كما أخرج الطبري بسند جيد عن الحسن البصري في قوله-تعالى:- ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قال: «منطلقين».

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: جماعات جماعات

جالسين عن يمينك وشمالك، ويشاهدون آيات الله تتلى، ومع ذلك لا يؤمنون بما تقول، ولا يصدقون ما يسمعون، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿عَزِيزٌ﴾ قال: «العزیز: الحَلَقُ المجالسُ».

﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كان هؤلاء المنافقون الذين يحضرون مجلس رسول الله -ﷺ- يستهزئون بالمؤمنين الذين كانوا يجلسون كذلك معه-عليه الصلاة والسلام-، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، ولئن أعطوا منها شيئاً لنعطين أكثر منه.

﴿كَلَّا﴾ لا يدخلونها، ثم قال-ﷺ-: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنهم يعرفون أنهم مخلوقون من نطفة صغيرة، وأنهم أضعف ما يكونون ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ هذا قسم من الله بذاته العلية رب السماوات والأرض، ورب الكون كله في مشرقه ومغربه وسائر جهاته ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: قادرون على أن نذهب بهم، ونأتي بخلق آخر خير منهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: لسنا بعاجزين عن فعل ذلك الخلق.

﴿فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾

أي: اتركهم يلهون في باطلهم وفي دنياهم ومتعهم الدنيوية، وسوف يلاقون ما وعدوا به، أما أنت فلا تلتفت إليهم، وامض إلى ما أمرك الله به، وسيكون معينك وناصرك.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاجًا﴾ أي: يوم يخرجون من

القبور وهم مسرعون بعد سماعهم صيحة إسرافيل ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ

نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ أي: كأنهم يذهبون إلى عِلْمٍ أو راية مسرعين، أو

يكون المعنى: كأن إسراعهم إلى إجابة الداعي مثل إسراعهم في الدنيا إلى

الأصنام، كل منهم يريد أن يستلمه أولا ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ أي:

خاضعة من هول ما يرون ﴿تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: يغشاهم الذل

والهوان جزاء استكبارهم واستهزائهم في الدنيا بآيات الله ورسوله.

﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: هذا هو اليوم الذي كانوا

يوعدون به، ويحذرون منه، وكانوا يكذبون به، ويستهزئون عند سماعه.

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير حال المنافقين والمشركين مع رسول الله - ﷺ - حين كان

يدعوهم إلى الله، فيجلسون معه، ولكنهم لم يكونوا يؤمنون بما

يقول، بل كانوا يستهزئون به.

- تذكير المشركين والمنافقين أنهم خلقوا مما يعلمونه، وهي النطفة الصغيرة، كما قال-تعالى:- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۖ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۚ﴾

[الطارق:٥:٧].

- بيان قدرة الله-ﷻ- بأن يذهب الكافرين، ويبدلهم بمؤمنين يطيعونه، كما قال-تعالى:- ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد:٣٨]

- أن الكافرين يأتون يوم القيامة يغشاهم الذل والهوان، ويقال لهم: هذا اليوم الذي كنتم به تكذبون.

- أن في قوله-تعالى:- ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كناية لطيفة عن المنى المستقذر، وفيه لفت النظر إلى عظيم قدرة الله على خَلْقِ الإنسان من الشيء الحقير القليل.

- أنه بتعدد المواقع على خط العرض الواحد مع تعدد خطوط الطول، وعلى خط الطول الواحد، تتعدد خطوط العرض، وبتعدد كل ذلك تتعدد المشارق والمغارب تعدداً مذهلاً، وكذلك الحال مع بقية أجرام السماء، ونتيجةً لتكورها ولدورانها حول محاورها، ولسببها حول أجرامٍ أكبر، فإن مشارقها ومغاربها

تتعدد تعدداً كبيراً^(١).

- أنه وَرَدَ في هذه الآية جَمْعُ المشارق والمغارب بحسب اختلاف مكان حصولهما كل يوم وزمانه، وورد في آية أخرى تثنيتهما بحسب مشرق الصيف والشتاء ومغربهما، وورد في آية ثالثة إفرادهما بحسب عموم الجهة والوقت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة نوح

مكية، وآياتها ثمان وعشرون آية

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١﴾ قَالَ يَقُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢ ﴿٤﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٤﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ نوح هو أول رسول أرسل إلى الخلق، وفي زمنه أغرق الله أهل الأرض جميعاً، فلم يبق منهم إلا من

(١) آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، (ص ٤٨٧-٥٠٢).

كان معه في السفينة من المؤمنين، فهم آباء الناس كلهم ﴿أَنْ أُنْذِرَ قَوْمَكَ﴾ أي: أدعهم إلى توحيد الله، وطاعته، وخوفهم من عذابه إذا لم يؤمنوا، كما قال-تعالى:- ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو الطوفان، أو عذاب الآخرة.

﴿قَالَ يَقَوْمُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي: محذر لكم، وموضح لكم ما يجب عليكم من عبادة الله وتقواه، وطاعتي فيما أمركم به؛ لأنني رسوله إليكم، وذلك فيما حكى الله عنه بقوله-تعالى:- ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: يغفر لكم من خطاياكم وسيئاتكم ما مناطه منها حق الله، أما حقوق الآدميين فلها شأن آخر، هو التسامح، أو القصاص من الأعمال.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يبارك لكم في أعماركم، ويؤخر عنكم العقوبة، فإن لم تؤمنوا عاجلكم بها.

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إذا أمر الله بعقابكم فلا رادّ لأمره، فعليكم بالتوبة قبل فوات الأوان.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب توحيد الله وطاعته، وهذه كل دعوات الرسل من أولهم نوح-

- عليه السلام- إلى آخرهم نبينا ورسولنا محمد- ﷺ-.
- أن عبادة الله وتقواه وطاعته سبب في مغفرة الذنوب، وأن الآجال التي قدرها الله لا تتقدم ولا تتأخر، بل تنفذ في أوقاتها التي كتبها الله في كتاب المقادير.
- تقديم الإنذار لمناسبة المقام وللاهتمام، وعُطف عليه التبشير بمغفرة الذنوب والبركة في العمر.
- أنه يمكن تلخيص دعوة النبي الكريم في ثلاث جمل هي: اعبدوا الله، واتقوه، وأطيعون.
- تأكيد نوح- عليه السلام- كلامه لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لِيُزِيلَ تَرَدُّدَهُمْ، وَقَدَّمَهم فِي الذِّكْرِ ﴿لَكُمْ﴾ ليشعرهم بالاهتمام بأمريهم.
- إفادة ﴿مِنْ﴾ في قوله- تعالى-: ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ بيان أن الذنوب التي تُكْفَرُ بحصول الإيمان هي ما سبق من الذنوب، وما لا تَعَلُّقُ له بحق آدمي.
- حذف جواب الشرط في قوله- تعالى-: ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لدلالة ما قبله عليه، وهو: لسارعتم إلى الإيمان، والاستجابة لما يأمركم به نبيكم.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي عَازَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْثَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ۞ ﴾

بيان الآيات:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ يبين الله - تعالى -

معاناة نوح مع قومه حين توجه إلى ربه قائلاً بأنه دعا قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً إلى توحيده وطاعته.

﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ أي: ما زادتهم دعوتي لهم إلا تباعدًا عن الحق، واستمرارًا على الباطل ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ﴾ إلى سبيل الهدى ﴿ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ ذنوبهم وخطاياهم ﴿ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِيْٓءَاذَانِهِمْ ﴾ لئلا يسمعوا دعوتي لهم ﴿ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ أي: كلما دعوتهم غطوا وجوههم بثيابهم تنكرًا لي، وابتعادًا عني ﴿ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتِكْبَارًا ﴾ أي: أصروا على المعاصي، وتكبروا عليّ وعلى المؤمنين معي.

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ أي: بينت لهم الحق، وجاهرتهم به ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ أي: لم أترك وسيلة إلا فعلتها، فقد دعوتهم علانية على رؤوس الأشهاد، وأسرت لهم فيما بيني وبينهم، فلم أجد منهم إلا الإصرار على ارتكاب المعاصي.

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ أي: قلت لهم: اسألوا ربكم غفران ذنوبكم وخطاياكم؛ إنه يغفر ذنوب المذنبين، ويتوب على التائبين.

﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ أي: إذا استغفرتموه أرسل إليكم المطر مدرارًا أي: متتابعًا وغزيرًا ﴿ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ أي: إذا تبتم إليه،

واستغفرتموه من ذنوبكم، أنعم عليكم بكثرة الأموال والبنين، وأنزل عليكم المطر المتتابع، فيكون لكم بذلك جنات تنبت لكم الزروع والثمار، ويجعل لكم أنهارًا تسقي جنانكم.

ولما دعاهم ورغبهم في عفو الله ومغفرته إذا تابوا بدأ يعظهم، ويخوفهم عذاب الله إذا لم يتوبوا ويطيعوا، فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: ما لكم لا تخافون عظمة الله وقدرته في إهلاككم؟، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله- تعالى:- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: «لا تبالون لله عظمة».

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي: هو الذي جعل خلقكم طورًا بعد طور، من نطفة إلى علقة، ثم إلى مضغة إلى كمال خلقكم، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قال: «طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا عظاما، ثم كسا العظام لحما، ثم أنشأه خلقا آخر، أنبت به الشعر، فتبارك الله أحسن الخالقين».

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: ألم تروا

بأعينكم كيف خلق الله السماوات التي تظللکم وتحميکم؟، أليس الذي خلق هذه السماوات أحق بالعبادة من الأصنام التي لا تنفعکم ولا تضرکم؟.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ ترونه بأعينكم، وتهتدون بنوره في الظلمات، وتعرفون به حساب أيامكم ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ ألم تروا كذلك هذه الشمس التي جعلها الله لكم ضياءً في النهار لكسب معاشكم وأرزاقكم؟.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أي: هو الذي خلق أبائكم آدم من طين الأرض ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: حينما تموتون تعودون إلى الأرض التي خلقتكم منها ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: يبعثكم منها؛ لتقوموا إلى ربكم؛ ليحاسبكم ويجازيكم على أفعالكم.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ أي: جعلها مبسوبة سهلة لكم للسير عليها ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ أي: لتسيروا في طرقها الواسعة، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله- تعالى:- ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ قال: «طرقا مختلفة».

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير أن من الناس من يكره الدعوة إلى الله، ويصر على ارتكاب

المعاصي بسبب سيطرة الشيطان عليه، ومن هؤلاء قوم نوح في استكبارهم وعتوّهم، فإنهم استمرؤوا المعصية بعد أن عكفوا على عبادة الأصنام رغم جهود نبيهم نوح-عليه السلام-، ومكثه فيهم سنين طويلة حتى أيس منهم، ودعا عليهم.

- أن الاستغفار سبب في نزول المطر، والاستغفار يجب أن يكون مصحوبًا بالتوبة الصادقة، والإخلاص في العمل، والإقلاع عن المعاصي.

- تأكيد نوح-عليه السلام- صفة المغفرة لله-تعالى- بأكثر من مؤكّد في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾، حيث استخدم ﴿إِنَّهُ﴾ و ﴿كَانَ﴾ الدالة على ثبوت هذه الصفة، وصيغة المبالغة (فَعَّالٌ)، هذا التأكيد لتعظيم رجائهم بربهم.

- أن في الآيتين (١١-١٢) إخبارًا مستقبليًا بأنّ جزاء التوبة والإستغفار هو إنزال الله المطر الغزير المتتابع، وإكثار الأموال والأولاد، وجعل الحقائق التي ينعم بثمارها وجمالها، وجعل الأنهار التي تُسقى منها الزروع والمواشي.

- أن من ثمرات الإيمان في الدنيا حصول رَغَدِ العيش، والسَّعة في الرزق، وكثرة المال والولد، كما بَيَّنَّتْ هذه الآيات، وكما في قوله-

تعالى:- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ولا يمنع هذا من حصول البلاء والضيق على فترات، أو لأفراد من الأمة ابتلاء واختباراً.

- أن الرؤية في قوله-تعالى:- ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ علمية، وليست بصرية، فليس بإمكان الناس رؤية ما بعد السماء الأولى.

- وَصَفُ الشمس بالسراج لأنها ملتهبة، ونورها ذاتي صادر عنها إلى الأرض، ووصف القمر بالنور لأن نوره ليس ذاتياً، إنما هو انعكاس لأشعة الشمس.

- أن مصدر (أنبت) المتعدي: إنبات، ومصدر (نبت) اللززم: نبات، ودَلَّ ذلك على وجود حَذْفٍ في الآية الكريمة ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ والتقدير: والله أنبتكم من الأرض إنباتاً، فنبتُّم نباتاً، فحذف في كل جملة ما أثبتته في الأخرى، وهو نوع من أنواع البلاغة، وفي هذه الآية تشبيه نمو الإنسان بنمو النبات.

- أنه يُستدل بقوله-تعالى:- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ على كُرْوِية الأرض؛ لأنَّ الشكل الكُرْوِيَّ هو الشكل الوحيد الذي يمتد

وينبسط، ويتصل أوله بآخره بلا انقطاع، وهو ما عبّرت عنه الآية بالبسط.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ لما مكث نوح-عليه السلام- في قومه يدعوهم تسعمئة وخمسين سنة شكا إلى ربه جفاء قومه، وإعراضهم عن الحق، وعصيانهم له، واتباعهم لرؤسائهم وأغنيائهم الذين أضلوهم ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ أي: مكروا مكراً عظيماً.

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ أي: قال لهم كبرائهم وأغنيائهم: لا تتركوا آلهتكم وتتبعوا نوحاً، وهذه الآلهة: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ أي: أضل الكبراء والأغنياء أتباعهم، فلم

يستجيبوا لدعوته-عليه السلام- ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾^(١)
 هذا دعاء عليهم، والمراد: لا تزدهم إلا خسراناً.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب لجوء العبد إلى الله، والشكوى إليه إذا أعجزته الأسباب، وأعيته الحيل في التغلب على أمر من أموره الدينية أو الدنيوية، كما قال يعقوب في فراق ابنه يوسف-عليهما السلام-: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، أما الشكوى إلى غير الله فلا تجوز فيما لا يقدر عليه إلا هو.
- أن عامة الناس وجهلتهم وضعفاءهم يتبعون أصحاب السيادة والزعامة فيهم، دون التفكير في شرعية اتباعهم.
- إباحة الدعاء على الظلمة إذا تسلطوا، وتمادوا في طغيانهم وأباطيلهم، وانقطع الأمل من رجوعهم إلى الحق.
- أن الشيطان يسلك حيلاً ظاهرها الخير، ومآلها الشر، فليكن المرء في غاية الحذر من حيل الشيطان ومكائده.
- قال ابن عاشور: «ذُكِرَتْ (لا) مع ثلاثة من أسماء الأصنام، وَحُذِفَتْ من الاثنين الآخرين؛ لأنه لا يزداد في التوكيد على ثلاث مرات^(١).

(١) التحرير والتنوير، (٢٩/٢١٠).

﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ أي: بسبب خطاياهم وكفرهم أغرقهم الله بالطوفان، فماتوا عن آخرهم، ولم ينج منهم إلا نوح ومن كان معه من المؤمنين في السفينة .

﴿فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ أي: ألحقوا بالنار بعد إغراقهم، فكانت لهم عقوبتان: في الدنيا والآخرة .

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ أي: بسبب كفرهم بالله وعصيانه لرسوله أغرقوا، وعذبوا، فلم يجدوا من ينفعهم، أو يدفع عنهم العذاب.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي:

لا تُبْقِ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ دِيَارًا أَي: أَحَدًا، وَهُوَ مَنْ يَسْكُن الدَّارَ، قَالَ هَذَا نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا يَتَسَّ مِنْ هِدَايَةِ قَوْمِهِ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ، فَأَغْرَقَ الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَعَهُمْ ابْنُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَعَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ، وَقَالَ لِأَبْنَيْهِ: ﴿سَقَاوْنِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً﴾
 أَي: إِنْ أَبْقَيْتَهُمْ فَسَوْفَ يَضِلُّونَ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنْ أَصْلَابِهِمْ، وَلَنْ يَخْلُقُوا إِلَّا فَاكِراً مِثْلَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ دَعَا لِنَفْسِهِ أَوَّلًا، وَلِوَالِدَيْهِ ثَانِيًا؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا صَالِحِينَ ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ أَي: اغْفِرْ لِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ، مُصَدِّقٌ لِرِسَالَتِهِ.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أَي: اغْفِرْ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ أَي: لَا تَزِدْ كُلَّ ظَالِمٍ إِلَّا هَلَاكًا وَخُسْرَانًا، كَمَا أَخْرَجَ الطَّبْرِي بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ قَالَ: «خُسْرًا».

أحكام وفوائد الآيات:

- تقرير أن الذنوب والخطايا موجبة للهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.
- جواز الدعاء على الظلمة والطغاة إذا علم عدم هدايتهم، ولا يجوز الدعاء على كافر بعينه؛ لأن خاتمته لم تعلم بعد، والأعمال بالخواتيم، وشاهده: قول رسول الله -ﷺ-: «فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها»^(١).
- استحباب الدعاء للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والميتين، كما فعل نوح-عليه السلام-، وذلك بعد أن يدعو الإنسان لنفسه ولوالديه وأقاربه.
- أنه يلحظ أثر البيئة المحيطة بالمرء في سلوكه وعمله، فمن يَعِشْ في بيئة أهل الضلال والهوى يتأثر بها ولو بشكل يسير.

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (رقم ٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب:

كيفية خلق آدمي في بطن أمه، (رقم ٢٦٤٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجن

مكية، وآياتها ثمان وعشرون آية

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد - ﷺ - أن يقول للناس: إن نفراً من الجن قد استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن، وقد أخرج الشيخان بسندهما عن ابن عباس قال: «انطلق النبي - ﷺ - في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم

الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟، فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي -ﷺ- وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا-والله-الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾، فأنزل الله على نبيه -ﷺ-: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، وإنما أوحى إليه قول الجن»^(١).

والمراد: لقد سمعنا قرآنًا يعجب من يسمعه، حيث يختلف عن كلام الإنس؛ لقوته وفصاحته وحلاوته، وأن هذا القرآن يدل إلى الهدى والرشاد، وقد آمنا به، وصدقناه، ونحن من الآن لن نشرك بالله

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله-تعالى-: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، (رقم ٤٩٢١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، (رقم ٤٤٩)، وهناك بعض الاختلاف في رواية ابن هشام في السيرة النبوية ورواية الإمام البخاري حول الزمن الذي استمع فيه جن نصيبين لقراءة رسول الله -ﷺ-، أكان أثناء رجوعه من الطائف بعد دعوة ثقيف، أم كان ذلك أثناء ذهابه إلى سوق عكاظ؟.

شيئاً، بل سنكون موحدين طائعين له، عاصين لإبليس وجنوده.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: علا جلاله وعظمته وسلطانه، كما

أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة قال: «تعالى جلاله وعظمته وأمره» ﴿مَا أَتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ فهو الواحد الأحد، المنزه عن الزوج والولد.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ المراد بسفيهم:

إبليس ومن يتبعه منهم، وأن ما يقوله جور وزور وباطل.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي:

اعتقدنا أن الإنس والجن لا يكذبون، فصدقناهم حين قالوا: إن لله صاحبة وولداً، فلما سمعنا القرآن وما جاء به من الهدى رأينا أنهم يكذبون، وينسبون إلى الله الكذب، فنحن نتبرأ من قولهم.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ

فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ لما آمن هؤلاء أخبروا بما كان يجري من الإنس من

الاستعاذة بهم، فكان الواحد من العرب إذا نزل منزلاً أو وادياً قال:

أعوذ بسيد هذا الوادي^(١)، كما أخرج ذلك الطبري بسند صحيح عن

مجاهد، فلما رأت الجن أنهم يتعوذون بهم، ويخافون منهم زادوهم

(١) تفسير الطبري، (٢٣/٢٢٢).

رهقا، أي: خوفا وجرأة عليهم، وأخرج ذلك الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال: «زاد الكفار طغياناً».

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا من قول الله إشارة لمشركي قريش أن الجن ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله رسولا يدعو الناس إلى توحيد الله، ويقيم عليهم الحجة، وفي هذا تعريض بالمشركين في مكة أن الجن آمنوا لما سمعوا القرآن مرة واحدة، بينما أنتم تسمعون القرآن سنوات، ومع ذلك لم يؤثر فيكم، فمؤمنو الجن خير منكم.

أحكام وفوائد الآيات:

- عظمة القرآن، وتأثيره في نفوس المهتدين، فلما سمعته الجن آمنوا به، مع أنهم لم يسمعهوا إلا مرة واحدة حين كان رسول الله -ﷺ- يصلي الفجر بأصحابه في وادي نخلة بين مكة والطائف^(١).
- أن القرآن يهدي إلى الرشاد، وإلى الفوز في الدنيا والآخرة، كما قال الله -ﷻ-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّرُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله-تعالى-: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾، (رقم ٤٩٢١)، ومسلم في

كتاب الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح، والقراءة على الجن، (رقم ٤٤٩).

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾

[الإسراء: ٩].

- الحكم بتحريم الشرك، كما قال- عز ذكره-: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

فَقَدْ أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

- تنزيه الله عن الصاحبة والولد.

- أن الإنس كانوا يستعيزون برؤساء الجن إذا نزلوا منزلاً؛ لكي يمنعوا عنهم أذى قومهم، وقد أدى هذا إلى استطالة أذى الجن عليهم، وإرهاقهم بالخوف.

- أن الجن كانوا يظنون مثل الإنس أن الله لن يبعث رسولاً، فلما بعث الله محمداً - ﷺ - آمن به قوم منهم، وكفر به آخرون، كما هو حال الإنس.

- أنه ورد في الحديث بيان سبب استماع الجن للقرآن، وهو أنهم لما حيل بينهم وبين خبر السماء انطلقوا في الأرض يبحثون عن سبب ذلك، وأن النفر الذين تَوَجَّهوا نحو تهامة سمعوا رسول الله - ﷺ - وهو يصلي بأصحابه صلاة الصبح، فاستمعوا لتلاوته، فأمنوا، ورجعوا إلى قومهم يخبرونهم، ويدعونهم إلى الإيمان، وتدلُّ رواياتٌ على حصول لقاء أو لقاءات بعد ذلك، استمعوا فيها إلى

النبي - ﷺ -، وتحدثوا معه^(١).

- أن الجدَّ في اللغة: العظمة والجلال، وورد هذا المعنى في الأثر عن أنس - رضي الله عنه -، قال: «كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جدَّ في عيوننا»، أي: عَظُمَ، ومنه ما ورد في الحديث: «ولا ينفع ذا الجدَّ منك الجدُّ»^(٢).

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِلْءَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝
وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ
شُهَابًا رَّصَدًا ۝^(١) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ
بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝^(٢)﴾ .

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ أي قالت الجن: لقد حاولنا الاقتراب من السماء؛ للحصول على خبرها، كما كنا نفعل من قبل ﴿فَوَجَدْنَهَا مِلْءَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ أي: قد ملئت بالملائكة يحرسونها، وملئت كذلك بالشهب التي تنقض علينا؛ لتحرقنا.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمِ ۖ﴾ أي: كنا فيما مضى نقعد

(١) ينظر الرواية في: صحيح البخاري، (رقم ٧٧٣)، وصحيح مسلم، (رقم ١٤٩).

(٢) الحديث رواه البخاري، (رقم ٨٤٤)، ومسلم، (رقم ٢٠٦)، ويُنظر: فتح الباري لابن حجر، (١/٩٧).

من السماء مقاعد؛ لكي نسمع الأخبار من الملائكة؛ لكي نلقيها بعد ذلك إلى الكهان ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا﴾ أي: من يحاول الآن يواجه بشهاب يرصده؛ لكي يحرقه، وأخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما الكلمة فتكون حقا، وأما ما زادوه فيكون باطلا، فلما بعث رسول الله -ﷺ- منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: «ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله -ﷺ- قائما يصلي بين جبلين-أراه قال: بمكة-، فلقوه، فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض»^(١).

وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في هذه الآية قال: «كانت الجن تسمع سمع السماء، فلما بعث الله نبيه حرس السماء، ومنعوا ذلك، فتفقدت الجن ذلك من أنفسها».

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أأريد بهذا الحرس الذي أصبح يحرس السماء شر لأهل الأرض ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ

(١) السنن، (٥/٤٢٧-٤٢٨)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الجن، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١﴾ أم أراد الله بهذا الحرس خيرًا لأهل الأرض؟.

أحكام وفوائد الآيات:

- واقعة استماع الجن لأخبار السماء حين تنزل بها الملائكة، وذلك قبل مبعث رسول الله - ﷺ -، فلم تكن السماء تحرس قبل مبعثه - عليه الصلاة والسلام -، إلا أن يكون أمر عظيم كوجود نبي، أو دين لله، فلما بعث الله محمدًا رجموا بالشهب، فلم يكن لهم بعد ذلك مجال للاستماع، وهذا من رحمة الله بعباده، ومن بركة رسوله محمد - ﷺ - على الخلق أجمعين.
- دلالة مَنع الجن مِن استراق السمع أَنَّهُم كانوا قبل بعثة النبي - ﷺ - يسمعون بعض ما يُقضى في السماء من أمور الأرض، وكانوا يزدون عليه أكاذيبَ وأقاويلَ، ويُخبرون بها أولياءهم من الإنس ^(١)، فيظن هؤلاء أَنَّ الجنَّ يعلمون الغيب، فيَرْهَبُونَهُمْ، وَيُعْظَمُونَهُمْ.
- تَأَدَّب الجن في حديثهم عن الله، فقد نسبوا إرادة الخير والرشد إليه، ولم ينسبوا إليه إرادة الشر؛ إذ قالوا: ﴿أَشْرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ طُغْيَانٌ قِدَادًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا

(١) يُنظر الحديث في صحيح البخاري، (رقم ٤٧٠١)، و(٤٨٠٠)، وفي سنن الترمذي، (رقم ٣٣٢٣).

ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا
 سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْصًا وَلَا
 رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ
 تَحَرُّوا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ .

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: منا من هو مؤمن

مستقيم متبع للحق والهدى، ومنا من هو دون ذلك في إيمانه.

﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أي: كنا فرقًا مختلفة ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ

نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ أي: علمنا وأيقنا أننا لن

نعجز الله، ولن نفوت منه بهرب أو غيره، فهو قادر علينا، ونحن في

قبضته وتدبيره وتصرفه، والظن الذي أشاروا إليه يراد به العلم

والجزم.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ﴾ أي: لما سمعنا القرآن آمنا

به، وصدقنا محمدًا الذي أنزل عليه ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ

بَحْصًا وَلَا رَهَقًا﴾ أي: من وقر الإيمان في قلبه فلا يخشى أن ينقص

من ثوابه، ولا يخشى من هوان أو ذل يرهقه، كما أخرج الطبري

بسند حسن عن ابن عباس في هذه الآية قال: «لا يخاف نقصاً من حسناته، ولا زيادة في سيئاته».

﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: لما سمعنا القرآن

أصبح منا مسلم، ومنا قاسط أي: مائل عن الحق، وهذا خلاف المقسط الذي يميل عن الباطل إلى الحق.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: من أسلم منا فقد

اهتدوا إلى الخير والفلاح ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي: الذين مالوا عن الحق، واتبعوا الباطل ﴿فَكَانُوا لِحُجَّتِهِمْ حَطَبًا﴾ أي: وقوداً.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن من الجن من هو مؤمن، ومنهم من هو غير مؤمن، وأنهم أصحاب طرق مختلفة، وأن منهم أصحاب عدل بسبب إيمانهم، ومنهم أصحاب جور وظلم بسبب كفرهم.

- أن القسط هو النصيب بالعدل، كما في قوله-تعالى-: ﴿وَأَقِيمُوا

الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]، وإن أخذ

قِسْطَ غيره كان بمعنى الجور، كما في قوله-تعالى-: ﴿وَأَمَّا

الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِحُجَّتِهِمْ حَطَبًا﴾، والإقساط: أن يعطي قِسْطَ

غيره، وذلك إنصاف، كما في قوله-تعالى-: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات: ٩] ^(١).

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال الله لنبيه ورسوله محمد- ﷺ: إنهم لو استقاموا على توحيد الله وطاعته، وتركوا الشرك ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ أي: أنزلنا عليهم المطر الكثير، وأوسعنا عليهم الرزق ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنختبرهم في ذلك، أيشكرون بهذه النعمة أم يكفرون بها؟، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله- تعالى:- ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال: «لو أمنوا كلهم لأوسعنا عليهم الدنيا؛ لنبتليهم بها».

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ أي: من يتولَّى عن القرآن أو يكفر بنعم الله ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: يدخله عذابًا شديدًا.

أحكام وفوائد الآيتين:

- أن القوة في الدنيا بمضامينها الاقتصادية والسياسية وسائر

(١) المفردات في غريب القرآن، مادة: قسط، (٤٠٣).

وجوهها لا تتحقق لأمة أو قوم إلا إذا استقاموا على المنهج الذي وضعه الله لعباده، ورسمه لهم في كتابه، وفي سنة رسوله محمد - ﷺ -.

- أن الماء مصدر القوة في الحياة الدنيا، فمن يملك الماء يملك المال، ومن يملك المال يملك القوة، ومن يملك القوة يبسط نفوذه في الأرض، فيكون ذلك اختباراً لأصحابها، فإن شكروا دامت قوتهم ونفوذهم، وإن طغوا بالقوة سلط الله عليهم أنفسهم، فأفسدوا قوتهم، وأفسدوا أنفسهم، ثم حق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة.

- أن في قوله - تعالى -: ﴿وَالْوِاسْطِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ إفادة أن من ثمرات الاستقامة: الرخاء، وأن من أسباب الرخاء: توافر الماء وكثرته، وأن من الرخاء ما يكون ابتلاء واختباراً.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾

قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾
 إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ
 جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
 مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: قل يا نبينا ورسولنا محمداً: إن
 المساجد لله؛ لأنها بيوت لعبادته ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي: لا
 تدعو معه غيره فيها ولا في غيرها، كما كان المشركون يفعلون وهم في
 المسجد الحرام، وكما كانت اليهود والنصارى يشركون بالله إذا دخلوا
 كنائسهم وبيعهم.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ المراد: رسول الله -ﷺ- حين
 كان يصلي في وادي نخلة، ويدعو الله ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾
 أي: كاد الجن يتراكمون عليه من ازدحامهم حباً في سماعهم القرآن،
 وأخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس في بيان هذه الآية قال:
 «ما قرأ رسول الله -ﷺ- على الجن ولا رآهم، انطلق رسول الله -ﷺ- في
 طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين

وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟، قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حال بيننا وبين خبر السماء إلا أمر حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟، قال: فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله -ﷺ- وهو بنخلة عامدا إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا-والله-الذي حال بينكم وبين خبر السماء، قال: فهناك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، فأنزل الله-تبارك وتعالى-على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ۖ وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ.

قال: وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال: «قول الجن لقومهم:

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾

قال: لما رآوه يصلي، وأصحابه يصلون بصلاته، ويسجدون

بسجوده، قال: تعجبوا من طوعية أصحابه له، قالوا لقومهم:

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(١).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ لما قالت قريش: إنك

يا محمد قد أتيت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس، فارجع عما أنت فيه،

أمر الله نبيه ورسوله محمداً - ﷺ - أن يقول لهم: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾

أي: أوحده ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ أي: لا أدعو معه غيره.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: قل لقومك: إني

لا أملك دفع الضر عنكم، ولا أهديكم إلى سبيل الرشd، إنما أنا مبلغ لكم

رسالة الله، وهو الذي يتصرف فيكم.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: لا أحد يقدر على أن

يدفع عذاب الله عني، وهذا رد عليهم حين قالوا: سوف نجيرك إذا

تخليت عما تدعو إليه ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي: لن أجد

من دون الله ملتحداً أي: ملجأً ألبأ إليه، كما أخرج الطبري بسند

حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾

قال: «ملجأً ونصيراً».

(١) السنن، كتاب التفسير، (٥/٤٢٦ - ٤٢٧)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً﴾ أي: لن يجيرني وينجينني من الله إلا أن أبلغ رسالته التي أمرني بإبلاغها إلى خلقه التي تأمركم بعبادته وحده، وتحرم عليكم الشرك .

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: ومن يعصه فإن له نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها.

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أي: إذا رأى المشركون ما يوعدون من العذاب يوم القيامة فسيعلمون حينئذٍ من الأضعف ناصرًا والأقل عددًا؟، أهم الذين آمنوا بالله، ووحده، وأطاعوا وأوامره، واجتنبوا نواهيه أم المشركون الذين سيرون في ذلك اليوم أنهم هم المخذولون، وأنه لا ناصر لهم ينصرهم من دون الله؟.

أحكام وفوائد الآيات:

- الحكم بأن المساجد وأماكن العبادة مخصوصة لعبادة الله، وهذا يقتضي تحريم كل قول أو فعل لغير الله فيها أو في غيرها، ولكنه فيها أشد تحريمًا.
- دعاء غير الله أو التوسل أو الاستعانة أو الاستعاذة به.

- تحريم الشرك في جميع صورته، وأنه لا يملك الضر والهداية إلا الله، وأنه لا ملجأ منه إلا إليه، فمن ابتغى غير ذلك فقد عصاه، ومن عصاه فقد استحق عقابه.

- أنه جاء وَصَفُ النبي - ﷺ - بالعبودية في قوله - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ رَفْعاً لمقامه، وتشريفاً له، فَإِنَّ مقام العبودية مقام شريف عظيم الشأن.

- أنه يُسْتَحَبُّ في مجالس الخير التقارب، والدنوُّ من المتحدث؛ ليحصل الاستماع إلى كلامه على نحو أفضل، وللحصول على الرحمة التي تنزل في هذه المجالس، وفي الحديث عن أبي واقد الليثي: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله - ﷺ -، وذهب واحد، فوقفوا على رسول الله - ﷺ -، فأَمَّا أَحَدُهُمَا فرأى فرجة في الحَلَقَةِ فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله - ﷺ - قال: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ عن النفر الثلاثة، أَمَّا أَحَدُهُم فأوى إلى الله، فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»^(١).

(١) رواه البخاري، (رقم ٦٦)، ومسلم، (رقم ٥٨١٠).

- أنه يُلَحَظُ ورود الجمع بعد الإفراد في قوله: ﴿وَمَنْ يَعِصُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ فالإفراد في ﴿يَعِصُ﴾ و﴿لَهُ﴾ مراعاة للفظ ﴿وَمَنْ﴾ وهو مفرد، والجمع في ﴿خَالِدِينَ﴾ مراعاة لمعنى ﴿وَمَنْ﴾ وهو جمع.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يقول للمشركين: لا أدري متى قيام الساعة، وما توعدون به من العذاب؟، أقرب هو أم بعيد، أم يجعل له ربي مدة طويلة لا يعلمها إلا هو؟؛ لأنه هو الذي يعلم الغيب، ولا يُطْلَعُ على غيبه أحدًا من خلقه، إلا من ارتضى من رسول، فإنه يظهره على ما يشاء

منه؛ لأن الرسل يخبرون بإذن ربهم عن بعض المغيبات، وعندئذ تحفظهم الملائكة من بين أيديهم ومن خلفهم، فلا تقربهم الشياطين، كما قال-تعالى- في ذلك: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في بيان في قوله-تعالى-: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ قال: «فإنه يصطفيهم، ويطلعهم على ما يشاء من الغيب»، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في بيان في قوله-تعالى-: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: «الملائكة».

﴿لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ليعلم نبينا ورسولنا محمد أن الرسل الذين أرسلوا قبله قد بلغوا رسالات ربهم، وأن الوحي الذي ينزل عليهم قد حفظته الملائكة، فلم تقربه الشياطين.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط الله بما لدى الملائكة والرسل.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: أحصى عدد كل ما في الأرض وما

في السماء وما بينهما، فلا تخفى عليه خافية.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن من في الوجود لا يعلم قيام الساعة؛ لأنها من غيب الله، ولا يعلم الغيب أحد غيره.
- أن الله قد يطلع رسله على غيب معين لحكمة يراها، ويكون ذلك بعد حمايته من الشياطين.
- أن الله قد أحاط بعلمه كل شيء في الوجود ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].
- أن الله-تعالى-يُطْلَعُ مَنْ ارتضى أن يُطْلِعَهُ من الرسل على غيب خاص، ويتمُّ ذلك بعد حماية كاملة من الشياطين؛ كي لا ينقلوه إلى أوليائهم، فَيُفْتِنُوا به الناس^(١).
- أن المقصود بالعلم في قوله-تعالى-: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ العلم الذي يترتب عليه الجزاء، أو ظهور العلم للمخلوقين، فإنَّ الله يعلم الأشياء كلها قبل حصولها^(٢).

(١) أيسر التفاسير، (٤/ ٥٦٩).

(٢) تفسير ابن كثير، (٨/ ٢٤٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المزمل

مكية، وآياتها عشرون آية

﴿يَأْتِيهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝﴾

بيان الآيات:

﴿يَأْتِيهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أي: يا أيها المتلفف بثيابه، وكان هذا النداء في ابتداء الوحي إلى رسول الله - ﷺ -، فإنه لما سمع قول الملك أخذته الرعدة، فأتى خديجة، وقال: «زملوني، دثروني»، وأخرج الإمام مسلم بسنده عن زرارة أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله، فقدم المدينة، فأراد أن يبيع عقارا له بها، فيجعله في السلاح والكراع، ويجاهد الروم حتى يموت، فلما قدم المدينة لقي أناسا من

أهل المدينة، فنهوه عن ذلك، وأخبروه أن رهطاً ستة أرادوا ذلك في حياة نبي الله -ﷺ-، فنهاهم نبي الله -ﷺ-، وقال: «أليس لكم في أسوة؟»، فلما حدثوه بذلك راجع امرأته، وقد كان طلقها، وأشهد على رجعتها، فأتى ابن عباس، فسأله عن وتر رسول الله -ﷺ-، فقال ابن عباس: «ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله -ﷺ-؟»، قال: من؟ قال: عائشة، فأتها فاسألها، ثم ائتني، فأخبرني بردها عليك، فانطلقت إليها، فأتيت على حكيم بن أفلح، فاستلحقته إليها، فقال: ما أنا بقاربها؛ لأنني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً، فأبت فيهما إلا مضياً، قال: فأقسمت عليه، فجاء، فانطلقنا إلى عائشة، فاستأذنا عليها، فأذنت لنا، فدخلنا عليها، فقالت: أحكيم؟ (فعرفته)، فقال: نعم!، فقالت: من معك؟، قال: سعد بن هشام، قالت: من هشام؟، قال: ابن عامر، فترحمت عليه، وقالت خيراً. (قال قتادة: وكان أصيب يوم أحد)، فقلت: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن خلق رسول الله -ﷺ-، قالت: أأستقرأ القرآن؟، قلت: بلى! قالت: فإن خلق نبي الله -ﷺ- كان القرآن، قال: فهمت أن أقوم، ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت، ثم بدا لي، فقلت: أنبئيني عن قيام رسول الله -ﷺ-، فقالت: أأستقرأ؟، قلت: بلى! قالت: فإن الله -ﷻ- افترض قيام

الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله -ﷺ- وأصحابه حولا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة. قال: قلت: يا أم المؤمنين! أنبئيني عن وتر رسول الله -ﷺ-، فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك، ويتوضأ، ويصلي تسع ركعات، لا يجلس فيها إلا في الثامنة» (١).

وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا الْمُزْمَلُ﴾ قال: «أي: المتزمل بثيابه».

﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهذا أمر بالقيام للصلاة في أكثر الليل، واستثنى منه القليل ﴿نِصْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ أي: صل نصف الليل، أو أنقص منه قليلا إلى الثلث .

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أي: إلى الثلثين، وقد امتثل رسول الله -ﷺ- لما أمره ربه، فصلى هو وأصحابه حتى تورمت أقدامهم، حتى أنزل الله -ﷻ- التخفيف في آخر السورة.

﴿وَرَتَّلْ أَلْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي: اقرأه وأنت تتمهل في قراءته؛

(١) الصحيح، (١/٥١٢-٥١٣)، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، (حديث ٧٤٦) .

ليكون أدعى لتدبره وفهم معانيه.

وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۚ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ قال: «فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلا، فشق ذلك على المؤمنين، ثم خفف عنهم، فرحمهم، وأنزل الله بعد هذا: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَعَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَاخِرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾، فوسع الله، وله الحمد، ولم يضيق».

وأخرج البخاري بسنده عن قتادة قال: «سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي -ﷺ-؟، فقال: كانت مدا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد بـ(بسم الله)، ويمد بـ(الرحمن)، ويمد بـ(الرحيم)»^(١).

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتنق، ورتل كما كنت

(١) الصحيح، (٨/ ٧١٠)، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، (حديث ٥٠٤٦).

ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»^(١).

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المراد به القرآن؛ لما فيه من الأحكام والأوامر والنواهي، فهي ثقيلة في حملها، فأمره الله - وأمره أمر لأمرته - أن يتهياً لها؛ لأنها أمانة، وحمل الأمانة عظيم، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ قال: «ثقيل - والله - فرائضه وحدوده».

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ ناشئة الليل: أوقاته، والمراد: أن أوقات الليل أصعب في العبادة من النهار؛ لأن الليل يكون وقت راحة ونوم بعد تعب النهار الذي ينتج من العمل لكسب العيش، وقد يكون المراد: أن العبادة في الليل أتقى، وذلك للبعد عما يشغل القلب في النهار، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: «ناشئة الليل: ما كان بعد العشاء

(١) السنن، (٣٧/٤)، (حديث ٤٠٠١)، كتاب الحروف والقراءات، وقال الألباني: «حسن صحيح»، كما في صحيح سنن أبي داود.

فهو ناشئة، وقوله: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا﴾ قال: أي أثبت في الخير، وأحفظ في الحفظ..

﴿وَأَقْوَمُ قِيْلًا﴾ أي: إن القراءة بالليل أقوم وأبين منها في النهار، نظرًا للهدوء في الليل.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ أي: إن لك في النهار وقتًا لقضاء حوائجك، أما الليل فاجعله لعبادتك .

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: اذكر اسم ربك في كل أوقاتك .

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطع لعبادتك لله، وأخلص له هذه العبادة، فهو رازقك وحاميك من أعدائك، فقد أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ قال: «أخلص إليه المسألة والدعاء».

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي: رب المشرق والمغرب ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا رب غيره، ولا إله سواه .

﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: توكل عليه في كل ما يهملك، فإنه كافيك وحاميك وناصرك على أعدائك.

أحكام وفوائد الآيات:

- فضل قيام الليل، كما قال-ﷺ- في صفة المؤمنين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

- الأمر بترتيل القرآن؛ ليكون ذلك أدعى لفهم معانيه وتدبره، وكان رسول الله-ﷺ- يرتل القرآن، قالت حفصة-رضي الله عنها-: «إنه كان يقرأ بالسورة، فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»^(١).

- فضل صلاة الليل، كما قال-تعالى-: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

- أن الأكمل في قراءة القرآن أن تكون مرتلة مجودة متقنة، بتأنٍ وتَمَهُّلٍ، وحضور قلب، وتفكر في المعاني، واستشعار عظمة قائل هذا الكلام؛ ليحصل الانتفاع منها، ويعظم الأجر بها.

- أنه وُصِفَ القرآن الكريم بأنه قول ثَقِيل؛ لأنه كلام الله الخالق العظيم، ولما حواه من المعاني الغزيرة، والتشريعات السليمة، ومحاسن الأخلاق، وقصص السابقين، وكل ذلك بنَظْمٍ مُعْجِزٍ.

- فضيلة المحافظة على ذِكْرِ الله في أوقات المؤمن كلها، فلا ينشغلُ

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: جواز النافلة قائماً وقاعداً، (رقم ٧٣٣).

عنه في أثناء القيام بأعمال الدنيا ومعاشها؛ ليبقى القلب موصولاً بالله في جميع الأحوال والأوقات.

أنه الأمور العظيمة بحاجة إلى تهيئة وإعداد، ومن أعظم الأمور: حَمْلُ الرسالة، ونَشْرُ الدعوة إلى الحق والخير، وقد استجاب الرسول -ﷺ- والسابقون من أصحابه لأمر الله بالتهيئة لما هو قادم بقيام الليل، وترتيل الآيات، وإدامة الذِّكْرِ، قالت عائشة - رضي الله عنها -: «إن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله -ﷺ- وأصحابه حَوْلًا حتى انتَفَخَتْ أقدامهم...»^(١) ، فصبروا بعد ذلك، وَتَحَمَّلُوا أعظمَ المشاقِّ، وَرَكِبُوا الأهوالَ، واستَحَقُّوا لذلك نَصَرَ الله.

- أن هذه الآياتِ تَضَمَّنَتْ ذِكْرَ ثلاثة تعليقات للأمر بقيام الليل، أولها: أَنَّ القيام في الليل أجمع للخاطر، وأكثر مواطأة بين القلب واللسان، وثانيها: أَنَّهُ أثقل على النفس من الطاعة في النهار، وبالتالي فهو أكثر تقويماً للنفس، وتهذيباً لها، وثالثها: أَنَّ في النهار فسحةً من الوقت كافية للنوم، وقضاء المصالح، فليكن تفريغ الليل للقيام.

(١) رواه أحمد في المسند، (رقم ٢٤٢٦٩)، وابن حبان، (رقم ٢٥٥١)، وقال محققاهما: «إسناده صحيح».

- وجوب ذكر اسم الله، والتبتل إليه، والتوكل عليه.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ ١٠ ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا﴾ ١١ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ ١٢ ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ ١٣ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ ١٤ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ١٥ ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ١٦ ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ١٧ ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ ١٨ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ١٩ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اصبر يا نبينا محمداً على ما يقول قومك من السب والاستهزاء بك، ولا تتوقف عن دعائهم ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ أي: لا تعاتبهم.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: دعني والمكذبين بك من قريش ﴿أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾ أي: أصحاب الغنى والترف، فسأكفيهم ﴿وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: أمهلهم إلى أن تنتهي مدة آجالهم ﴿إِنَّ

لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١﴾ أي: إن عندنا لمن كذب برسالتك أنكالا
 أي: قيودًا، وجحيمًا أي: نارًا ﴿٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴿٣﴾ أي: يغص به
 من يأكله لسوءه ﴿٤﴾ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿٥﴾ أي: شديدًا، وهذا يكون ﴿٦﴾ يَوْمَ
 تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴿٧﴾ أي: تزلزل ﴿٨﴾ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا
 مَّهِيلًا ﴿٩﴾ أي: تتحول الجبال إلى ذرات من الرمل بعدما كانت
 حجارة صلبة، فقد أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في
 بيان الآية قال: ﴿١٠﴾ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١١﴾ «الرمل السائل».

﴿١٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ ﴿١٣﴾ المخاطب هنا
 كفار قريش وعامة الناس، أي: يشهد عليكم بما بلغكم به من
 أحكام الله وشرعه ﴿١٤﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ أي: كما
 أرسلنا موسى بن عمران إلى فرعون وقومه ﴿١٦﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ
 الرَّسُولَ ﴿١٧﴾ أي: كذبه، واستهزأ به، وآذاه ﴿١٨﴾ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٩﴾
 أي: أخذناه بالعذاب أخذًا شديدًا.

﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿٢١﴾ أي:
 كيف تتقون أيها الناس ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيبًا، وقد
 كفرتم بالله؟.

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أي: متشقة من شدة هوله، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قال: «مثقلة به» ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ أي: كان وعد هذا اليوم مفعولاً أي: كائنًا لا ريب فيه.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: إن هذه السورة بما فيها من المواعظ تذكرة للعباد ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: طريقًا إلى مغفرته قبل أن يعاجله الأجل، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ قال: «يعني القرآن ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ قال: بطاعة الله».

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب الصبر، ومنه الصبر على الدعوة في سبيل الله، وما قد ينال الداعي من الأذى، والصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصيه، والصبر على مصائب الدنيا وبلائها وأكدارها، والصبر عند كل أمر يقتضي توطين النفس وثنيها عن الجزع.

- أن الله أرسل رسوله محمدًا ﷺ - يشهد على الناس بما يبلغهم به من أحكام الله وشرعه، وأن من عصاه، وابتغى غير سبيله فإن له عذابًا أليمًا عند الله، وأن من يكفر به لا يمكن أن يتقي هول يوم القيامة،

وهو اليوم الذي سوف يقع لا محالة.

قال ابن عاشور: «لم تَرِدْ النِّعْمَةُ بفتح النون في القرآن الكريم إلا هنا، وفي سورة الدخان (٢٧)، وهي في الموضعين في سياق الذمِّ لِمَنِ اتَّصَفَ بها، حيث لم ينتفعوا ممَّا أنعم الله عليهم، وأقبلوا على الملذَّات، وأعرضوا عن الهدى»^(١).

- أن في ذِكْرِ إهلاك فرعون بعذابٍ وبيل-مع ما كان عليه من جبروت واستعلاء وظلم، لم يصل طغاة مكة إلى بعضه-تخويفاً لهم، وإعلاماً بأنهم-إن بقُوا على حالهم-سَيَلْقَوْنَ مصيراً كمصيره أو أشدَّ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا لِنَفْسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(١) التحرير والتنوير، (٢٩/٢٧٠).

بيان الآية:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: يعلم ربك يا نبينا ورسولنا محمداً أنك وطائفة من أصحابك تقومون من الليل مرة أدنى من ثلثيه، ومرة نصفه، ومرة ثلثه، وذلك لعدم قدرتك على ما أمركم الله به، بسبب أنه يشق عليكم، وليس بسبب قصد منكم.

﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يعلم مقاديرهما، فتارة يعتدلان، وتارة يتفاوتان ﴿عَلِمَ أَنْ لَّنْ نَّحُصُّهُ﴾ أي: لن نستطيعوا القيام بالفرض الذي وجب عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: رحمكم، فنسخ عنكم وجوب قيام الليل، وجعله تطوعاً ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: دون تحديد بوقت، ولكن قوموا من الليل ما تستطيعون، وما تيسر.

﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ﴾ لا يقدر على ذلك لمرضهم ﴿وَعَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: يسافرون يبتغون التجارة وكسب معاشهم ﴿وَعَاخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المنشغلون بالجهاد لإعلاء كلمة الله ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي: قوموا من الليل ما تيسر لكم منه

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أقيموا الصلاة المفروضة

عليكم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم.

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وهو ما قصد به وجه الله من

النفقة في البر ووجوه الخير ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ

تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ما تقدموه في الدنيا من أعمال الخير سوف

يعود عليكم نفعه في الآخرة ﴿هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ أي: هو

خير من الذي أبقيتموه لكم في الدنيا ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أي:

اسألوه العفو والمغفرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: غفور رحيم لمن استغفره، وتاب

إليه، وأخرج ابن الجوزي بسند حسن عن ابن عباس في هذه الآية

قال: «إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين

أولا من قيام الليل»^(١).

أحكام وفوائد الآية:

- أن وجوب قيام الليل قد نسخ، وأن قيامه أصبح مندوباً، وفيه

حديث هشام بن عامر عن عائشة-رضي الله عنها-قال: «قلت يا

أم المؤمنين! أنبئيني عن خلق رسول الله، قالت: ألسنت تقرأ

(١) نواسخ القرآن، (ص ٤٩٦-٤٩٨).

القرآن؟، قلت: بلى! قالت: فإن خلق رسول الله -ﷺ- كان القرآن، قال: فهممت أن أقوم، ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت، ثم بدا لي، فقلت: أنبئني عن قيام رسول الله -ﷺ-، فقالت: ألسنت اقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ﴾؟ قلت: بلى! قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله -ﷺ- وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة، قال: قلت يا أم المؤمنين! أنبئني عن وتر رسول الله -ﷺ-، فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك، ويتوضأ، ويصلي تسع ركعات، لا يجلس فيها إلا في الثامنة، فيذكر الله -تعالى-، ويحمده، ويدعوه، ثم ينهض، ولا يسلم، ثم يقوم، فيصلي التاسعة، ثم يقعد، فيذكر الله، ويحمده، ويدعوه، ثم يسلم تسليماً يسمعنا، ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد، فتلك إحدى عشر ركعة يا بني!، فلما أسن رسول الله -ﷺ-، وأخذ اللحم أوتر بسبع، ثم صلى ركعتين، وصنع في الركعتين مثل صنيعة الأول، فتلك تسع يا بني!، وكان رسول الله -ﷺ- إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من

النهار اثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله - ﷺ - قرأ القرآن كله في ليلة إلى الصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان. قال: فانطلقت إلى ابن عباس، فحدثته بحديثها، فقال: صدقت، أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني به»^(١).

- تأخر نزول هذه الآية عن أول السورة سنة كاملة، كما في الرواية عن عائشة- رضي الله عنها-: «إنَّ الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله - ﷺ - وأصحابه حَوْلًا حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء، ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة»^(٢).

- أن من رحمة الله بعباده التخفيف عنهم في العبادات، ومن ذلك: تخفيف وجوب قيام الليل إلى الندب؛ إذ يشقُّ على الناس القيام كلَّ ليلة؛ لما يعرض لهم من مرض وسفر وقتال، ولحاجة أجسامهم إلى الراحة والنوم بعد عناء النهار في طلب الرزق والمعاش^(٣).

- أنه عُلِمَ التخفيفُ في حُكْمِ قيام الليل من قوله- تعالى-: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: إنه لم يعدَّ محدداً

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، (رقم ٧٤٦).

(٢) رواه أحمد في المسند، (رقم ٢٤٢٦٩)، وابن حبان، (رقم ٢٥٥١)، وقال محققهما: «إسناده صحيح».

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٩/٥٣)، والتحرير والتنوير، (٢٩/٢٨٥).

بنصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه، فيحصل القيام بأيِّ قَدَرٍ مهما قلَّ، ولم يَعُدْ واجباً، بل هو مندوب، والمراد بالقراءة في الآية الصلاة، وهو من إطلاق البعض على الكل، وفيه إشارة إلى جواز القيام بتلاوة القرآن، والذِّكْر، والتسبيح، والاستغفار.

- أنه يلحظ في هذه الآية الاعتناء بدقائق الوقت وتفصيله، فقد ذُكِرَ فيها ثُلُثُ الليل ونصفه وثُلُثُاه، وما هو أدنى منها، وفي هذا دعوة للاعتناء بالوقت، والاهتمام به وبأجزائه الدقيقة.
- أن سورة المزمل احتوت على تقسيم بديع للمهمات في اليوم على النحو التالي:

أ- بدءُ اليوم بقيام الليل، وترتيل القرآن.

ب- العمل الجادُّ في النهار.

ت- الإكثار من ذكر الله، والتخلُّق بالصبر.

ث- استحضار الاعتبار.

- وجوب إقامة الصلاة بأركانها وشروطها، وأداء الزكاة كما فرضها الله، وإيتائها لمستحقيها.

- فضل الصدقة، وبذل المال في وجوه البر والخير.

- وجوب استغفار العبد من ذنوبه رجاء مغفرة الله له، كما قال-

تعالى:- ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المدثر

مكية، وآياتها ست وخمسون آية

﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾.

بيان الآيات:

﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أي: أيها الذي تلفف بثيابه.

أخرج البخاري بسنده عن يحيى بن أبي كثير: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن، عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، قلت: يقولون: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله-ﷺ-، قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني، فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي، فلم أر شيئا، ونظرت

أمامي، فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي، فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي، فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء بارداً، قال: فدثروني، وصبوا علي ماء بارداً»، قال: فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾ (١).

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ مناداة لطف وموانسة من الله لرسوله محمد - ﷺ - ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ أي: أُنذر أهل مكة، وحذرهم مما سَيُصيبهم من العذاب إن لم يسلموا، ويتركوا عبادة الأصنام ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عظم وقدس ربك الذي خلقك، وأنعم عليك بالنبوة.

﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر جسمك، وطهر ثيابك من النجاسة؛ لأن المشركين لا يتطهرون، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: «طهرها من المعاصي، فكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث، ولم يف بعهد أنه دنس الثياب، وإذا وفي وأصلح قالوا: مطهر الثياب».

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ أي: اهجر الأوثان والأصنام ﴿وَلَا تَمْنُنْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله-تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، (رقم ٤٩٢٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، (رقم ١٦١).

تَسْتَكْثِرُ ﴿١﴾ أي: لا تعط لكي تأخذ أكثر مما أعطيت من المال؛ لأن

عطايك يجب أن تكون لله، دون منة على أحد؛ استكثراراً لما تنفق.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي: لربك وحده فاصبر على عبادته، وما

سوف تلقاه من أذى في سبيل دعوتك إليه ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾

أي: إذا نفخ إسرافيل في الصور ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي:

ذلك يوم شديد ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ أي: غير سهل عليهم؛

لأن معاناتهم شديدة.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب تكبير الله في الصلاة؛ لأنه ركن من أركانها، وفي تكبير الله في

الأعياد والمواسم وفي كل الأوقات فضل عظيم، «فكل تكبيرة صدقة»،

كما قال رسول الله - ﷺ - (١).

- وجوب الطهارة من النجاسات، سواء ما كان منها في الجسم أو

الثياب أو في أماكن العبادة، فمن صفات المسلم، بل من واجباته:

الطهارة في كل شأن من شؤونه.

- أن تقديم المفعول على الفعل في عدد من هذه الآيات نحو ﴿وَرَبِّكَ

فَكَبِّرْ﴾ للاختصاص، فلا يكون التكبير لغير الله.

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة الضحى، (رقم ٧٢٠).

- أن الآية الكريمة عَبَّرَتْ عن النفخ في الصور بالنقر في الناقور، والنَّقْرُ في اللغة هو: الْقَرْعُ الْمُفْضِي إلى النقب، والناقور: الصُّور^(١)، وفي هذا التعبير إشارة إلى شدة هذا الصوت وَعِظَمِهِ.
- تحريم المَنِّ بالعطايا أو الصدقات أو البر، كما قال -ﷺ-: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

- وجوب هجر المآثم والخبائث، وكل ما يشين المرء في دينه أو عرضه.
- وجوب الصبر على الدعوة في سبيل الله، والصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على النوائب، والصبر على ما ينال المرء من الأذى، ودفعه بالحسنة، كما قال -ﷺ-: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٤] وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ﴾ [١٢]
 وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ﴾ [١٥] كَلَّا ۖ
 إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۖ﴾ [١٦] سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۖ﴾ [١٧] إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ﴾ [١٨]

(١) المفردات للراغب، مادة نقر، (٥٠٣).

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾
إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ
﴿٢٧﴾ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ .

بيان الآيات:

نزلت هذه الآيات في الوليد بن المغيرة، كما ذكر كثير من المفسرين،
وكان من أشد أعداء هذا الدين، وله موقف عجيب ذكرته هذه الآيات.

﴿ذَرْنِي﴾ أي: دعني، وهذا أمر تهديد ووعيد ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ
وَحِيدًا﴾ أي: من خلقته وحيدًا من رحم أمه، لا مال له، ولا ولد، ثم
أنعمت عليه بهما، والمراد به هنا: الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان هذا
زعيمًا في قريش، وكان من رؤوس المشركين والطغاة.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ أي: مالا كثيرا موزعا بين مكة
والطائف ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: ماكتين عنده، لا يغيبون عنه في
تجارة ولا غيرها ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ أي: بسطت له في العيش،
ومكنته من الحصول على صنوف المال ﴿ثُمَّ يَظْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي:

يطمع أن يزيد ماله وولده ﴿كَلَّا﴾ أي: لن أزيده أبداً، بل سوف أنقصه وأعذبه؛ لأنه ﴿كَانَ لِأَيَّتِنَا عَنِيْدًا﴾ أي: معانداً لرسولنا، ومكابراً عن الحق الذي جاء به، وقد صدق الله ما وعده، فقد تناقص ماله حتى هلك.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ أي: سأكلفه عذاباً لا يطيقه، وهو الصعود إلى جبل من نار، يصعد فيه، ثم يهوي أبداً في نار جهنم، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ قال: «مشقة من العذاب».

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي: إنه فكّر في أمر رسول الله - ﷺ -، وما جاء به، وتهيأ للقول في القرآن، فلما سمع قول الله - ﷻ : ﴿حَمَّ ١﴾ تنزيراً ﴿الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ٣ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٤﴾ [غافر: ١-٣] قال الوليد بن المغيرة: لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس أو الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو، ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر، فلما سمعت قريش كلامه هذا خشيت من تصديقه لرسول الله - ﷺ -، فقالت: صَبَأْ

الوليد، ولتصبونَّ قريش بعده، فقال أبو جهل: أنا كافيكموه، فمضى إليه والحزن يظهر عليه، فقال له الوليد: ما لي أراك حزينًا؟، فقال: وما لي لا أحزن، وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك، ويزعمون أنك زينت كلام محمد، وحسنته، وتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة؛ لتنال من فضل طعامهما؟.

فغضب الوليد مما سمع، وأخذته العزة بالإثم، وقال: أنا أحتاج إلى كسر محمد وصاحبه، فأنتم تعرفون قدر مالي، واللات والعزى ما بي حاجة إلى ذلك، وإنما أنتم تزعمون أن محمدًا مجنون، فهل رأيتموه يفعل ما يفعل المجانين؟، قالوا: لا والله، قال: وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه نطق بشعر قط؟، قالوا: لا والله، قال: وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه كذبًا قط؟، قالوا: لا والله، قال: وتزعمون أنه كاهن، فهل رأيتموه تكهَّن قط؟، ولقد رأينا للكهان أسجاعًا، فهل رأيتموه كذلك؟، قالوا: لا والله، فقالوا له: فما هو؟، ففكر الوليد في نفسه، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين المرء وأهله وولده ومواليه^(١)، فلهذا قال-تعالى-: ﴿إِنَّهُ فَكَّرْ﴾ أي: في أمر

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، (ص ٧٠٠ - ٧٠١)، وأخرجه الحاكم مختصرًا، وصححه، ووافقه الذهبي، (٢/٥٠٦-٥٠٧).

محمد والقرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ماذا يمكن أن يصفهما به؟
﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي: لعن على تقديره، ووصفه الكاذب ﴿ثُمَّ
قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ توكيد للعنه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: فكر بأي شيء
يطعن في رسول الله - ﷺ -، وفي القرآن.

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أي: قطب وجهه، وذلك حين مر بنفر من المسلمين،
فدعوه إلى الإسلام، فعبس في وجوههم ﴿وَبَسَرَ﴾ أي: ازداد وجهه
عبوساً ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ﴾ أي: أعرض عن الحق، واستكبر عن
قبوله، فقال: ما هذا الذي أتى به محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي:
يروى عن السحرة من اليمن والعراق ونجد ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ﴾ أي: ما هذا الذي يقوله محمد إلا من كلام البشر، وليس من
كلام الله، ولخبثه وكفره وعناده قال الله - ﷻ -: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾
أي: سيصلى في سقر، وهي نار جهنم ﴿وَمَا أَذْرَنَّا مَا سَقَرُ﴾
تعظيم لهولها وحرها ﴿لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ أي: تمزق أجساد
الكفرة والمشركين، ولا تترك منها شيئاً.

﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ أي: تسود جلود المشركين، وتحرقها، كما أخرج
الطبري بسند صحيح عن قتادة في بيان الآية قال: «حراقة».

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الملائكة، يتولون خزانتها، وتصريف

أهل النار فيها.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن المال والولد قوة، وهذه القوة قد تكون سبباً في طغيان الإنسان، وكفره بنعم الله، ومن ثم غضب الله عليه، وأهلكه، كما فعل الله بالوليد، وبقارون حين كفر بنعمة الله وفضله عليه، فلما نصحه قومه ألا يطغى بماله ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، ثم بين الله -ﷻ- ما آل إليه بقوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

- تشير الآيات الكريمة (١١-١٦) إلى فضيلة القناعة والرضا بالمقدّر، فلا يُكثر من التطلع إلى زيادة المال، ولا يبالغ في السعي إلى المنصب والجاه، كما تشير إلى التنفير من خلق العناد المذموم والمؤدّي إلى كثير من المساويء.

- تُبيّن الآيات الكريمة (١٨-٢٥) ما أصاب الوليد بن المغيرة من حيرة وتردّد؛ إذ تُبيّن أنه فكّر، ورَتَّب في نفسه ماذا يقول عن القرآن من إفك مفترى؟، وهو مستحق -لِفَعْلِهِ- هذا اللعن والطرد من رحمة الله، فما أعجب تقديره!، وما أغرب صنيعه!

وما أجرأه على تبديل الحق، والافتراء عليه!، وما أشدَّ عذابه على ذلك!!.

- أن اختيار اسم (سقر) لجهنم في هذه الآيات دون غيره من الأسماء؛ لما فيه من مشاكلةٍ لكثير من آيات هذه السورة في الوزن، وفي الحرف الأخير منها.

- أن أضل الناس وأشقاهم من يعرف الحق من الباطل، ثم يترك الحق، ويزين لنفسه الباطل، كما فعل الوليد بن المغيرة، فقد اعترف أن رسول الله - ﷺ - سليم في عقله، وأن ما يقوله ليس بشعر، وأنه لم يتكهن قط، ولم يكذب، ومع ذلك ضعفت نفسه عن اتباع الحق، حين لمزه قومه، وعيروه، فاستكبر أمامهم، فأصبح من الخاسرين، فقد أهلك الله ماله في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، وهو قول الله - ﷻ -: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ

إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ .

بيان الآيات:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: ما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة غلاظاً شداداً؛ ذلك أنه لما نزل قول الله-تعالى:- ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي : يُشْرِفُ على أهوال جهنم من ضروب العذاب تسعة عشر ملكاً، أو تسعة عشر صنفاً من الملائكة.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ما ذكرنا عددهم إلا زيادة في امتحان الذين كفروا ﴿لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وما ذكرنا هذا العدد لخزنة النار إلا ليعلم الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى أن عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم، وليوقنوا أن ما جاء به هذا الرسول حق.

﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ أي: يزداد الذين آمنوا بهذا الرسول إيماناً بما يروونه من صدق ما قاله لهم نبيهم-ﷺ- ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: ولا يشك الذين أعطوا التوراة والإنجيل والمؤمنون المصدقون بمحمد-ﷺ- في أن عدد خزنة

جهنم تسعة عشر ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ﴾ أي: الشاكّون في الرسالة وغيرهم من الكفار والمشرّكين ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي: يسألون عما هي الحكمة في الحديث عن عدد الخزنة، فأجاب الله-تعالى-بقوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يعمي من يشاء، ويهدي أي: يرشد من يشاء ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا أحد يدري عن عدد جنود ربك الذين يقومون على خزانة جهنم، وعذاب أهلها إلا هو.

﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ أي: ما هذه الحجج والبراهين التي جاءت في القرآن إلا ليتذكر الناس قدرة الله وقوته، وعظيم سلطانه، وقد يكون المراد بقوله: ﴿وَمَا هِيَ﴾ أي: ما جهنم إلا تذكرة للناس عن قدرة الله.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ هذا قسم من الله-تعالى- بثلاث من آياته العظام، وهي: القمر، والليل عند إدباره، والصبح وقت إسفاره.

﴿إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ أي: إن النار لإحدى العظام والبلاء، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ﴾ قال: «إذا أضاء وأقبل» ﴿إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ يقول-

تعالى ذكره:- إِنَّ جَهَنَّمَ لَأَحَدَى الْكِبَرِ؛ يعني: الأمور العظام.

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ أي: أن عذاب جهنم منذر لكم أيها الناس!
 ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ أي: لمن شاء أن يصدق
 النذارة، ويتقبلها، فيهتدي، أو يتأخر عنها، فلا يصدقها، ولا يقبلها،
 فيضل عن السبيل.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن خزنة جهنم تسعة عشر خزاناً، والمراد بهم رؤساء الخزنة،
 أما الملائكة القائمون على عذاب أهل النار فلا يعلم عددهم إلا
 الله.

- سفاهة المشركين، وجهلهم وضلالهم حين استهزؤوا بعدد
 الملائكة، وزعموا أنهم سيغلبونهم، وما هي إلا نعمة العقل التي
 يمن الله بها على من يشاء من عباده، فما كان لهؤلاء المشركين
 أدنى نصيب من هذه النعمة.

- أن النار عظة وذكرى لبني آدم، وقد أقسم الله بثلاث من آياته
 العظام: أن عذاب النار نذير لهم؛ ليعلموا قدرة الله وعظمته،
 فيتبعوا ما أمر به، وينتھوا عما نهى عنه، أو تكون لهم النار.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيُّومَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي: مرهونة بعملها، محاسبة عليه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ فإنهم لا يحاسبون، بل يدخلون.

﴿فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يسألون المجرمين عن حالهم قائلين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ أي: ما الذي

أدخلكم النار؟.

فأجابوهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ أي: لم نكن نشهد الصلاة التي فرضها الله علينا ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ أي: كنا نبخل بزكاة أموالنا، فلا نخرجها، ولا نتصدق على فقير أو مسكين.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أي: نتكلم في الباطل، ولا نتورع عن قول الإثم ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: نكذب بيوم البعث والحساب والجزاء ﴿حَتَّى أَتْنَا الْيَقِينَ﴾ أي: فاجأنا الموت.

ولما كان هذا دأبهم وحالهم في الدنيا من ارتكاب المحرمات، قال- تعالى:- ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشُّفَعِينَ﴾ أي: لا يشفع فيهم أحد؛ لأنهم قد ظلموا أنفسهم، فلم يهتدوا رغم ما جاءهم من البينات لهدايتهم.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: فما لهؤلاء المشركين معرضين عما تدعوهم إليه من الهدى .

﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ أي: كأنهم في بعدهم عن الحق، وإعراضهم عنه مثل حمر الوحش التي ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أي: فرت من أسد يريد افتراسها ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ

صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿١﴾ أي: أن كل واحد من المشركين يريد أن يرسل له كتاب أو صحيفة من عند الله، فقد كان أبو جهل وجماعة من قريش يقولون: يا محمد! أعطنا كتباً من الله مكتوباً فيها أنه قد أرسلك إلينا^(١)، كما قال-تعالى-: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ﴾ [الإسراء: ٩٣].

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: إنما أفسدهم، وسؤل لهم هذه الأقوال عدم إيمانهم بالبعث والحساب والجزاء ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرُهُ﴾ أي: إن القرآن تذكرة لمن يريد أن يتذكر

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكِّرْهُ﴾ أي: تلاه، واعتبر به، فحققت له بذلك هداية الله وتوفيقه.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: لا يقدرُونَ على الاعتبار إلا أن يشاء الله ذلك؛ لأنه

﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو أهل أن يتقى ويطاع؛ لأنه لا إله في الوجود إلا هو، وهو أهل أن يغفر للمذنبين من عباده.

(١) تفسير الطبري، (٤١١/٢٣).

أحكام وفوائد الآيات:

- أن كل نفس مرهونة بعملها من الخير والشر، ويستثنى من ذلك أصحاب اليمين.
- الحكم بعظم أمر الصلاة، وأنها عمود الدين، وقرينتها الزكاة التي أوجبها الله للمستحقين من عباده في مال الأغنياء، وقد عظم الله أمر الصلاة والزكاة في كتابه، وفي سنة رسوله محمد - ﷺ -، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد سبق القول في ذكر بعضها.
- أن المجرمين لا يجدون أحدًا يشفع لهم يوم القيامة؛ لأن تركهم للصلاة والزكاة، وقولهم بالباطل، وتكذيبهم بالبعث، حرّمهم من الشفاعة فيهم؛ ذلك أنهم كانوا يُنَادُونَ في الدنيا إلى اتباع الحق، فيفرون منه كما تفر الوحوش من الأسود.
- جهل مشركي مكة وسؤالهم أن ينزل الله عليهم صحائف تبرئهم من النار، وهذا غاية حماقة والجهل.
- أن الله - ﷻ - هو أهل أن يتقى؛ لأنه لا إله إلا هو، وهو أهل أن ترجى منه المغفرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القيامة

مكية، وآياتها أربعون آية

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾
 أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ نَجْمَ عِظَامِهِ ۝٣ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ
 بَنَانُهُ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ
 الْقِيَمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ
 رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ
 الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝١٥﴾.

بيان الآيات:

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أقسم بيوم القيامة، و(لا) رد لكلام
 من أنكر البعث، أي: ليس الأمر كما زعمتم.

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ أي: أقسم بالنفس التي إن أذنبت
 لامت، واستغفرت، وجواب القسم: لتبعثن ولتحاسبن يوم القيامة،
 وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿بِالنَّفْسِ

اللَّوَامَةِ ﴿١٠﴾ قال: «تندم على ما فات، وتلوم عليه».

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ أي: أيظن الإنسان

الكافر أنا لا نجمع عظامه بعد تفرقها، ونعيدها بعد اندثارها؟.

﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ أي: قادرين على جمعها،

وعلى تسوية بنانه، أي: أصابعه، فنجعلها طويلة أو قصيرة، أو كبيرة

أو صغيرة، وقد أشار الله إليها لصغرها.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ أي: أيريد الإنسان أن يكذب

بالبعث، وهو يعرف قدرة الله في الخلق، وأن من قدر على الخلق قادر

على إعادته؟ ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يسأل سؤال استنكار

واستبعاد عن موعد قيام القيامة.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ أي: إذا حار واندesh مما يرى من هول ذلك

اليوم ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة قال:

«ذهب ضوؤه، فلا ضوء له» ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: ذهب

ضوءهما، وانتهى نظامهما بعدما تغير الكون.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ أي: يقول الكافر إذا رأى

تلك الأحوال: هل هناك مفر من ذلك المشهد؟، وجوابه كما قال -ﷺ-:

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ أي: لا ملجأ ولا مفر إلا إلى الله، فإليه ينتهي الخلق بعد بعثهم، كما قال-ﷺ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال: «لا ملجأ ولا جبل».

﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: يعلم الإنسان أعماله في ذلك اليوم: أولها وآخرها، كبائرها وصغائرها، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ﴾ قال: «من طاعة الله ﴿وَأَخَّرَ﴾ مما ضيع من حق الله».

﴿بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ أي: شاهد على نفسه حيث تشهد جوارحه عليه، فتشهد عليه يداه بما بطش بهما، وتشهد عليه رجلاه بما مشاه، ويشهد عليه سمعه بما سمع به، وبصره بما أبصر به ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ أي: تشهد عليه جوارحه ولو حاول إخفاء ما فعل.

أحكام وفوائد الآيات:

- الحكم بوقوع البعث والحساب والجزاء وقوعاً لا ريب فيه، وقد أقسم الله على ذلك، وقسمه الحق.
- قدرة الله-تعالى-على إعادة الخلق لبعثهم ليوم القيامة، وقدرته

المطلقة في تسوية أصغر عظام الإنسان، وإعادة تركيبه، فيجعل أصابعه مثل أصابع الأنعام، أو يجعلها أصغر من ذلك.

- أنه لا ملجأ ولا مفر يوم القيامة إلا إلى الله، وسيحاسب عباده على أعمالهم، ويجزي كلًّا بما عمل حسب ما في صحائف عمله، كما قال -ﷺ-: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

- أن الإنسان سوف يشهد على نفسه، أي: تشهد جوارحه عليه، كما قال -ﷺ-: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وكما يشهد على نفسه في الآخرة يشهد على نفسه في الدنيا، فإذا أقر بشيء من حقوق الله أو حقوق الادميين أخذ بإقراره، ونفذ في حقه.

- إفادة دخول (لا) النافية قبل فعل القسم تأكيداً، وهو من أساليب العرب، وفيه إشارة إلى أن الأمر واضح، ولا يحتاج إلى قسم.

- استخدام صيغة المبالغة في وصف النفس باللؤامة لكثرة حصول هذا الأمر من الإنسان، وفي ذلك امتداح لمن يكثر من لوم نفسه على التقصير في حق الله، والعزم على المسارعة إلى الخيرات^(١).

(١) التفسير الكبير للرازي، (٣٠/١٩١).

- أنه أعيد لفظ الإنسان في هذه الآيات خمس مرات؛ لأنَّ المقام يقتضي توبيخه، وتقريعه، وتسجيل الظلم والجحود عليه^(١).
- أن العذر لا ينفع يوم القيامة؛ لأن الله أعذر عباده في الدنيا؛ ليعملوا، وليتوبوا إذا أذنبوا، فإذا قدموا عليه انتفى العذر منهم، ويبقى الحساب، كما قال -ﷺ-: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٣: ٢٤]، وفوق كل ذلك تبقى رحمة الله وعفوه لمن كان في قلبه شيء من إيمان.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقرْءانه ۚ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءانه ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ﴿١٨﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١٩﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٠﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٣﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس، في سبب نزول قوله -تعالى-

(١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٢٨١/١٥).

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: «كان رسول الله -ﷺ- يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله -ﷺ- يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله -تعالى-: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: جمعه له في صدرك وتقرؤه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله -ﷺ- بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي -ﷺ- كما قرأه»^(١)، ومعنى قوله: «وكان مما يحرك شفتيه» أن من مظاهر هذه الشدة تحريكه شفتيه بكثرة وسرعة؛ خشية أن ينسى.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ في هذا تربية لرسول الله -ﷺ- ولأمته، فقد علم الله نبيه الطريقة التي يتلقى بها الوحي بالقرآن من الملك، بحيث يستمع له، والله هو الذي ييسره لفهمه كما أنزله عليه، فأمره ألا يعجل بقراءة القرآن؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على فهمه، ولا يفوته منه شيء، فقال الله -ﷻ-

(١) الصحيح، (٢٩/١)، كتاب بدء الوحي، حديث (٥)، وأخرجه مسلم في الصحيح، (١/٣٣٠)، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة.

له: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي: في قلبك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي: إذا قرأه جبريل فاستمع له، وكان-عليه الصلاة والسلام- يستمع لجبريل كما أمره الله، فإذا ذهب جبريل أعاد قراءته.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: بيان ما فيه من الأحكام التي قد تشكل عليك، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ قال: «بيان حلاله، واجتناب حرامه، ومعصيته وطاعته».

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٦٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٦١﴾﴾ لما بين الله لرسوله ما يجب عليه من تلقي القرآن ذكر حال المكذبين به وبالقرآن، وأن الذي دفعهم إلى ترك الآخرة وعدم الاستعداد لها بالأعمال الصالحة هو حبهم للدنيا وتفضيلهم لها على الآخرة.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: بهية مشرقة يوم القيامة جزاء إيمانها بالله وطاعته، وتفضيلها الآخرة على الدنيا ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ أي: تنظر إليه يوم القيامة، وذلك حين يتجلى لعباده المؤمنين، فلا يتمنون شيئاً في الجنة أفضل من نظرتهم إلى ربهم، وأخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة: «أن الناس قالوا: يا رسول

الله!، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر، ليس دونه سحب؟، قالوا: لا يا رسول الله!، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟»، قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك»^(١).

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي: كالحة مسودة، والمراد بها وجوه الكفار، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ قال: «كالحة».

﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي: توقن أنها هالكة، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ قال: «داهية».

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب التأنّي في قراءة القرآن حتى يمكن تدبر ألفاظه ومعانيه، ولا حجة للذين يريدون الإسراع في القراءة رغبة في الإكثار من ختم القرآن؛ إذ العبرة في فهم أحكامه، وليست في عدد ختمه.
- ذم التهافت على الدنيا، وتناسي الآخرة، أو التغافل عنها.
- البشرى للمؤمنين بأنهم يأتون يوم القيامة ووجوههم مشرقة، ويرون

(١) الصحيح، (٢٩/١)، كتاب الأذان، باب فضل السجود، (حديث ٨٠٦)، وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم- سبحانه-، (١/٣٦)، (١٦٤)، رقم (١٨٢).

ربهم عياناً؛ لما ورد أن أناساً قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟، فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحب»؟، قالوا: لا، قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك»^(١).

- أن الظلمة يأتون يوم القيامة ووجوههم عابسة كالحة، والعياذ بالله.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٣٨﴾ وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٣٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٤٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٤١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٤٣﴾ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿٤٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٤٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي يُمْنٍ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٤٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٥٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ في هذا تذكير من الله بحالة الاحتضار وقرب الموت، وما ينتج عنه فيما بعد من البعث والحساب الذي

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله-تعالى:- ﴿وَجُوهٌ يُّوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾

﴿٢٢﴾، (رقم ٧٤٣٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، (رقم ١٨٣).

يكذب به المجرمون، والمراد ﴿كَلَّا﴾ أي: حقًا سوف تبلغ النفس عظام الحلق؛ لكي تخرج من الجسد.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: يقول أهل المريض: هل من طبيب أو راق يرقيه؟، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ «أي: التمسوا له الأطباء، فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً» ﴿وَحَظَّنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ وفي تلك المرحلة من الاحتضار يوقن أنه مفارق للدنيا، ومفارق للأهل والأحبة.

﴿وَأَلْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي: التفت عندئذ ساقا المريض من شدة الكرب؛ لفراق الدنيا والأهل، وكرب الإقبال على الآخرة، كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿وَأَلْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ يقول: «آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة، فالتفتي الشدة بالشدة، إلا من رحم الله».

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أي: المرجع والمآب ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ المراد به أبو جهل، وكل كافر كان في الدنيا معرضاً عن الحق، متبعاً لهواه، فلم يترك ماله، ولم يتصدق منه، ولم يصل ما فرض الله عليه.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ أي: كذب بما جاءه من الحق،

وأعرض عنه، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-

تعالى:- ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ «أي: لا صدق بكتاب الله، ولا صلى

الله ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ كذب بكتاب الله، وتولى عن طاعة الله

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ أي: تبخر معجباً بنفسه وماله».

﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ هذا تهديد ووعيد

لهذا الكافر المتمرد المختال بعذاب شديد وعقاب أليم، يتنامى

ويتضاعف جزاء كفره وعناده.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ أي: أيعظن الإنسان أن يترك

مهملاً لا يؤمر بأمر، ولا يُنْهَى عن نهى، ولا يبعث ولا يحاسب؟، كلا

إنه لن يكون كذلك، سوف يموت، ويبعث، ويحاسب على كل صغيرة

وكل كبيرة.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُُمْنَىٰ﴾ أي: ألم يكن من قطرة مني

صغيرة تراق في الرحم؟.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أي: قطعة دم، ثم مضغة، إلى أن يستوي في

خلقه وتركيبه بإذن ربه، كما قال-تعالى:- ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ ﴿٣٨﴾

فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أي: خلق من هذه النطفة

إما ذكراً وإما أنثى، حسب حكمته وإرادته، ثم زواج بينهما.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ أي: أليس الذي خلق

وكون هذا الإنسان من قطرة ماء بقادر على إعادة هذا الإنسان للبعث والحساب؟، ونقول كما قال رسول الله -ﷺ-: «سبحانك اللهم بلى»^(١).

أحكام وفوائد الآيات:

- أن حال الاحتضار مقدمة للموت، ومن ثم البعث والحساب.
- أن في قوله-تعالى-: ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ دليلاً على أَنَّ الروح تخرج من الجسد بتدرُّج حتى يتكامل خروجها منه، وتحصل حينئذ الوفاة^(٢).

- ذكر بعض المفسرين في قوله-تعالى-: ﴿وَالْتَقَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾

أنه كناية عن اجتماع شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكرهه^(٣).

- مشروعية الرقية للمريض، والرقية يجب فيها أن تكون بالقول أو الفعل المشروع، كقراءة القرآن، أما إن كانت خلاف ذلك فهي محرمة،

كعلاج السحر بالسحر.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن في التفسير، (١٠ / ٣٣٨٩).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي، (٣٠ / ٢٠٤).

(٣) جامع البيان للطبري، (٢٩ / ١٩٥).

- تحريم الكبر والعجب بالنفس.
- أن التمتطي: التبخر في المشي تكبراً، وقد ورد ذمها في الحديث عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- أن رسول الله-ﷺ- قال: «بينما رجل يجرُ إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»^(١).
- أن الإنسان لم يخلق عبثاً، كما قال-تعالى-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].
- عن موسى بن أبي عائشة قال: «كان رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ قال: سبحانك، فبكى، فسأله عن ذلك، فقال: سمعته من رسول الله-ﷺ-»^(٢).
- ورد حديث يفصل المدة التي يعرف بها جنس الجنين ذكراً أو أنثى، فعن حذيفة بن أسيد-رضي الله عنه- عن النبي-ﷺ- قوله: «إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً، فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب! أذكر أم أنثى؟، فيقضي ربك ما شاء»، وفي رواية: «بضع وأربعين ليلة»^(٣).

(١) رواه أحمد في المسند، (رقم ٥٣٤٠)، وقال محققه شعيب الأرناؤوط: «صحيح».

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء في الصلاة، وقال أبو داود بعد الحديث: «قال أحمد: يعجبني في الفريضة أن يدعو بما في القرآن»، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٤٥)، كتاب القدر، باب: كيفية خلق آدمي، (رقم ٢٦٤٤-٢٦٤٥).

- وقد ذكر هذا الحديث الدكتور محمد جميل الحبال، ثم ذكر موافقة الطب الحديث لذلك، فقال:

أ- تكون الغدد التناسلية للجنين (Gonads) غير متميزة من ناحية نوعية الجنس (مشتركة) حتى نهاية الأسبوع السادس من عمر الجنين (Sexually undifferentiated)، وبعدها تبدأ بالتمييز، بأن تأخذ المسار الذكري أو الأنثوي!.

ب- لقد اكتُشِفَ حديثاً في السنوات الأخيرة فقط، عند دراسة آلاف الحالات من الحمل في بداياته؛ لمعرفة نوع جنس الجنين، وذلك بواسطة آلة التصوير بالأمواج فوق الصوتية المتطور، وبالدوبلر الملون، ومتابعتها بعد الولادة، والتأكد من صحة النتائج، اكتشف أن ظهور الجنين مع بدايات تكوين زغابات المشيمة وأوعيتها الدموية (Chorionic Villi) في نهاية الأسبوع السادس، أو منتصف الأسبوع السابع (ما بين ٤٢-٤٥) يوماً تقريباً بالضبط وما بعدها، كما ظهر من النتائج أن معظم حالات الحمل الذكورية كانت تظهر في انغراسها (التعشيش) (Implantation) في بطانة الرحم في الجهة اليمنى والأنثوية في الجهة اليسرى منه، وذلك بنسبة ٩٧.٥% من الحالات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الإنسان

مدنية، وآياتها إحدى وثلاثون آية

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا
 ① إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
 بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③﴾.

بيان الآيات:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا
 مَّذْكُورًا﴾ (هَلْ) تأتي بمعنى (قد)، والمراد بالإنسان هنا
 آدم، فقد أتى عليه حين من الدهر أربعون سنة قبل أن ينفخ
 فيه الروح، وليس شيئاً، إنما هو طينة، وقد يكون المراد
 بالإنسان في عمومها، كما ذكره الإمام ابن كثير^(١).

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: تم خلق الإنسان
 من ماء الرجل وماء المرأة، حيث اجتمعا، فتكونت من ذلك النطفة
 الأخلاط، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
 ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال: أطوار الخلق، طوراً

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/٤٥٣).

نطفة، وطوراً علقه، وطوراً مضغة، وطوراً عظاماً، ثم كسا الله العظام لحماً، ثم أنشأه خلقاً آخر، أنبت له الشعر ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره بالسراء والضراء أو بالخير والشر.

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي: جعلنا له سمعاً يسمع به، وبصرًا يبصر به؛ ليكتمل بذلك تكليفه.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي: بيّنا له طريق الهدى وطريق الضلال، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ قال: «الشقاوة والسعادة» .

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: إنه في كلتا الحالتين قد عرف طريق الهدى من الضلال، فإن اهتدى فذلك خير له، وإن ضل فضلاله عليه، ولا عذر له في ضلاله، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا﴾ للنعم ﴿وإِمَّا كَفُورًا﴾ لها.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن خلق الإنسان ابتداء من النطفة التي تنتج عن اختلاط ماء الرجل بماء المرأة.

- أن في إعلام الإنسان أنه مخلوق طارئ على الكون فوائد متعددة، منها: أن يعلم أن له خالقاً عظيماً يستحق العبادة، وأن يعرف قدره بين سائر المخلوقات، فيتواضع، ويبتعد عن الغرور.

- أن الله جعل له السمع والبصر؛ ليكون على بينة فيما أمره به، وما نهاه عنه.

- أن الله بين للإنسان طريق الهدى من الضلال، فإن اهتدى فذلك خير له، وإن ضل فقد أعذره الله بالبينات التي أرسلت له عن طريق رسله وكتبه، كما قال -ﷺ-: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا آلَ عَمٍ عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧].

- أنه ورد في الآية الكريمة ﴿كُفُورًا﴾ بصيغة المبالغة إنكاراً لكثرة حصول الكفر من الإنسان، مع أن دلائل الهداية تحيط به من كل جهة، ويشعر بها في كل وقت.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ ١ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٢﴾ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٣﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٤﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوْجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾
 إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ
 الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا
 ﴿١٢﴾ .

بيان الآيات:

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا﴾ لما ذكر -عليه السلام-
 أنه بين للإنسان طريق الهدى من الضلال حكم بأن من شكر واهتدى
 فله الجزاء الأوفى، ومن كفر فله العقاب، وهو السلاسل والأغلال في
 عذاب السعير.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الأبرار
 هم الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله، وأوفوا بما أمرهم الله به، وانتهوا
 عما نهاهم عنه، فهم يشربون من كأس مزاجها الكافور؛ لما فيه من
 طيب رائحته، وصفاء لونه، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في
 قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
 كَافُورًا﴾ قال: «قوم تمزج لهم بالكافور، وتختم لهم بالمسك».

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ أي: أن هذا الشراب الذي

يشربونه-وقد مزج بالكافور-مستمد من عين لا تنقطع ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ متى شاؤوا ﴿يُوفُونَ بِالْأَذْرِ﴾ أي: ومن صفات الأبرار: أنهم لا يخلفون نذورهم، سواء في حق الله أو في حق عباده.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: يحذرون يوم القيامة وشره المستطير حين ينقلب الكون بإرادة الله، فتتشق السماء، وتنسف الجبال، وتتخلى الأرض عما فيها، وتفرع الملائكة من هول ذلك اليوم، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ قال: «استطار-والله-شر ذلك اليوم، حتى ملأ السماوات والأرض».

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَىٰ حَبِّهِ﴾ أي: يطعمون طعامهم رغم حبهم وشهوتهم له ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ يعني: مسكيناً أعياه الفقر، ويتيماً فقد عائلته، وأسيراً أصبح تحت يد المسلمين، ولسان حالهم يقول لمن يطعمونهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: رجاء فيما عنده من الثواب، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَىٰ حَبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: «لقد أمر الله بالأسرى أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك».

﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي: لا نريد منكم جزاء

تجزوننا به، ولا أن تشكرونا عليه .

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ اليوم العبوس هو:

اليوم الكالح من شدة هوله، والقمطيرير: شديد العُبوس، الطويل، والمراد: إنما فعلنا ذلك رجاء في رحمة الله لنا من هول ذلك اليوم وشدته وضيقه، كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿عَبُوسًا﴾ قال: «ضَيِّقًا» ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ قال: طويلاً.

﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ وقد

استجاب الله دعاءهم، وحقق لهم أمنياتهم، فوقاهم هول ذلك اليوم وعبوسه، فأشرقت وجوههم في نضرتها، واكتست قلوبهم سرورًا بما وجدوا من ربهم في جنات النعيم.

﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: كافأهم على صبرهم على طاعته

وترك محرماته ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ .

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب الوفاء بالنذر، وفيه حديث رسول الله -ﷺ-: «من نذر أن

يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»^(١)، وهو بهذا على نوعين: نذر يجب الوفاء به، ونذر يحرم الوفاء به، أما واجب الأداء فهو نذر الطاعة، كمن نذر أن يعتمر في رمضان، أو نذر أن يصوم تسعة أيام من عشر ذي الحجة، أو نذر أن يتصدق، فيجب عليه الوفاء بما نذر، أما النذر الذي يحرم الوفاء به فهو نذر المعصية، كمن نذر ألا يكلم أخاه، أو جاره، أو قريبه، أو نذر أن يبذل مالا في معصية، فهذا كله محرم.

- فضل إطعام الطعام لمن يحتاجه، كما قال -ﷺ-: ﴿وَعَاتَى أَلْمَالِ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال -عز ذكره-: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقال رسول الله -ﷺ-: «أفضل الصدقة: أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى»^(٢).

- أن أحداث يوم القيامة وُصِفَتْ في آيتين في هذه السورة بالشرِّ، وذلك في قوله -تعالى-: ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾، وفي قوله -تعالى-: ﴿فَوْقَهُمْ أَلَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، والمقصود بالشر فيهما: الشدائد

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان، باب: النذر في الطاعة، (رقم ٦٦٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: فضل صدقة الصحيح الشحيح، (رقم ١٤١٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، (رقم ١٠٣٢).

والأهوال التي تحصل فيه، وسُمِّيتْ شَرًّا من باب التوسع^(١).

- أن أساور أهل الجنة وُصِفَتْ في هذه الآيات بأنها من فضة، وُوصِفَتْ في سورة الكهف بأنها من ذهب، وُوصِفَتْ في سورة فاطر بأنها من ذهب ولؤلؤ، ويجمع بينها بأنهم يُحَلَّون بصنف تارة، وبصنف آخر تارة أخرى، وقد يجمعون بين صنفين أو أكثر.

- أنه لم يطلب الأبرار من الخلق جزاء ولا شكوراً ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾، فَمَنْ الله عليهم جزاءً وشكراً مقابل ذلك ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۖ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝ ١٤﴾
 وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝ ١٥
 قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝ ١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝ ١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝ ١٨ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ۝ ١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ۝ ٢٠ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي، (٣٠ / ٢٤٧).

وَاسْتَبْرَقٌ^ط وَحُلُوءٌ^ط أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾
 إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾.

بيان الآيات:

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ^ط﴾ ما زال السياق في ذكر كرامة الله للأبرار من عباده، الذين من صفاتهم: الوفاء بالنذر، وإطعام الطعام، والخشية من هول يوم القيامة، فقال- عز ذكره:-
 ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ^ط﴾ أي: متكئين في الجنة على السرر تحت الحبال.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهَرِيرًا^ط﴾ أي: لا يرون في الجنة حرًا كحر شمس الدنيا، ولا يرون فيها كذلك بردًا شديدًا كبرد الدنيا.
 ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا^ط﴾ أي: قريبة لهم أغصان أشجار الجنة
 ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا^ط﴾ أي: سخرت لهم ثمار أشجارها تذليلًا
 أي: تسخيرًا، وأخرج هناد بن السري بسند صحيح عن البراء بن عازب في قوله- تعالى:- ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا^ط﴾ قال: «قيام، وقعود، ونيام، وعلى أي حال شاءوا»^(١).

(١) الزهد، (رقم ١٠٠)، ورجاله ثقات.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: يطوف

الخدم على هؤلاء الأبرار بأكواب أي: كيزان من الفضة والذهب.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾

قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: هذه الأكواب من فضة،

وهي: صافية مثل صفاء القوارير وشفافيتها وبياض الفضة.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: قَدَّرُوهَا لهم الخدم الذين يطوفون

بها عليهم قدر ريّهم دون زيادة أو نقص، وأخرج

الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿قَدَّرُوهَا

تَقْدِيرًا﴾ قال: «قدرت على ريّ القوم»، وأخرج ابن أبي شيبة بسند

صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ

وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال:

«الآنِيَة: الأقداح، والأكواب: الكوكبات، و﴿تَقْدِيرًا﴾ قال: إنها

ليست المَلَأَى التي تفيض، ولا ناقصة القدر»^(١).

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ أي: يسقى هؤلاء

الأبرار في هذه الأكواب كأْسًا من الخمر مزاجها من الزنجبيل، كما

أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿مِزَاجُهَا

(١) المصنف، (٧/٢٨٧).

زَنْجَبِيلًا ﴿١٠﴾ قال: «تَمْزَجُ بالزنجبيل».

﴿١١﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٢﴾ أي: في الجنة عين تسمى

السلسبيل، والمراد به الشراب الطيب اللذيذ الذي يتصف بالسلاسة.

﴿١٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا

مَنْثُورًا ﴿١٤﴾ أي: يطوف على هؤلاء الأبرار ولدان على هيئة واحدة،

مخلدون في الجنة، لا يتغيرون حسان، الوجوه والطباع، فمن يراهم

يتصورهم في حسنهم وبهائهم وجمالهم، مثل اللؤلؤ المنثور في حسنه

وصفائه.

﴿١٥﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴿١٦﴾ أي: إذا رأيت يا

نبينا ورسولنا محمدًا ما هناك في الجنة رأيت ملكًا عظيمًا، فيه ما لا

عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿١٧﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴿١٨﴾ أي: لباسهم في الجنة

السندس، وهو: الثياب الرقاق مما يلي أجسامهم، وإستبرق، وهو

الديباج الغليظ مما يلي ظاهر أجسامهم.

﴿١٩﴾ وَحُلُوءًا مِّنْ فِضَّةٍ ﴿٢٠﴾ أي: يحلى الرجال بالأساور من

الفضة، أما النساء فيحلّين بالأساور من الذهب ﴿٢١﴾ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ

شَرَابًا طَهُورًا ﴿٤١﴾ أي: سقاهم شرابًا، طَهَّر قلوبهم وأجسامهم من الشوائب والأدران والضغائن.

﴿٤٢﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٤٣﴾ أي: يقال لهم وهم في هذا النعيم: إن هذا ثواب لكم على سعيكم في كسب أعمالكم الصالحة، وهذا السعي مشكور من قبل الله لكم، فقد تقبل طاعتكم، وأثنى عليكم في الملأ الأعلى، وغفر لكم جميع ذنوبكم، فأنتم اليوم في ولايته وجناته، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- **﴿٤٢﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٤٣﴾** قال: «غفر لهم الذنب، وشكر لهم الحسن».

أحكام وفوائد الآيات:

- ما عند الله للأبرار من الثواب العظيم، وهو دخولهم الجنة، وتمتعهم فيها بألذ المطاعم والمشارب، وتكريم الله لهم، كما قال-ﷻ:- **﴿٤٤﴾ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٥﴾** [الأعراف: ٤٣].

- أن في الجنة للأبرار ما هو محرم عليهم في الدنيا، ومن ذلك الخمر؛ لقول الله-ﷻ:- **﴿٤٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ [المائدة: ٩٠]، وقول رسول الله -ﷺ-: «من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها، حرمها في الآخرة»^(١)، ومن محرمات الدنيا: لبس الذهب للرجال، واستعمال أواني الذهب والفضة؛ لقول رسول الله -ﷺ-: «هي لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة»^(٢)، ومن محرمات الدنيا: لبس الحرير للرجال.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

(١) أخرجه البخاري في أول كتاب الأشربة، (رقم ٥٥٧٥)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، (رقم ٢٠٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب: لبس الحرير للرجال، (رقم ٥٨٣١)، ومسلم في كتاب اللباس، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، (رقم ٢٠٦٧).

بيان الآيات:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ أي: نزلنا عليك يا نبينا

ورسولنا محمدًا القرآن من عندنا، فلم تقله من عندك، ولم يأتك من أحد غيرنا، كما يدعيه المشركون كذبًا وزورًا.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبر على أذى المشركين، وهذا قبل

نزول آية القتال، واصبر كذلك على ما ينالك في سبيل الدعوة إلى الله، وسوف ينصرك على أعدائك ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: لا تطع من طبع الإثم على قلبه، وكل كافر يريد الصد عن سبيل الله.

﴿وَاذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: قم بعبادة الله وطاعته

في أول النهار وفي آخره، فأوله صلاة الفجر، وآخره صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ المراد صلاة المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ المراد به صلاة التطوع في الليل.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ المراد بهم أهل مكة، فهم

بكفرهم وتكذيبهم لرسول الله قد فضلوا الدنيا على الآخرة ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أي: تركوا الإيمان بيوم الآخرة، وسيكون يومًا ثقيلاً عليهم، يعانون فيه من العسر والشدة ما لا

يطيقون.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾ أي: خلقنا أباهم آدم من طين لازب
 ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي: أحكمنا خلقهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ
 تَبْدِيلًا﴾ أي: لو أردنا لغضبنا عليهم، ثم جئنا بمن هم أفضل
 وأخلص منهم في طاعة الله.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: عظة وعبرة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ
 رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: من أراد سلك طريقًا يوصله إلى مرضاة الله
 ومغفرته، ثم قال -عجل-: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: ما
 تقدرُونَ على سلوك هذا الطريق إلا بمشيئة الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: عليمًا بأعمالكم: حسنها
 وسيئها، علنها وسرّها، حكيماً في تدبيره وتصرفه فيكم.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: يدخل الله في رحمته من
 يشاء من عباده؛ لعلمه بسريرته وإيمانه ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ
 عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: أعد لكل ظالم فاجر عذاباً شديداً لقاء ظلمه
 وفجوره.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الله أنزل القرآن على نبيه ورسوله محمد - ﷺ -، والآيات في هذا كثيرة، منها: قوله - تعالى -: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [السجدة: ٢]، وقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُو لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦]، وفي هذا دحض لافتراءات المشركين ومن سار على نهجهم من الملحدين والمفترين.

- تحريم طاعة أولي الإثم من الظلمة في أقوالهم وأفعالهم، كما قال - تعالى -: ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

- أنه في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ عَائِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ جمع بين الآثم والكفور، والفرق بينهما: أن الآثم هو المُقَدِّم على المعاصي أيًا كانت، والكفور هو: الجاحد للنعمة، فكل كفور آثم، وليس كل آثم كفوراً^(١).

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي، (٢٥٩/٣٠).

- وَصَفُ الدُّنْيَا بِالْعَاجِلَةِ فِي قَوْلِهِ -تعالى-: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ
الْعَاجِلَةَ﴾ تعريض بحماقة مَنْ يُؤَثِّرُهَا؛ إِذْ رَضُوا بِالْأَدْنَى؛ لِأَنَّهُ
عَاجِلٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ شِيمِ أَهْلِ التَّبَصُّرِ^(١).

- وَجُوبُ ذِكْرِ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ، فَرْضًا كَانَتْ أَمَ نَفْلًا، وَالتَّرْغِيبُ
فِي صَلَاةِ النَّوَافِلِ فِي اللَّيْلِ، وَالتَّنْذِيرُ بِالَّذِينَ يُحِبُّونَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ.

- وَجُوبُ رَدِّ الْمَشِيئَةِ إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَلَا حَوْلَ إِلَّا بِهِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ،
وَلَا تَدْبِيرَ إِلَّا تَدْبِيرَهُ، وَلَا يَسِيرَ إِلَّا مَا يَسِرُهُ، كَمَا قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَا
تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (٢٤) ﴿
[الكهف: ٢٣- ٢٤].

- تُعَدُّ سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَبِئَّةَ سُورَةِ الْقِيَامَةِ، فَسُورَةُ الْقِيَامَةِ أَكَدَتْ
حُصُولَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَسُورَةُ الْإِنْسَانِ بَيَّنَّتْ مَا يَكُونُ فِي هَذَا
الْيَوْمِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهِ لِصِنْفَيْ النَّاسِ: الْكَفَّارِ وَالْأَبْرَارِ، كَمَا أَنَّهَا
تَذَكِّرُ الطَّرِيقَ لِلنَّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٩/٤٠٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المرسلات

مكية، وآياتها خمسون آية

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَصْفَاتِ ۝٢ وَالنَّشْرِاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَرْقَتِ فَرَقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧ فَإِذَا الثُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٤ وَيُلَّى يَوْمَئِذٍ ۝١٥ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

بيان الآيات:

بدأت هذه السورة بقسم الله -عز وجل- بعدد من آياته العظام، والقسم في ذاته ينبئ عن أمر عظيم، ويكون هذا القسم أكبر وأعظم في القلوب إذا كان المقسم هو الله -عز وجل-، فهو مقدر الأقدار، وخالق الخلائق، ومسير الكون ومصرفه، فقسمه تعظيم لأمره، وأمره كائن لا محالة؛ لأنه يقول للشيء: كن، فيكون.

قوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ هي الرياح الهادئة المتتابعة

﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾ أي: الرياح الشديدة الهبوب، وقد تكون مهلكة، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾ قال: «الرياح».

﴿وَالنَّشِرَتِ نَشْرًا﴾ أي: الملائكة الموكلين بنشر السحب لإنزال المطر، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿وَالنَّشِرَتِ نَشْرًا﴾ قال: «الرياح».

﴿فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا﴾ المراد بهم: الملائكة، ينزلون بالوحي؛ للفرق بين الحق والباطل ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكة تلقي بالوحي إلى أنبياء الله ورسله ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي: تلقي الملائكة بالوحي إعدارًا من الله، أو إنذارًا لخلقه، مما قد يحيق بهم من العذاب، أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ قال: «عذراً من الله، ونذراً منه إلى خلقه».

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا هو جواب القسم، والمعنى: إن ما توعدون من أمر القيامة واقع بكم بلا ريب، ثم بين-عجل-وقت هذا الواقع بقوله: ﴿فَإِذَا الْجُجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: انتهى ضوءها.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي: شقت، وفتحت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ

فُسِفَتْ ﴿٤٢﴾ أي: تبددت، فصارت هباء

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ﴾ ﴿٤٣﴾ أي: جُعِلَ لها وقتٌ معين؛ للفصل بينها

وبين الأمم، أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-
تعالى:- ﴿أُقِيتَتْ﴾ قال: «أجلت».

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ ﴿٤٤﴾ أي: أخرت ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ﴿٤٥﴾ أي: هو

اليوم الذي يفصل فيه الله بين الناس بأعمالهم، إما إلى الجنة،
وإما إلى النار، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-
تعالى:- ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ قال: «يوم يُفصل فيه بين الناس
بأعمالهم؛ إلى الجنة أو إلى النار»، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾
أي: ما تدري ما يوم الفصل؟.

﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أي: فيه الويل والعذاب للمكذبين

بالله وآياته ورسوله.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن سورة المرسلات تعدُّ مبيّنة لسورة الإنسان التي تحدثت عن جزاء
المؤمنين بتوسّع، وعن جزاء الكافرين بإيجاز، فجاء الأمر مفصلاً في
هذه السورة بالتوسّع في الحديث عن جزاء الكافرين والمكذبين،

والإيجاز في الحديث عن جزاء المؤمنين.

- أن الله يقسم بمن يشاء من خلقه، وليس للعباد أن يقسموا إلا به وحده.

- وقائع الكون عند قيام الساعة، وما يكون من انطماس النجوم، وذهاب ضوئها، وتشقق السماء، واقتلاع الجبال، وحضور الرسل والملائكة ليوم الفصل بين العباد.

- أن الويل سيكون في ذلك اليوم للذين كذبوا بالله وآياته ورسوله.

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ لما ذكر الله -عز وجل- ما سينال المكذبين به وآياته ورسوله من الويل والخزي يوم الفصل، قال في استفهام

تقريرى: ألم نهلك الأولين؟، أي: الأمم السابقة التي كذبت رسلها، مثل: قوم نوح وقوم هود وغيرهم.

﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ أي: نلحق الآخرين المكذبين بالله وآياته ورسوله، فنهلكهم كما أهلكنا الأولين ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كما أهلكنا المكذبين الأولين نفعل ذلك بالمشركين في مكة، وقد تحقق هذا في معركة بدر، فقتل صناديدهم ومجرموهم.

﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ثم قال-تعالى- في استفهام تقريرى ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: ألم نخلقكم من ماء حقير هو النطفة التي امتزجت بماء أمهاتكم؟ ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي: جعلنا هذا الماء في مكان حصين، هو الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: إلى وقت الولادة ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ أي: قدرنا خلقكم وصورناه مرحلة مرحلة، حتى اكتمل بشراً سوياً، فنعم القادرون على خلقكم وتصويركم الذي لا يقدر عليه إلا ربكم.

﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: لهم خزي وعار وعذاب يوم القيامة.

ثم ذكر-ﷻ- في استفهام تقريرى منته على خلقه بأن جعل

الأرض حافظة لهم في حياتهم ومماتهم ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أي: ضامّة لهم وجامعة ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ سواء في جمعها لهم أحياءهم وأمواتهم، فهم من الأرض، وعلى الأرض، وإلى الأرض، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ قال: «يسكن فيها حيّهم، ويدفن فيها ميتهم».

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ أي: جعلنا في الأرض الجبال الثابتات الطوال ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ أي: أنعمنا عليكم بالماء العذب الذي تشربون منه، وتسقون منه زروعكم وأنعامكم ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان الحقائق الإلهية في خلق الإنسان، ومراحل خلقه، وكون الأرض تضمه حيًّا وميتًا، وما فيها من الحقائق كالجبال والمياه من الأنهار والبحار، وفي هذا تأكيد لقدرة الله في وقوع يوم القيامة؛ للفصل بين الخلائق، ومحاسبتهم على عملهم في الدنيا.
- أنه ورد في هذه الآيات التذكير بأصل الخلق قبل التذكير بنعمة تذليل الأرض وتسخيرها؛ لأن النعم التي في الأنفس كالأصل للنعم

التي في الآفاق، فإنه لولا الحياة والسمع والبصر والأعضاء السليمة لما كان الانتفاع بشيء من المخلوق ممكناً^(١).

- أن الآية الكريمة وصفت الرحم بأنه قرار مكين، حيث هُيئَ هذا المكان لاستقبال الجنين من جميع الجوانب، ومن لحظة تكونه إلى لحظة ولادته وهو محاطٌ بوسائل حماية متعددة، منها: عظام الحوض المحيطة به، وكونه في وسط الجسم تماماً^(٢).

- تقول الدكتورة حنان العوضي المتخصصة في علم البيولوجي: «إن الكائنات الحية الدقيقة-وبخاصة البكتيريا-تُلَازِمُ الجثث الميتة ملازمة تامة، ممَّا يوضح أن الذي يقوم بتحلل الجثث هي كائنات حية تُلَازِمُها؛ لأنَّها هي التي أوكل إليها الله تَحَلُّلَ الجثث؛ للتخلص منها، وقد جاءت هذه الحقيقة كسابقة علمية، وَضَّحَ فيها سبحانه أن هناك كائنات حية تُلَازِمُ الجثث الميتة، وَتَكْفِتُ - أي تضم - معها ضمًّا إلزاميًّا في باطن الأرض»^(٣).

﴿أَنْظِلُّوْا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهٖ تُكْذِبُوْنَ ۖ أَنْظِلُّوْا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۖ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ ۖ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي، (٢٤١/٣٠).

(٢) الطب محراب للإيمان، د. خالص جلبي، (٢٤١-٢٥١).

(٣) التحلل في علم الميكروبيولوجي: من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة تركيا، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، (ص ١٣).

كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفُرٌ ﴿٣٣﴾ وَيُلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
 هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيُلَّ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ
 لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٩﴾ وَيُلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾.

بيان الآيات:

﴿أَنْظِلُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ما زال الذكر في وقائع
 يوم القيامة، ففي ذلك اليوم يقال للكفار: اذهبوا إلى العذاب الذي كنتم
 تكذبون به، فهو ماثل أمامكم.

﴿أَنْظِلُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي: اذهبوا إلى دخان
 يتفرع إلى ثلاث شعب ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ أي: ليس كالظل الذي تتقون
 منه حر الشمس ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ﴾ أي: لا يدفع عنكم شيئاً
 من لهب جهنم ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ الشرار: ما يتطاير من
 النار إذا أوقدت، والقصر: المبنى العالي، والمراد: أن جهنم تقذف شرراً
 يشبه في حجمه القصور.

﴿كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفُرٌ﴾ أي: لونه مثل الإبل السود، وأخرج
 البخاري بسنده عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾:

«كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع أو فوق ذلك، فنرفعه للشتاء، فنسميه القصر» ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال^(١).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: خزي وعار وعذاب للذين يكذبون بآيات الله ورسوله ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي: في هذا اليوم، أي: يوم القيامة لا يتكلم الكفار

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أي: لا يسمح لهم بالاعتذار؛ لأن الحجة قد قامت عليهم بما جاءتهم به الرسل، وما نزل عليهم من الكتب.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ أي: يخاطبون يوم القيامة، فيقال لهم: هذا هو اليوم الذي يفصل فيه بين العباد، فيتبين المؤمنون الذين يستحقون ثواب الله، ويتبين فيه الذين كذبوا به وآياته ورسوله، وما يستحقونه من الجزاء بالعذاب.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ أي: إن كان لكم مفر من العذاب

(١) الصحيح، (٥٥٦/٨)، كتاب التفسير، سورة المرسلات، الآية، (حديث ٤٩٣٣).

﴿فَكِيدُونِ﴾ أي: تخلصوا من عذابي الذي أجازيكم به اليوم لقاء كفركم، وتكذيبكم لما جاءكم من الآيات ﴿وَيُلِّ يَوْمِيذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: هلاك وخزي لهم في هذا اليوم.

أحكام وفوائد الآيات:

- أنه في مقابل حرمان أهل النار من الظل يتمتع أهل الجنة بالظلال المتعددة، وكلٌّ مَجْزِيٌّ بما يستحق.
- أن في تشبيه الشرر بالقصر تهكُّمًا بالكافرين؛ لأنَّ القَصْرَ موضع الأمن، وفيه إشارة إلى أن الكافر يُعَذَّب بما يَتَوَقَّع منه الأمن^(١).
- بيان عذاب المكذبين بالله وآياته ورسوله يوم القيامة، وهذا العذاب على نوعين: عذاب نفسي يتم فيه توبيخهم وتبكيتهم لقاء استهزائهم بالمؤمنين والسخرية منهم حين كانوا معهم في الدنيا، كما قال-تعالى- في حق المنافقين: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، ومن العذاب النفسي للكفار: عدم السماح لهم بالكلام، وعدم

(١) غرائب القرآن، للنيسابوري، (١٣٩/٢٩).

قبول أَعذارهم، كما قال-تعالى:- ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٥].

أما النوع الثاني فهو عذاب جسدي، وهو العذاب الذي يؤولون إليه بعد محاسبته وتوبيخهم، كما قال-تعالى:- ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النمل: ٢٩].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ ٤١ ﴿وَفَوَاحٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ٤٢ ﴿كُلُوا﴾ ٤٣ ﴿وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٤٤ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٤٥ ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٤٦ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ ٤٧ ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٤٨ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ ٤٩ ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٥٠ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥١.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ هذا وعد من الله لعباده المتقين أنهم يكونون يوم القيامة في ظلال أشجار الجنان وعيون الماء، وهذا خلاف المجرمين الذين يقال لهم: اذهبوا إلى الدخان المتشعب.

﴿وَفَوَاحِشَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: وللمتقين ما يتمنونه من الفواكه وأطياب الطعام والشراب.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: استمتعوا بطعامكم وشرابكم، واهنؤوا برضا ربكم الذي جازاكم خير الجزاء على أعمالكم في الدنيا ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجازي الذين آمنوا بالله، وآمنوا بآياته ورسوله، وما جاءهم به من الهدى، فهم بعملهم هذا أحسنوا إلى أنفسهم، فأحسن الله إليهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويل لمشركي مكة حين يقال لهم ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ أي: ألهاوا في دنياكم، وتمتعوا فيها مدة قليلة إلى أن تحين المدة التي حددت لهلاككم وعذابكم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: إذا قيل لهم: اركعوا-أي: صلوا-لا يركعون، أي: لا يصلون ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: هلاك وخزي لهم، ولكل مكذب بآيات الله ورسوله إلى يوم الدين ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُرُ

يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ أي: إذا كان هؤلاء المشركون لا يصدقون بالقرآن، ولا

يصدقون بنبوة رسول الله ورسالته، فبأي شيء يؤمنون.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان وعد الله للمتقين بالمقام الأمين في جنات النعيم؛ جزاء إحسانهم إلى أنفسهم في الدنيا، حيث آمنوا بالله وآياته، وصدقوا رسله، وأحلوا ما أحلوه، وحرموا ما حرموه.

- أن الله صدق وعده في نصر نبيه ورسوله والمؤمنين، حيث توعد مشركي مكة بالهلاك إذا لم يؤمنوا بما جاءهم به رسول الله من البينات، وقد حدث هلاك رؤسائهم في معركة بدر.

- بيان أن من صفات الكافرين: عدم ركوعهم وسجودهم، وهو كناية عن تركهم الصلاة؛ لقول رسول الله -ﷺ-: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»^(١).

- أن الآية الكريمة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ عبّرت عن الصلاة بالركوع؛ لأنه من أهم أركان الصلاة، ولأن الركوع فيه تعظيم للرب حين ينحني العبد له.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في ترك الصلاة، (رقم ٢٦٢١)، والنسائي في كتاب الصلاة،

باب: الحكم في تارك الصلاة، (رقم ٤٦٣)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب: ما جاء فيمن ترك

الصلاة، (رقم ١٠٧٩)، وصححه الترمذي، والألباني في صحيح سنن الترمذي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النبأ

مكية، وآياتها أربعون آية

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ
الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا
نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾
وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ .

بيان الآيات:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا استفهام إنكاري، ينكر فيه الله على
المشركين تكذيبهم بالبعث، والمراد: عن أي شيء يسأل فيه المشركون
بعضهم بعضًا؟.

﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾ أي: عن البعث والحساب والجزاء، وأخرج
أدم بن أبي إياس بسند صحيح عن مجاهد في قوله -تعالى-: ﴿عَنِ

النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ قال: «القرآن»^(١).

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أي: يختلفون في وقوعه، فبعضهم يصدقه، وبعضهم يكذب به، وقد يكون المراد: أنهم يتساءلون عن القرآن، وعن نبوة رسول الله - ﷺ -، ولعل الأظهر أنهم يتساءلون عن البعث؛ لما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ قال: «مصدق، ومكذب، فأما الموت فإنهم أقرؤا به كلهم، لمعاينتهم إياه، واختلفوا في البعث بعد الموت».

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديد ووعد لهم؛ والمراد: سوف يعلمون صدق ما جاء به نبينا ورسولنا محمد - ﷺ - عن البعث والحساب والجزاء، وعن القرآن ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ توكيد للتهديد والوعد. ثم بين - ﷻ - قدرته العظيمة على البعث والنشور بقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ أي: ألم نجعل الأرض ممهدة مستوية للعيش فيها.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي: جعلنا فيها الجبال لترسيثها وتثبيتها عن الاضطراب، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ قال: والجبال للأرض أوتادا أن تميد بكم.

(١) تغليق التعليق، (٣٦٠/٥).

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: جعلناكم ذكورا وإناثا لمنافعكم
وسكنكم إلى بعضكم، كما قال-تعالى-: ﴿وَمِنْ عَائِيَّتِهِ أَنْ خَلَقَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي: راحة لكم من التعب والنصب،
والسبات بمعنى المد أو التمدد ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: راحة
وسكنا عندما يغشى الكون بظلمته، فيكون كاللباس ﴿وَجَعَلْنَا
النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: وقتا للعمل لطلب المعيشة من المطاعم والمشارب
﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ أي: صنعنا فوقكم سبع
سماوات قويات محكمات في صنعها ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ أي:
جعلنا الشمس تتوهج ضياء لكم .

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ المعصرات: الرياح التي تعصر
السحاب فيمطر، وقد يراد بها السحب .

﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ أي: صبابا متتابعا، وأخرج الطبري بسند حسن
عن ابن عباس قال: «﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾ السحاب ﴿ثَجَّاجًا﴾: منصبا» .
﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ أي: لنخرج بهذا الماء الحب الذي منه

غذاؤكم، كالحنطة والشعير والذرة وسائر النباتات الأخرى ذات الحبوب ﴿وَنَبَاتًا﴾ أي: طعاماً لحيواناتكم ﴿وَجَنَّتِ الْأَقْفَا﴾ أي: بساتين ملتفات أشجارها؛ لكثرتها وتمايل أغصانها على بعضها.

أحكام وفوائد الآيات:

- قدرة الله -عز وجل- في تمهيد الأرض، وترسيتهما بالجبال، وتكوين البشر من زوجين مختلفين في كينونتهما، ورحمته بخلقه في توقيت وقت معين لنومهم وراحتهم، ووقت لطلب معاشهم، ورفع السماء فوقهم، ووضع الشمس لمنافعهم، وغير ذلك من مظاهر قدرته العظيمة، وفي ذكر هذه المظاهر التي يراها الإنسان عياناً يؤكد -عز وجل- أن من قدرته: بعث الخلق، ونشورهم، وعودتهم إليه؛ ليفصل بينهم حسب أعمالهم التي أمرهم بها، وهياً لهم كل الأسباب على الأرض؛ لكي يأتروا بها.

- أنه ثبت علمياً أن التغيرات الأرضية تمت بقدرة الله -تعالى- وأمره، وأدت إلى بناء القارات، ورفعها فوق مستوى البحار والمحيطات على هيئة مجموعات من منظومات وسلاسل، وأحزمة جبلية شاهقة، ظلت يُضاف بعضها إلى بعض بانتظام وببطء؛ لتزيد من مساحة القارات التي كانت في بادئ الأمر جبلية وعرة، لا تسمح

وعورتها بعمرانها، ثم بدأت عوامل التعرية في الأخذ من تلك الجبال الشاهقة بالتدريج حتى حَوَّلَتْهَا إلى السهول الواسعة، والهضاب والنُّجُود المنخفضة، والأودية المحفورة، والرواسخ الثابتة التي تُشَكِّلُ أواسط القارات اليوم حتى وصلت الأرض إلى صورتها المناسبة للعمران بواسطة الإنسان.

- يقول الخبراء: إِنَّ المعصرات هي مجموعة من السحب الطباقية والركامية التي تُشْحَن شحناً كبيراً ببخار الماء وقطراته، والتي تحدثها الأعاصير المدارية التي تتكون فوق مساحات شاسعة من الماء في البحار والمحيطات، أو الدوَّامات الهوائية التي تتكون فوق اليابسة على هيئة سحب طباقية، أو تساق ببطء حتى تتآلف وتتجمع، ثم تُرَكَّمُ إلى أعلى؛ لِتُكَوِّنَ السحب الركامية التي ترتفع إلى ما يزيد على (١٥) كيلاً، مشبعة بالماء (المعصرات)، مهيأة لإسقاط المطر الغزير (الثَّجَّاج)، والذي قد يستمر في السقوط عدة أيام دون انقطاع^(١).

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ

(١) <http://www.ahram.org.eg/archive/2002/7/8/OPIN8.HTM>

سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَعَابَا ﴿٢٢﴾ لَبِثِينَ
فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا
وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ
تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ .

بيان الآيات:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ لما بَيَّنَّ-عَلَيْهِ-قدرته العظيمة في
بعث الخلق، ومعادهم إليه للفصل بينهم، أخبر عن موعد هذا
الفصل، وأن له وقتاً معلوماً، لا يتقدم، ولا يتأخر، ولكن لا يعلم
حدوثه إلا هو، أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ قال: «وهو يوم عظمه الله، يفصل
الله فيه بين الأولين والآخرين بأعمالهم».

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي: يوم ينفخ إسرافيل
في القرن سوف تأتون زُمَرًا زُمَرًا أو أُمَمًا، كل أمة مع إمامهم.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي: جعلت مسالك لنزول
الملائكة، كما قال-تعالى:- ﴿وَيَوْمَ نَشَقُّ السَّمَاءَ بِالْغَمَمِ وَنُزِّلَ

الْمَلَكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: نسفت من قواعدها،

فأصبحت كالسراب، يظنه الرائي ماءً، فلا يجده شيئاً.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي: مرصدة أعدت وهيئت لتكون

مآباً للطغاة والفجرة، كما قال-تعالى-: ﴿لِلظَّالِمِينَ مَعَابًا ۖ لَّيْسَ لَئِيمِينَ

فِيهَا أَحْقَابًا ۖ﴾ (٢٣) أي: مقيمين فيها فترات لا تنقطع، كلما انتهت

حقبة جاءت حقبة أخرى، إلى أن يشاء الله.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي: لا يجدون فيها طعاماً

ولا شراباً يبرد قلوبهم وأجسامهم .

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ الحميم هو: الماء الحار الشديد الحرارة،

والغساق: صديد أهل النار وعرقهم، والعياذ بالله من حال أهل النار

﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي: هذا الذي صار لهم من العذاب إنما هو جزاء

كفرهم، وتكذيبهم بآيات الله ورسوله والبعث والحساب، كما أخرج

الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾

قال: «وَأَفَقَ أَعْمَالِهِمْ».

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي: لم يصدقوا بأنهم

سيحاسبون، ويجزون على أعمالهم؛ لأنهم لم يؤمنوا بالدار الآخرة، بل قالوا: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ أي: كذبوا بكل ما جاءهم من الحق
 ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أي: أحصينا في كتاب الأعمال كل
 أفعال العباد: حسنها وسيئها، كثيرها وقليلها.

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي: يقال لأهل النار:
 ذوقوا هذا العذاب الذي أنتم فيه، فلن تجدوا إلا زيادة فيه.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الفصل يوم القيامة له وقت محدد، لا يعلمه إلا الله، كما
 قال-تعالى:- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا
 عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

- بيان أنه بعد نفخ إسرافيل في الصور يتغير الكون، فتتفتح
 السماء، وتسير الجبال، وتستقبل جهنم الطغاة والمجرمين
 والمكذبين لآيات الله ورسله.

- أن أعمال العباد محصاة عليهم، كما قال-ﷺ:- ﴿وَوُضِعَ

أَلَكِتَبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا
مَالِ هَذَا أَلَكِتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣٦﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٧﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٨﴾
وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٤٠﴾ جَزَاءً مِّنْ
رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٤١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ هذا بيان من الله ووعد منه أن للمتقين
يوم القيامة فوزاً بالنعيم المقيم، وقد فُسر هذا الفوز بأنه سيكون
﴿حَدَائِقَ﴾ أي: بساتين ﴿وَأَعْنَابًا﴾ أي: كروماً ﴿وَكوَاعِبَ
أَتْرَابًا﴾ والمراد بالكواعب: النساء الناهدات في الجنة، أما الأتراب:
فهنَّ الأقران في السن، كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن
عباس في قوله-تعالى-: ﴿وَكوَاعِبَ﴾ قال: «ونواهد
﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي: كأس خمر مملوءة
من خمر الجنة».

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ أي: لا يسمعون في الجنة

قولاً باطلاً ولا كذباً، أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة:
﴿لَغَوْاً وَلَا كِذْبًا﴾ قال: «لا باطلاً، ولا ماثماً» ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ
عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي: أعطاهم وجزاهم جزاءً كثيراً.

أحكام وفوائد الآيات:

- فضل التقوى، وما للمتقين الأبرار من الكرامة عند الله.
- تحريم اللغو وقول الباطل، وقد ذكر الله أن من صفات المؤمنين الأبرار إعراضهم عن اللغو، كما قال -ﷺ-: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].
- تحريم الكذب، وفيه قول رسول الله -ﷺ-: «ما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ
خِطَابًا﴾ ٣٧ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ٣٨ ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾ ٣٩ ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: قول الله- تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّٰدِقِينَ﴾، (رقم ٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، (رقم ٢٦٠٧).

قَدَّمْتُ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرْبًا ﴿٥٠﴾ .

بيان الآيات:

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ هذا بيان من الله

عن عظيم جلاله وسلطانه، وأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، خلقهما على غير مثال سابق، وكَوْنُهُما بقدرته وعظيم صنعه، وهو الرحمن الذي خلق الكون كله، وقَدَّرَهُ وأحكم صنعه.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لا أحد يسأله إلا إذا أذن له ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَكُ صَفًّا﴾ المراد بالروح: ملك من أعظم الملائكة يأتي يوم القيامة وحده صفًّا، وسائر الملائكة صفًّا.

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: لا تشفع الملائكة إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة .

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: قال قولاً صواباً ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي:

ذلك اليوم الذي يكون فيه الفصل هو اليوم الذي لا مرية فيه

﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا﴾ أي: طريقاً ومرجعاً يرجع

به إليه.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ هذا خطاب لكفار قريش

والمشركين الذين يكذبون بالبعث أن العذاب سيحل بهم قريباً إذا لم يتركوا شركهم ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: في ذلك

اليوم يعرض على كل امرئ ما عمله من خير أو شر

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ أي: يتمنى الكافر أن

يكون تراباً، وذلك حين يحكم الله بين الحيوانات بالعدل، فيأخذ للشاة الجلاء حقها من الشاة القرناء، ثم يقول الله لها: كوني تراباً، فتكون تراباً، فحينئذ يغطها الكافر، ويتمنى أن يكون مثلها، فيتخلص من العذاب.

أحكام وفوائد الآيات:

- شدة الموقف يوم القيامة حين تَصَفُّ الملائكة، وأمامها الروح، ولا يستطيعون الشفاعة لأحد إلا أن يأذن له الرحمن.
- أن ذلك اليوم هو اليوم الحق الذي لا مرأى فيه، وأن للعبد فرصة في الدنيا أن يتخذ طريقاً إلى الله، وذلك بعبادته وتوحيده وطاعته؛ ليكون ذلك ذخراً له في يوم الفصل بين الخلائق، ومحاسبتهم على أعمالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النازعات

مكية، وآياتها ست وأربعون آية

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّشِيطَاتِ ذُشًطًا ۝٢ وَالسَّيْبِحاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّيْبِقاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَيْنَا كُنَّا عِظَمًا نَحْرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ هذا قسم من الله-تعالى-بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار بشدة، فتغرقها أثناء النزاع، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ قال: «الموت» ﴿وَالنَّشِيطَاتِ ذُشًطًا﴾ هم الملائكة الذين يقبضون أرواح المؤمنين، وهم في أمان وراحة.

﴿وَالسَّيْبِحاتِ سَبْحًا﴾ أي: الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين.

أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ قال: «هي النجوم».

﴿فَالسَّيِّغَاتِ سَبْقًا﴾ قيل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، وبأرواح الكافرين إلى النار ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ قيل: هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بإذن الله ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ الراجفة: هي النفخة الأولى التي تمت كل شيء بإذن الله.

ثم ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ وهي النفخة الثانية التي تحيي كل شيء بإذن الله-تعالى-، وقيل: بينهما أربعون سنة، كما قال-تعالى-: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ قال: «النفخة الأولى، وقوله: ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قال: النفخة الثانية»، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في الآيتين قال: «هما الصيحتان، أما الأولى فَتُمِيتُ كل شيء بإذن الله، وأما الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله-تعالى-».

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: خائفة من هول ما ترى وتسمع.

كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى-:
﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قال: «خائفة ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ أي:

ذليلة منكسرة».

﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي: يقول المشركون والكفار المنكرون للبعث: هل نرد بعد موتنا إلى ما كنا عليه، فنرجع أحياء؟، يقولون ذلك على سبيل الإنكار، كقولهم: ﴿أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٩٨]. ﴿أَوِذَا كُنَّا عِظْمًا تَحِيْرَةً﴾ أي: كنا عظامًا بالية، هل نعود إلى الحياة؟، وهذا-أيضًا-إنكار منهم للبعث، وأخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿أَوِذَا كُنَّا عِظْمًا تَحِيْرَةً﴾ قال: «بالية» .

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: إذا عدنا إلى الحياة مرة أخرى سوف نخسر، وندخل النار كما قيل لنا، ثم ذكر-عَلَى-سهولة البعث عليه ورجوع الناس إليه، فقال-عز ذكره-: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي: نفخة واحدة.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي: يجتمع الخلائق قائمين أحياء على وجه الأرض، وسميت بالساهرة لأنهم حينئذ لا يسهرون فيها كما كانوا من قبل، كما قال-تعالى-: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]، كما أخرج عبد الرزاق بسند

صحيح عن قتادة في قوله- تعالى:- ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ قال: «فإذا هم يخرجون من قبورهم فوق الأرض، والساهرة: الأرض».

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الملائكة ينزعون أرواح بني آدم، فيذهبون بها إلى ما شاء الله، فيجد المؤمن راحة عند نزع روحه، ويقال له: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ٢٩ وَادْخُلِي جَنَّاتٍ ٣٠﴾ [الفجر: ٢٧: ٣٠].

- جهل المشركين وسفاهتهم في إنكارهم للبعث، ثم يقولون عند مشاهدة ما وعدوا به من الجزاء: ﴿يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِبَآئِتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ١٧ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ١٩ فَأَرَاهُ الْكُفْرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ٢٦﴾.

بيان الآيات:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ لما كان رسول الله -ﷺ- يعاني من

تكذيب قومه له بين الله له أن موسى قد عانى من قبله مع فرعون، وهذا كان أشد قوة من مشركي مكة، وقد أخذه الله والمراد: هل بلغك

حديث موسى مع فرعون؟

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ أي: كلمه بالواد

المقدس، أي: المطهر، واسم هذا الوادي: طوى، كما سبق ذكره.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أي: اذهب إليه بالرسالة، فقد

تكبر وعتا، وجاوز القدر في الكفر .

﴿فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ أي: أليس لك أن تتوب إلى الله،

وتطيعه وتترك الطغيان والعناد؟ ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾

أي: أدلك على طاعة ربك، فتخافه، وتتقيه، حتى تسلم من العذاب.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ أي: أراه العصا التي تحولت إلى ثعبان

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ ولكن فرعون كذب ما قاله له موسى، وعصى الله

جهراً ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ أي: أعرض عن الحق، وسعى في الأرض

بالفساد ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ أي: جمع الناس في بلاده ﴿فَقَالَ أَنَا

رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ أي: لا رب لكم سواي، وكان قد قال لهم من قبل:

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ أي: عذبه لادعائه

الربوبية والألوهية، وقد يكون المراد: أن الله عذبه في الدنيا بالغرق، ويعذبه في الآخرة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾ أي: عظة

وذكرى لمن يخشى الله -عز وجل-، ويخافه.

أحكام وفوائد الآيات:

- تسليية الله لرسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- بأن رسوله موسى قد عانى من قبله من فرعون.

- دعوة الله لرسوله إلى الصبر على معاناة قومه، حتى يحين الأجل الذي حدده الله لنصره عليهم.

- إثبات كلام الله لموسى -عليه السلام-، كما قال -عز وجل-: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

- أن الله عذب فرعون عذابين: عذاباً لادعائه الألوهية، وعذاباً لادعائه الربوبية، أو يكون المراد: أن الله عذبه في الدنيا بالغرق، وضياع ملكه، كما يعذب بعرضه على النار، كما قال -تعالى-: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

- أن وجود المعجزات لا يستلزم الإيمان، فقد رأى فرعون أعظم الآيات كالعصا واليد، ولم يؤمن.

﴿عَأْنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمُكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالِ أَرْسَلَهَا ﴿٣٢﴾ مَتَعًا لَّكُمْ وَ
لِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿عَأْنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ المخاطب هنا: منكرو البعث كمشركي مكة وغيرهم من الملحدين، والمراد: هل خَلَقَكُمْ بعد الموت أصعب في زعمكم من خلق السماء والأرض؟، فالذي خلقهما وخلق الكون كله قادر على إعادتكم بعد موتكم، لا تساوون شيئاً مما خلق، كما قال-تعالى:- ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال-عز ذكره:- ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

﴿بَنَاهَا﴾ أي: رفعها فوقكم تظلكم ﴿رَفَعَ سَمُكَهَا﴾ أي: أعلى

صنعها ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ أي: جعلها كاملة الخلق، مستوية لا عيب فيها، كما قال-تعالى:- ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [الملك:٣]، وأخرج آدم بن أبي إياس بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿رَفَعَ سَمُكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾ قال: «رفع بنيانها بغير عمد»^(١)، ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي: جعل ليلها مظلمًا، وجعل نهارها مضيئًا.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي: بسطها، وأوسعها لسكن الخلق فيها، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ قال: «ذكر خلق الأرض قبل السماء، ثم ذكر السماء قبل الأرض، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.»

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ أي: أخرج من الأرض العيون التي تتفجر بالماء، وأنبت فيها مختلف النبات لمنفعة الإنسان والحيوان ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أي: ثبتها في الأرض، وأرساها

(١) فتح الباري شرح البخاري، (٨ / ٦٩٠).

﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ والمراد: أن الله -عز وجل- لما بسط الأرض، ويسرها لسكن خلقه، جعل فيها العيون والأنهار، وأنبت فيها النبات بأنواعه، إنما كان لمنافع الإنسان في سكنه، وفي طعامه وشرابه، وأنعامه التي جعلها منفعة له، يركبها وينتفع من منتوجاتها ولحومها، فما أكفر الإنسان وهو يرى هذه النعم تتوالى عليه في كل لحظة من لحظات حياته، ثم ينكر على ربه قدرته في إعادته إلى الحياة مرة أخرى!، وهو يعلم أنه الخالق الذي لا خالق غيره، والقادر الذي لا قادر إلا هو.

أحكام وفوائد الآيات:

- وقوع البعث وكفر من ينكر ذلك، كما قال-تعالى-: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَشُبْعُنْ ثُمَّ لَنُنْبِتَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

- فضل الله على عباده بما هيأ لهم من المنافع والأسباب في حياتهم، وبما بيّنه لهم من الأحكام والبراهين؛ لكي يهتدوا، فلا يؤاخذهم بالعذاب.

- أنه أثبتت الدراسات الفلكية أنّ لمحور دوران الأرض عدداً من الحركات التي تستغرق أوقاتاً مختلفة يبلغ أقصرها عشرة أيام،

ويبلغ أطولها ١٨,٦ سنة من سِنِينَا^(١).

- أنه ثبت أنَّ كل الماء على سطح الأرض قد اندفع من داخل الأرض عبر ثورات البراكين، وتنقسم خزانات الماء تحت سطح الأرض إلى نوعين رئيسين كما يلي:

أ- خزانات ماء مالح أو شديد الملوحة، وهذا الماء المالح عادة يكون في أعماق بعيدة من سطح الأرض، ومن أمثلته: الماء المصاحب للنفط في مكانه.

ب- خزانات ماء قليل الملوحة إلى متوسط الملوحة: وهو ماء متجمع من ماء المطر النازل من السماء^(٢).

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَعَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ۖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ ﴿٤٤﴾ إِنَّكَ أَنْتَ مُنْذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ

(١) آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، (ص ٢١٧-٢٣٠).

(٢) آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، الصفحات: (٤٥١-٤٦٨).

يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾ .

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ أي: القيامة التي تسبقها النفخة

الثانية، فتطم كل شيء لهولها .

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ أي: يتذكر ما عمله من خير

وشر؛ لمعرفته أنه سوف يحاسب عليه في ذلك اليوم، كما قال-تعالى:-

﴿يَوْمَئِذٍ يَجْمَعُ يَوْمِئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]

﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ أي: أظهرت بارزة؛ ليعرفها الناس،

فيرى فيها الكافر مآله، ويرى المؤمن نعمة الله التي أنعم بها عليه،

فنجاه منها.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ أي: عتا وأعرض عن الحق ﴿وَعَاثَرَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا﴾ أي: قدمها على الآخرة ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي:

إن مصيره ومقامه في جهنم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى

النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ أي: خاف وقوفه بين يدي الله-ﷻ، ومنع

نفسه من اتباع شهواتها وهواها .

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي: فإن الجنة ستكون مصيره

ومقامه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ المراد: أن كفار مكة سألوا رسول الله - ﷺ - عن وقت قيام الساعة، استهزاء وسخرية.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَلَهَا﴾ أي: ليس لك السؤال عنها؛ لأن منتهى علمها عند الله، فلا تسأل عنها، وأخرج الطبري بسند صحيح عن عائشة قالت: «لم يزل النبي - ﷺ - يُسألُ عن الساعة حتى أنزل الله - تعالى -: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَلَهَا﴾.»

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ أي: إنما أنت مبلغ ومنذر للذين يؤمنون بها، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [يس: ١١] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أي: كأن الكفار حين يرون القيامة لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر عشية أو قدر الضحى.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الإنسان يتذكر في يوم القيامة ما قدمه من عمل يشفع له عند الله من هول ذلك اليوم، فالكافر يرى النار قد ظهرت له، فيغتم بسبب سوء مصيره ومقامه، وأما المؤمن فيحمد الله على حسن مقامه بعد أن نجاه منها.

- سوء عاقبة الطغاة الذي آثروا شهوات أنفسهم، ونسوا أمر ربهم.
- حسن عاقبة المؤمنين الذين منعوا أنفسهم من أهوائها وشهواتها.
- أن الله اختص نفسه وحده بعلم الساعة، كما قال -ﷺ-: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة عبس

مكية، وآياتها ثنتان وأربعون آية

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۝٥ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى ۝٩ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ .

بيان الآيات:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ هذا عتاب فيه لطف من الله لرسوله محمد -ﷺ-، وسببُ هذا العتاب: ما أخرجه الترمذي بسند

صحيح عن أم المؤمنين عائشة قالت: «أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله -ﷺ-، فجعل يقول: يا رسول الله! أرشدني، وعند رسول الله -ﷺ- رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله -ﷺ- يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأساً؟، فيقول: لا، ففي هذا أنزل»^(١).

ومعنى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ قطب في وجهه، وأعرض عنه.

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ المراد به عبد الله ابن أم مكتوم ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ أي: بما كان يريد سماعه منك من تعليمه أمراً من أمور دينه ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرَى﴾ أي: يتعظ فتنفعه الموعظة.

﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى﴾ ﴿فَأَنْتَ لَهُ وَتَصَدَّى﴾ أي: من كان له مال وغنى فأنت تصغي له، وتحادثه.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾ أي: ليس عليك أمر هدايته، فما أنت إلا رسول وعليك البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ أي: يطلب الهداية ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾

(١) السنن، (٤٣٢/٥)، كتاب التفسير، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وأخرجه أبو يعلى في المسند، (٤٣١/٥)، (رقم ٣١٢٣)، وسنده صحيح.

أي: يخاف الله ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أي: تعرض، وتتشاغل عنه ﴿كَلَّا﴾ كلمة ردع أو نهى، والمراد: لا تفعل مثل ما فعلت ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: هذه السورة أو آيات القرآن تذكرة وموعظة.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ أي: اتعظ به ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ أي: هذا القرآن الذي ينزل عليك يا نبينا محمدًا مدوّن في صحف مكرمة عند الله في اللوح المحفوظ، وهي مرفوعة عند الله أي: رفيعة القدر عنده ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ أي: مصونة من الدنس والعبث.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ أي: بأيدي الملائكة الذين ينسخون هذه الصحف من اللوح المحفوظ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ أي: كرمهم ربهم؛ لصدقهم وطاعتهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- عتاب الله لنبيه ورسوله محمد-ﷺ- عتابًا لطيفًا، وفي هذا تعليم لأُمتِه في وجوب المساواة بين الناس، وعدم التفريق بينهم، وأن دين الإسلام دين العدل والمساواة، لا فرق فيه بين غني وفقير، وقوي وضعيف، وسيد ومسود إلا بالتقوى؛ لقوله-ﷻ-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

- أمانة رسول الله - ﷺ - وصدقه حين بين عتاب ربه له، كما نزل عليه دون زيادة أو نقصان، وقد ضرب رسول الله - ﷺ - أروع مثال في الأدب، والاستجابة لتوجيه ربه، فقد كان يدني ابن أم مكتوم، ويقول له: «مرحبا بالذي عاتبني فيه ربي»^(١)، وقد ولاه على المدينة مرتين^(٢).

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّيْلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَيْنًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَعَّا لَكُمُ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ أي: لعن الإنسان المكذب بالبعث
 ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي: من أي شيء كان خلق هذا الكافر
 حتى يتكبر ويكفر؟ فقد خلقه الله من نطفة، وهي ماء مهين، ثم

(١) تفسير البغوي، (ص ١٣٨٢)، والجامع لأحكام القرآن، (١٩/٢٣١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة، باب: في الضرير يولى، (رقم ٢٩٣١)، وصححه الألباني.

قدَّر تكوينه، وخلقَه، ورزقه، ويسر له الخروج إلى الدنيا بعد أن أصبح بشراً سوياً، وهياً له أسباب الحياة، وهو معنى قوله-تعالى:-
﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أي: بعد أن تكامل خلقه واستوفى أجله، جعل له قبراً يستر عورته، ويوارى فيه، وفي هذا كرامة له، وتمييز له عن الحيوانات.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ أي: يحييه بعد موته، كما قال-ﷻ:-
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾
[الروم: ٢٧].

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ﴾ أي: لم يفعل هذا الكافر ما أمر به من توحيد الله وطاعته.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ لما بين-ﷻ- إنكاره على الإنسان الذي يكفر بآيات الله، ويكذب رسوله، رغم ما أنعم الله به عليه من نعمه، أمره أن يتفكر، فينظر إلى طعامه الذي لم يكن ليحصل عليه لولا قدرة الله، ونعمته عليه، وتيسيره له .

﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ أي: أنزلنا المطر الكثير ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا

﴿الْأَرْضُ شَقًّا﴾ أي: شقت بالحرث شَقًّا ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ أي: قمحًا وغيره من أنواع الحبوب .

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ العنب معروف، والقضب: القْتُ؛ لكونه يقضب، أي: يقطع عدة مرات، وأخرج الطبري بسند صحيح عن الحسن البصري في قوله-تعالى-: ﴿وَقَضْبًا﴾ قال: «العلف».

﴿وَزَيْتُونًا﴾ أي: الزيتون المعروف ﴿وَنَخْلًا﴾ أي: النخيل المعروفة ﴿وَحَدَاقٍ غُلْبًا﴾ أي: بساتين عظيمة الأشجار ﴿وَفَكِهَةً﴾ أي: ثمار شجر العنب والتين وغيرهما من أنواع الفاكهة ﴿وَأَبًّا﴾ أي: تبنًا لطعام البهائم.

وأخرج ابن خزيمة بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كان عمر يدعوني مع أصحاب محمد-ﷺ-، فيقول لي: لا تكلم حتى يتكلموا قال: فدعاهم، فسألهم عن ليلة القدر، فقال: رأيتم قول رسول الله-ﷺ-: «التمسوها في العشر الأواخر أي ليلة ترونها؟»، قال: فقال بعضهم: ليلة إحدى، وقال بعضهم: ليلة ثلاث، وقال آخر: خمس، وأنا ساكت قال: فقال: ما لك لا تتكلم؟، قال: قلت: إن أذنت لي يا أمير المؤمنين تكلمت، قال: فقال: ما أرسلت إليك إلا لتتكلم، قال: فقلت: أحدثكم برأيي؟، قال: عن ذلك نسألك، قال: فقلت: السبع،

رَأَيْتَ اللَّهَ - رَبِّكَ - ذَكَرَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَمِنَ الْأَرْضِ سَبْعًا، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ
 مِنْ سَبْعٍ، وَنَبَتِ الْأَرْضُ سَبْعَ، قَالَ: فَقَالَ: هَذَا أَخْبَرْتَنِي مَا أَعْلَمُ، أَرَأَيْتَ
 مَا لَا أَعْلَمُ؟، مَا قَوْلُكَ: نَبَتِ الْأَرْضُ سَبْعَ؟، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ:
 ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ وَعَبَبْنَا وَقَضَبًا ۖ ۝٢٨
 وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۖ ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۖ ۝٣٠ وَفَلَكَهَةً وَأَبًّا ۖ﴾، وَالْأَبُّ:
 نَبَتِ الْأَرْضُ مِمَّا يَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ، وَلَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ، قَالَ: فَقَالَ عَمْرُ:
 أَعْجَزْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي لَمْ تَجْتَمِعْ شُئُونُ رَأْسِهِ
 بَعْدَ؟، إِنْ - وَاللَّهِ - مَا أَرَى الْقَوْلَ إِلَّا كَمَا قُلْتَ، وَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَمْرُتُكَ أَلَّا
 تَكْلُمَ حَتَّى يَتَكَلَّمُوا، وَإِنْ أَمَرْتُكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ^(١)، وَأَخْرَجَ الطَّبْرِي
 بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿وَأَبًّا﴾ قَالَ: «الثَّمَارُ الرُّطْبَةُ».

﴿مَتَّعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ أَي: هَذِهِ النِّبَاتَاتُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ
 جَعَلَهَا طَعَامًا لَكُمْ وَلِحَيَوَانَاتِكُمْ، وَأَخْرَجَ الطَّبْرِي بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ
 الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَوْلَهُ: ﴿مَتَّعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ قَالَ: «مَتَّعًا
 لَكُمْ الْفَاكِهِةَ، وَلِأَنْعَمَكُمْ الْعَشْبَ».

أحكام وفوائد الآيات:

- نعم الله على الإنسان منذ أن كان نطفة إلى أن يصبح بشرًا سويًا،

(١) الصحيح، (٣/ ٣٢٢-٣٢٣)، (حديث ٢١٧٢)، قال محققه: «إسناده صحيح».

ثم يستوفي أجله، ومن هذه النعم: تيسير سبل الحياة له، ودعوته للنظر والتأمل في نعم الله عليه، كإنزال المطر، وإنبات النبات لطعامه ولحيواناته.

- أن طعام الإنسان نعمة من الله-تعالى-، وآية عظيمة تدل عليه- سبحانه-، فقد ذكرت الآيات أهم النباتات التي تُكوّن الطعام الرئيس لكل من الإنسان وأنعامه:

أ- فكلمة ﴿حَبًّا﴾ تشمل جميع أنواع الحبوب من ذوات الفلقة الواحدة، وتسمى (العائلة النجيلية)، وهي أهم عائلة نباتية بالنسبة لكل من الإنسان والحيوانات الآكلة للأعشاب كالأنعام.

ب- ﴿وَعِنَبًا﴾ يشير إلى رتبة كاملة من نباتات الثمار المهمة، هي رتبة العنابيات.

ج- ﴿وَقَضْبًا﴾ إشارة إلى العائلة البقولية، وهي ثاني أكبر عائلة نباتية بذرية يعتمد عليها كل من الإنسان وأنعامه في الطعام.

د- ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ يشير إلى عائلتين من أهم العائلات النباتية، هما العائلة الزيتونية، والعائلة النخيلية.

هـ- ﴿وَحَدَاقٍ غُلْبًا﴾ تشمل الغالبية الباقية من أنواع

النباتات، وبخاصة نباتات الظل، والزينة،
والأخشاب^(١).

- بيان العجب من هذا الإنسان الذي يعرف نعم الله عليه، ثم
يجدها، فيكفر بآيات الله، ويكذب رسوله، وينكر البعث، كما
قال-تعالى:- ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ
الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس ٧٧-٧٨].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ
وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ
﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاكِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
عَلِيهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ
﴿٤٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ لما ذكر الله -عز وجل- نعمه على الإنسان
ذكره بما سيؤول إليه عند مجيء الصاعقة، وهي النفخة الثانية،

(١) مقالات الدكتور زغلول النجار، (ص ٦٨٠).

حيث تصحُّ الآذان، فتصمها؛ لهولها وعظمتها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ أي: يوم تجيء الصاخة يهرب المرء من موالاة أخيه ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ ٣٥ ﴿وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: لكل منهم شأن يشغله عن أقرب الناس إليه، وأعزهم عنده، وقيل: في تقديم الأخ هنا في الفرار على الأبوين والزوجة والولد أنه للإشارة إلى عظم هذا اليوم، أي: أن المرء يفر من أخيه بل من أبويه، بل من صاحبتة وبنيه^(١).

أخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس عن النبي -ﷺ- قال: «تحشرون حفاة عراة غرلا»، فقالت امرأة: أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض؟، قال: «يا فلانة! ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»^(٢).

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي: مضيئة ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾

أي: مسرورة ومستبشرة بعدما علمت بنجاتها من هول ذلك اليوم، وما أعد لها من النعيم.

(١) تفسير الفخر الرازي، (٦٥/٣١)، وتفسير البيضاوي، (٥٧/٢).

(٢) السنن، (٤٣٢/٥ - ٤٣٣)، كتاب التفسير، باب سورة عبس، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: يغطها دخان وغبار
 ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ أي: تغشاها ظلمة، وأخرج الطبري بسند حسن
 عن ابن عباس قوله: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يقول: «تغشاها ذلة».

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ﴾ أي: هؤلاء هم الذين كفروا،
 وفجروا في الدنيا، فاستحقوا ما ينالهم من الذل والهوان والعذاب.

أحكام وفوائد الآيات:

- حالة الإنسان يوم تقوم الساعة، وانشغاله بنفسه، فلا ينظر إلى من
 هم أقرب الناس إليه في الدنيا؛ لأن كل واحد منهم منشغل بنفسه،
 فلا يسأل عن الآخر.
- أن الإنسان يكون في ذلك اليوم على قسمين: إما مستبشر بما أنعم
 الله به عليه من الكرامة جزاء عمله في الدنيا، ورحمة الله له، وإما
 ذليل تعلوه الكآبة؛ لما يراه من مصيره لقاء كفره وفجوره في الدنيا.
- أن ثمرة الإيمان والتقوى تظهر في الموقف نوراً على الوجه وإشراقاً
 له وإضاءة، وعاقبة الكفر والفجور تظهر ظلمة وسواداً على الوجه
 وغباراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التكوير

مكية، وآياتها تسع وعشرون آية

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُيِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ ۝١٤﴾ .

بيان الآيات:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي: أظلمت، وذهب ضياؤها، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يقول: «أظلمت» ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي: تهاوت على الأرض، وأخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة، قوله: ﴿كُوِّرَتْ﴾ قال: «ذهب ضوءها» ﴿انْكَدَرَتْ﴾ تناثرت.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: اضطربت، وأزيلت عن مواقعها،

فأصبحت هباءً منثورًا ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: النوق الحوامل أهملها أهلها، وتركوها، أخرج الطبري بسند جيد عن أبي بن كعب: ﴿عُطِّلَتْ﴾ قال: «إذا أهملها أهلها».

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جمعت للحشر؛ ليققتص للمظلوم منها من الظالم، ثم تموت.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: تأججت نارًا، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة قال: «ذهب ماؤها، فلم يبق فيها قطرة».

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: قرنت كل نفس بقرينها، فيقرن المؤمن مع المؤمنين؛ لقوله-تعالى-: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨]، ويقرن الكافر مع الكافرين، كما قال-تعالى-:

﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٢٢]، وقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾

[الواقعة: ٩]، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: «الأمثال من الناس جمع بينهم».

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِلَتْ﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿الموءودة: هي الجارية التي كان العرب في جاهليتهم يدفنونها حية خشية العار،

فتسأل يوم القيامة: لماذا قتلت؟، أو هي تسأل: لماذا قتلها أهلها؟.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أي: بسطت صحائف الأعمال، فيعرف كل امرئ عمله ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي: قلعت ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي: أوقدت للكافرين ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: دنت، وأعدت للمتقين الأبرار.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ هذا هو الجواب، أي: إذا حدثت هذه الوقائع من تكور الشمس وغيرها من آيات الكون، فحينئذ تعلم كل نفس ما عملته من خير أو شر، وأحضر لها؛ لتراه كما هو، كما قال-تعالى:- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

أحكام وفوائد الآيات:

- الوقائع الكونية التي تحدث عند بداية وقوع القيامة، وفي ذكر هذه الوقائع تحذير للإنسان من الشرك والمعاصي وأنواع الظلم للأبرياء.
- حث ذوي العقول والبصائر أن يعرفوا أن هذه الوقائع مقدمة ليوم شديد، لن ينفع المرء فيه إلا عمله الذي عمله في الدنيا.

- أن في قيعان المحيطات والبحار شبكة هائلة من الصدوع تتركز عند مرتفعات وسط المحيط، حيث يندفع منها اللافا البازلتية في درجات حرارة عالية تصل إلى ألف درجة مئوية، فتظهر كأنها كتل من النيران الهائلة تحت سطح الماء، حيث إن الماء لا يستطيع أن يطفئ جذوتها، ولا الحرارة على شدتها تستطيع أن تبخر الماء؛ لكثرتة، ولولا هذه الصدوع لانفجرت الأرض منذ أول لحظة لتكوينها نتيجة لما يحدث في باطن الأرض من تفاعلات نووية وكيميائية هائلة^(١).

- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الشمس والقمر مُكْوَرَان يوم القيامة»^(٢).

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۖ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۖ ١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۖ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۖ ١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۖ ٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۖ ٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ۖ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ ٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۖ ٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

(١) ملامح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: في مجال علوم البحار، مجلة الإعجاز العلمي: العدد ٢٧.

(٢) صحيح البخاري، باب بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر، (رقم ٣٢٠٠).

لِّلْعٰلَمِيْنَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ اَنْ يَّسْتَقِيْمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشٰءُوْنَ اِلَّا اَنْ يَّشَاءَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٢٩﴾ .

بيان الآيات:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنُوسِ﴾ لما ذكر الله -ﷻ- الوقائع الكونية التي ستكون مقدمة ليوم القيامة، قال- عز ذكره-: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنُوسِ﴾ أي: أقسم، و(لا) للردّ على ما يعتقده المخاطب، و(الخنس) النجوم التي تخنس بالنهار، وتظهر في الليل.

﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ أي: التي تظهر في الليل ثم تستتر في مغيبها، وقيل: الخنس الجوار الكنس هي: الكواكب الخمسة: زُحَل، والمشتري، وعطارد، والمريخ، والزهرة؛ لأنها تخنس في مجراها، وتكنس أي: تستتر، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن علي بن أبي طالب في قوله-تعالى-: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنُوسِ﴾ ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ قال: «هي النجوم تخنس في النهار، وتكنس في الليل».

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي: أقبل ظلامه، أو أدبر ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: أضاء، وأصبح نهارًا .

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا هو جواب القسم، والرسول

الكريم: جبريل-عليه السلام-، والمراد: أن هذا القرآن الذي نزل على محمد هو تبليغ من رسول كريم، هو جبريل.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي: ذو قوة شديدة، وهو عند الله مكين، أي: ذو مكانة ومنزلة ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ أي: مطاع في السماوات، وهو مؤتمن على الوحي ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ المراد به محمد-ﷺ-، وهذا تكذيب للمشركين الذين اتهموه بالجنون.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ أي: رأى محمد-ﷺ- جبريل الذي يأتيه بالوحي على صورته التي خلقه الله عليها، له ستمئة جناح، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ قال: «كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّ الْأَفُقَ حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ».

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أي: ليس نبي الله ورسوله محمد بمتهم فيما أنزله الله إليه من الوحي والقرآن، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قال: «مَا يَضُنُّ عَلَيْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ»، وأخرج عبد الرزاق بإسناد صحيح عن إبراهيم النخعي قال: «الظنين: المتهم، والضنين: البخيل»^(١).

(١) فتح الباري، لابن حجر، (٨ / ٦٩٤).

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: ما هذا القرآن بقول

شيطان رجيم كما تزعمون أيها المشركون، وإنما هو كلام الله، أنزله من اللوح المحفوظ، وحرسته الملائكة من الشياطين ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أي: فأين يذهب تفكيركم وعقولكم فيما تقولون عن القرآن وعن محمد من الكذب؟.

ثم قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: إن هذا القرآن موعظة وهدى للعالمين، وزجرٌ لهم عن المعاصي.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ أي: من يشاء أن يتبع الحق ويهتدي فعليه أن يهتدي بالقرآن.

ثم بيّن أن الهداية منه -ﷺ-، وليست بيد أحد من خلقه، كما قال -تعالى-: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- قسم الله -ﷻ- بآياته ومخلوقاته، وقسمه عظيم في ذاته، وفي المقسم عليه.

- نبوة ورسالة رسول الله -ﷺ-.

- تنزيه رسوله محمد -ﷺ- عما يفتره المشركون.

- رؤية رسول الله - ﷺ - لجبريل على هيئته الملائكية التي خلقه الله عليها، وهي الرؤية الأولى، كما قال - تعالى -: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝ ﴾ [النجم: ٥: ٩]، أما الرؤية الثانية فكانت عندما عرج به - عليه الصلاة والسلام - إلى السماء؛ لقوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۝ ﴾ [النجم: ١٣: ١٥].

- أمانة رسول الله - ﷺ - فيما أوحاه الله إليه لإبلاغه إلى الناس كافة.

- بيان أن القرآن كلام الله الذي أنزله من اللوح المحفوظ محروس من الشياطين، وأن الله أنزله ذكرًا وهداية للعالمين، لمن أراد منهم أن يهتدي به إلى الطريق القويم، ويستقيم عليه.

- اكتشف علماء الفلك أنَّ بعض النجوم العادية تصدر وابلًا من الأشعة السينية، ولم يجدوا تفسيرًا علميًا لذلك إلا وقوعها تحت تأثير أجرام سماوية غير مرئية ذات كثافات خارقة للعادة، ومجالات جاذبية عالية الشدة؛ وذلك لأن النجوم العادية ليس في مقدورها إصدار الأشعة السينية من ذاتها، وقد سُمِّيت تلك النجوم الخفية باسم الثقوب السود (Black Holes) - التعبير الأبلغ: الخنس الكنس -، وقد سميت بالثقوب لقدرتها الفائقة على ابتلاع

كل ما تمر به، أو يدخل في نطاق جاذبيتها من مختلف صور المادة والطاقة، من مثل الغبار الكوني، والغازات، والأجرام السماوية المختلفة، ووصفت بالسواد لأنها معتمدة تماماً؛ لعدم قدرة الضوء على الإفلات من مجال جاذبيتها، وقد اعتبرت الثقوب السود مرحلة الشيخوخة في حياة النجوم^(١).

- تمكَّنت العلوم المكتسبة من التعرف على عدد من القوى التي تمسك بأجرام السماء، ومنها: قوة الجاذبية، وهي تمسك بمختلف أجرام السماء الدنيا على الأقل، وتجمعانها من الكواكب وأقمارها، والنجوم وتوابعها^(٢).

- ثبوت حقيقة علمية، وهي أنَّ النهار أو الصبح ما هو إلا رئة كبيرة تتنفس تنفساً حقيقياً، وأنَّ أنفاسه ما هي إلا حركة جزيئات الهواء بصورة دائمة، صعوداً وهبوطاً؛ نظراً لارتفاع مستويات الطاقة نهاراً، وانخفاضها ليلاً^(٣).

- بيان أنَّ مشيئة الله سابقة لمشيئة العبد، فلا يقع في ملك الله-تعالى- إلا ما يريد.

(١) آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، (٢١١-٢٣٢).

(٢) آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، (٥٦٣-٥٧٤).

(٣) الإعجاز العلمي في إثبات حقيقة تنفس الصبح، بحث مقدم للمؤتمر الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (ص ١٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الانفطار

مكية، وآياتها تسع عشرة آية

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

بيان الآيات:

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ أي: انشقت عند قيام الساعة ﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ أي: تساقطت
﴿وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي: اختلط بعضها ببعض، ففارت مياهها، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِّرَتْ﴾ قال: «فُجِّرَ عَذْبُهَا فِي مَالِحِهَا، وَمَالِحُهَا فِي عَذْبِهَا» ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي: قلبت، وأخرج من فيها من

الأموات».

﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ أي: بعد انفطار السماء، وانتثار النجوم، وتفجر البحار، وتبعثر القبور، تعلم كل نفس حينئذ ما قدمت من العمل، وما أخرته منه، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ قال: «ما قدّمت من الخير، وأخّرت من حق الله عليها، ولم تعمل به».

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ المخاطب بهذا منكر البعث والحساب، والمراد: ما الذي جعلك تغتر، فتكفر بربك؟، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ قال: «شيء ما غرّ ابن آدم، هذا العدو الشيطان».

﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ من نطفة ﴿فَسَوَّيَكَ﴾ أي: كونك في بطن أمك ﴿فَعَدَلَكَ﴾ أي: جعلك سوي الخلق، وأسبغ عليك نعمه، ثم تكفر به ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أليس هو الذي صوّرك في أحسن صورة، وجعل لك شبهاً بأمك أو أبك أو خالك، ولو شاء لجعلك في أسوأ الصُّور وأقبحها؟، أليس هذا هو الله الذي يستحق أن يطاع ويعبد؟.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ أي: ليس الأمر كما تزعمون بأنه

ليس هناك بعث ولا نشور، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:- ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قال: «بالحساب».

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا

تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: إن عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم، ويكتبونها، ويحصونها عليكم، فلا يخفى عليهم منها شيء، فلا تؤذوهم بالأعمال السيئة.

أحكام وفوائد الآيات:

- الوقائع الكونية وقت قيام الساعة، وما يترتب على ذلك من بسط صحائف الأعمال؛ لترى كل نفس ما قدمته من عمل كان واجباً عليها، وما أخرته منه.
- التنديد بالغرور والتنكر لنعم الله على العبد في خلقه من العدم، وفي تسويته وتصويره في أحسن الصور.
- التحذير من التكذيب بيوم القيامة.
- بيان تغير نظام الكون عند قيام الساعة، ومن ذلك: تَشَقُّقُ السماء، وتفجير البحار.
- تقرير عقيدة كتابة الأعمال: حسناتها وسيئها، والحساب بمقتضاها

يوم القيامة، بواسطة مَلَكَيْنِ كريمين على كل إنسان مكلف^(١).
 - وجود الملائكة الذين يحفظون ويكتبون أعمال العباد،
 ويحصونها، وما يجب من إكرامهم، وعدم إيذائهم بالأعمال
 السيئة.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾
 يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
 الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ
 لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ هذا وعد من الله للأبرار بالنعيم، وهم
 الذين وحدوا الله، وعبدوه، وأطاعوه واجتنبوا معاصيه ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ
 لَفِي جَحِيمٍ﴾ وهذا وعد آخر للفجار بأن لهم الجحيم، وهم الذين
 عصوا الله، واتبعوا أهواءهم ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: يصلون
 الجحيم يوم الحساب والجزاء

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ أي: لن يغيبوا عن هذا العذاب لحظة

واحدة.

(١) أيسر التفاسير، (٤/٣٧٤).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ هذا تعظيم لشأن هذا اليوم، وما فيه من الأهوال ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ أي: لا يملك أحد نفعاً لأحد، فلا يشفع قريب لقريبه، ولا صديق لصديقه؛ لأن الأمر يومئذ بيد الله، وتحت مشيئته وتدبيره وتصرفه، كما قال -ﷺ-: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الناس يوم القيامة فريقان، الفريق الأول: الأبرار، وهؤلاء أصحاب النعيم؛ لأنهم أطاعوا الله، وعبدوه، واجتنبوا معاصيه، أما الفريق الثاني فهم الفجار، وهم على النقيض من الأبرار؛ لأنهم عصوا الله، وكفروا بآياته، وكذبوا رسوله.
- وجوب تعظيم يوم الدين؛ لما فيه من نشر الأعمال، وحساب العباد، وأن أحداً لا ينفع أحداً يوم القيامة، فلا يشفع قريب لقريبه، ولا صديق لصديقه؛ لأن الأمر كله بيد الله.
- بيان حُكْمِ الله في أهل الموقف؛ إذ هم ما بين بار صادق فهو في نعيم، وفاجر كافر فهو في جحيم.
- أن المسؤولية والتبعية فردية، فلا يملك أحد لأحد شيئاً، أو ينفعه بشيء يوم الحساب والجزاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المطففين

مكية، وآياتها ست وثلاثون آية

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ١ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ
 ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ
 مَبْعُوثُونَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦﴾.

بيان الآيات:

أخرج ابن ماجة بسند حسن عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال:
 «لما قدم النبي -ﷺ- المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله-
 سبحانه-: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك»^(١).

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف في الكيل: بخسه، فالمطفف يزيد
 في الكيل إن كان له، وينقص منه إن كان لغيره، قيل: إن أهل المدينة
 كانوا فيما مضى من أسوأ الناس كيلاً، فكان لأحدهم مكيالان: مكيال
 يبيع به، ومكيال يشتري به، فلما نزلت هذه الآية أصبحوا من أفضل
 الناس في تعاملهم إلى هذا اليوم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
 يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: إذا اكتالوا من الناس استوفوا منهم بالزيادة ﴿وَإِذَا

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن - التجارات، باب التوقي في الكيل والوزن، (رقم ٢٢٢٣)، وحسنه البوصيري،
 مصباح الزجاجة، (١٨١/٢)، وحسنه الألباني، صحيح ابن ماجة، (١٩/٢).

كَالْوُحْمِ أَوْ وُزْنُهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٩﴾ أي: إذا كالوا أو وزنوا لغيرهم أنقصوهم.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ﴿١٠﴾ هذا تهديد ووعيد، والمراد: ألا يظن أولئك الذين يبخسون الناس حقوقهم في الكيل والوزن أنهم مبعوثون ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١١﴾ أي: يوم الحساب والجزاء، فيقتص كل مظلوم من ظالمه ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢﴾ أي: ألا يخافون من ذلك اليوم الذي يقف فيه العباد بين يدي ربهم للحساب والجزاء، وكل واحد منهم يتمنى أنه ما عمل من سوء، وأخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-: أن النبي-ﷺ قال: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»^(١).

أحكام وفوائد الآيات:

- تحريم التطفيف في الكيل أو الوزن، وفي كل عمل يتعامل به الناس مع بعضهم، كما قال-تعالى-: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

(١) الصحيح، (٨/٥٦٥)، (حديث ٤٩٣٨)، كتاب التفسير، سورة المطففين، باب: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

- التهديد والوعيد لكل من ينقص الكيل أو الوزن.
- هول يوم القيامة وعِظَمِهِ، حين يقف العباد بين يدي ربهم حفاة عراة غرلاً، كما رواه ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»^(١).

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَذِي لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكْذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَذِي لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ السجين: المكان الضيق،

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله- تعالى-: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، (رقم ٤٩٣٨)، ومسلم في كتاب الجنة، باب: في صفة يوم القيامة، (رقم ٢٨٦٢).

وقيل: هو أسفل الأرض السابعة، أو في المنزلة السفلى، أو في جهنم.

﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً إن كتاب الفجار لفي سجين

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ أي: كتاب تدون

فيه أعمال الفجار وأقوالهم السيئة، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ قال: «كتاب مكتوب».

﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويل لهم مما سوف يصيرون إليه

من الضيق، كما قال-تعالى:- ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ

دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: ويل للذين لا يصدقون بيوم

القيامة ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي: ما يكذب بهذا

اليوم إلا فاجر وظالم ومعتد على حرمان الله، وآثم في فعل المعاصي،

قيل: المراد بهذا الوليد بن المغيرة وأبو جهل، وهو عام في كل من كانت

هذه صفته.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: إذا يتلى عليه

القرآن قال: هذا أحاديث القرون الأولين وأباطيلهم.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ كلا، ليس

القرآن أساطير الأولين كما زعموا كذبًا، وإنما ران على قلوبهم، أي: غطاها أثر معاصيهم وخطيئاتهم التي كسبوها، وأخرج ابن ماجة بسند حسن عن أبي هريرة، أن رسول الله - ﷺ -، قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نَكْتَةٌ سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(١).

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ أي: حقا إن هؤلاء الفجار محجوبون عن رؤية ربهم يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي: مقيمون فيها ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءُ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: يقول لهم خزنة جهنم: هذا هو العذاب الذي كنتم تستهزؤون به، وتكذبون رسل الله بما ينذرونكم به.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان أن كتاب الفجار في سجين، تكتب فيه أقوالهم وأعمالهم السيئة.

- الويل للذين يكذبون بيوم القيامة، وأنه لا يكذب بهذا اليوم إلا كل معتد على حرمان الله، آثم في أعماله وأقواله.

(١) السنن، الزهد، باب ذكر الذنوب، (حديث ٤٢٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة، (٤١٧/٢).

- أن الخطايا والذنوب تحجب القلوب عن قبول الحق، وفي هذا روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع، واستغفر، وتاب، سُقِلَ قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله - تعالى - ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).
- ثبوت رؤية الله - عز وجل - يوم القيامة لأهل الجنة الأبرار، ويحرم منها أهل الشقاوة، والعياذ بالله.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُ مِنَ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

لما ذكر الله - عز وجل - كتاب الفجار ذكر كتاب الأبرار ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب: من سورة المطففين، (رقم ٣٣٣٤)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب: ذكر الذنوب، (رقم ٤٢٤٤)، وصححه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي. وسُقِلَ أو صُقِلَ قلبه معناهما واحد أي: نقِيَ قلبه.

الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٠﴾ كَلَّا ﴿١١﴾ أَي: حَقًّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ،
والأبرار: هم الذين خافوا الله واتقوه، فكانت كل أعمالهم برًّا وطاعة
له، فكتابهم في المنزلة العليا، قيل: هي السماء السابعة، وقيل: الجنة،
كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:-
﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قال: «الجنة».

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ تعظيم لشأنه ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي:
معلّم بأسمائهم ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشهد المقربون في كل
سماء عملهم، فيحفظه الله لهم حين يلقونه.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ هذا توكيد لما للأبرار من النعيم المقيم
يوم يقدمون عليه ﴿عَلَى الْأَرْآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾ أي: على السرر تحت
الحبال، ينظرون إلى ربهم، خلافاً للفجار الذين حجبتهم سيئاتهم
وخطاياهم عن رؤية ربهم.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي: تعرف في وجوههم إذا
رأيتهم علامات السرور والفرح، بما أكرمهم به ربهم في ذلك المقام
العظيم ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ أي: تكون سقياهم من
الرحيق، وهو خمر الجنة.

﴿خِتَمُهُ مِسْكَ﴾ أي: آخر طعم هذا الشراب المسك، وأخرج

الطبري بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود: ﴿مَخْتُومٌ﴾ قال: «ممزوج، و﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾ قال: طعمه وريحه»

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي: في هذا النعيم الذي أعدّه الله للأبرار، فليبادر المتبادرون الذين يحبون أن تكون لهم هذه الكرامة العظيمة.

﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ أي: مزاج الرحيق من شراب يسمى تسنيمًا، وهو أشرف شراب أهل الجنة، وأخرج الطبري بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: «عين في الجنة، يشربها المقربون، وتمزج لأصحاب اليمين»، وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن عباس قال: «التسنيم: يعلو شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين، ويمزج لأصحاب اليمين»^(١).

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يشرب منها المقربون صرفًا بدون مزج.

أحكام وفوائد الآيات:

- ما أعد الله للأبرار، وهم أهل الطاعة والصدق والإخلاص من الكرامة العظيمة، ومن ذلك: نظرهم إلى وجه ربهم، وهو أعظم ما يتمناه

(١) ذكره وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (٦/٣٢١).

أهل الجنة.

- التوكيد على حقيقة البعث والحساب والجزاء، وأن الأعمال الصالحة تحقق لأصحابها النعيم، وهذا يقتضي التنافس في العمل الصالح؛ للوصول إلى تلك الدرجة العظيمة درجة الأبرار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ هذا بيان من الله -عز وجل- عن نفر من كفار قريش، كانوا يستهزئون بالمؤمنين، وهم الوليد بن المغيرة المخزومي، وعقبة بن أبي معيط، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل السهمي، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، والعاص بن هشام^(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٢٦٧/١٩).

﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَصْحَكُونَ﴾ أي: كانوا يستهزئون ويسخرون من أصحاب رسول الله - ﷺ -، كخباب، وصهيب، وبلال، وعمار^(١).

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ أي: إذا رأوهم يذهبون إلى رسول الله - ﷺ - تغامزوا بينهم استهزاء بهم.

﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ أي: إذا ذهبوا إلى أهلهم وأصحابهم ﴿أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ أي: يتفكهون بالاستهزاء والسخرية بالمؤمنين، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله - تعالى - : ﴿أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ قال: «معجبين».

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: إذا رأى هؤلاء المجرمون أصحاب رسول الله - ﷺ - ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ أي: في إيمانهم بالإسلام، واتباعهم لرسول الله - ﷺ -.

﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾ أي: لم يوكلوا بمراقبتهم، وإنما هدفهم إيذاؤهم، والتنقص منهم.

﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: برسول الله - ﷺ -، وصدقوه، واتبعوه.

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١٩/٢٦٧).

﴿مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ أي: يضحكون بما يصيبهم من العذاب والمهانة، مقابل ما كان يسخرون منهم، ويستهزئون بهم في الدنيا.

﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينظرون إلى الله الذي رضي عنهم، وأرضاهم، وأكرمهم في دار كرامته.

﴿هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: هل تم الجزاء للكفار مقابل ما كان يفعلونه من السخرية بالمؤمنين؟، والجواب: نعم، وذلك بما أعدّه الله لهم من العذاب المقيم.

أحكام وفوائد الآيات:

- الوعيد للمجرمين الذين كانوا يستهزئون بالمؤمنين، وهذا حكم عام لكل من يسخر أو يستهزئ بأولياء الله المتقين، فيتنقصهم في دينهم أو يؤذيهم.

- أن الجزاء من جنس العمل، فالمجرمون الذين يضحكون من المؤمنين في الدنيا سوف يضحك منهم المؤمنون في الآخرة؛ لأن الله جازاهم بالنعيم لقاء صبرهم، وتحملهم لأذى الفجار، كما قال- تعالى:- ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا

- حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ
الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ [المؤمنون: ١٠٩-١١١].
- أن المؤمنين ينظرون يوم القيامة إلى ربهم خلافاً للكافرين
الذين يحجبون عنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الانشقاق

مكية، وآياتها خمس وعشرون آية

- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ
مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾
يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَينْقَلِبُ
إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾
فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ
مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا
﴿١٥﴾﴾ .

بيان الآيات:

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ أي: تصدعت، وانفطرت، وذلك عند قيام

الساعة وتغير الكون.

﴿وَأَذِنتُ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: استجابت لأمر ربها، وحق لها أن

تسمع أمر ربها، وتطيعه، فهو الذي أوجدها، وصنعها، وأخرج

الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَأَذِنتُ لِرَبِّهَا

وَحُقَّتْ﴾ قال: «سمعت».

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: بسطت، وزادت سعتها ﴿وَأَلْقَتْ مَا

فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي: أخرجت ما في بطنها من الأموات، وتخلت عنهم

بعد أن كانت تضمهم ﴿وَأَذِنتُ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: استجابت لأمر

ربها في إلقاء ما فيها من الموتى، وحق لها أن تفعل؛ لأنه الذي

أوجدها.

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ أي: يا

ابن آدم إنك تسعى إلى الله، إما بالخير الذي أمرك به، أو بالشر الذي

نهاك عنه، وسوف يجزيك على عملك بحسبه، خيراً أو شراً، فاختر

أيهما شئت، أخرج البخاري بسنده عن عبادة بن الصامت، عن

النبي - ﷺ - قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كرهه الله لقاءه»، قالت عائشة-أو بعض أزواجه-: «إنا لنكره الموت، قال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله، وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله، وكرهه الله لقاءه»^(١)، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ قال: «إن كدحك يا ابن آدم! لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل، ولا قوة إلا بالله».

ثم قال-تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ والمراد به المؤمن ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي: حسابًا غير شاق، بل يسأل مجرد سؤال، فيعترف بفضل الله عليه، فيؤتى كتابه بيمينه. ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي: يرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا، ومغتبطًا بهم، وبما أنعم الله عليه من إدخاله دار كرامته. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ أي: تقسر يده وراء

(١) الصحيح، (١١/٣٦٤-٣٦٥)، (حديث ٦٥٠٧)، كتاب الرقاق، باب: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه».

ظهره، فيأخذ كتابه بشماله ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ أي: يدعو بالويل والثبور ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ أي: يصلى بحرّ النار ولهيبها ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي: كان في الدنيا بين أهله لا يفكر في أمر ولا نهى، ترك أوامر الله وراء ظهره، واتبع هواه ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي: زعم أنه لن يبعث بعد موته، فيحاسب، ويجازى بكل عمل عمله ﴿بَلَىٰ﴾ أي: ليس الأمر كما يتصور هذا المنكر للبعث، بل سوف يحور، أي: يرجع إلى الله ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرٌ﴾ أي: عالمًا به، فهو الذي خلقه، وهو الذي يميتّه، ثم يعيده إليه.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان أن الإنسان سوف يلاقي ربه لا محالة.
- أن المؤمنين يحاسبون حسابًا يسيرًا، لا نقاش فيه؛ لما روته عائشة-رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- قال: «ليس أحد يحاسب إلا هلك»، قالت: قلت: يا رسول الله! جعلني الله فداءك، أليس يقول الله-تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟، قال: «ذلك العرض،

يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك»^(١).

- أن الذين يتنعمون في الدنيا، ويتركون ما أمرهم الله به سوف يؤثرون كتبهم بشمائلهم يوم القيامة، وفي ذلك اليوم يدعون بالويل والثبور، ندمًا على فعلهم وتفريطهم.
- أن الله الذي يأمر الكون بالانتظام هو الذي يأمره يوم القيامة بالانهدام.

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۝ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ الشفق: الحمرة في السماء خاصة عند غياب الشمس، والمراد: أقسم، و(لا) صلة، وأخرج الطبري وابن

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله-تعالى-: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾، (رقم ٤٩٣٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب: إثبات الحساب، (رقم ٢٨٧٦).

أبي شيبة^(١) بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:-
﴿بِالشَّفَقِ﴾ قال: «حمرة الأفق، وإنَّ الشفق من الشمس»
﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: ما جمع، ولأن الليل يضم ما كان
منتشراً في النهار ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي: إذا ابتدر نوره،
وأخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن قتادة في قوله-تعالى:-
﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ قال: «إذا استدار».

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ هذا خطاب لرسول الله -ﷺ-،
والمراد: لتركبن حالاً بعد حال، أي: الموت بعد الحياة، ثم الحياة
بعد الموت، أي يوم البعث، وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس
في قوله-تعالى:- ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قال: «حالاً بعد
حال، قال هذا نبيكم-ﷺ-»^(٢).

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: فما للناس لا يؤمنون بيوم
القيامة، وقد جاءتهم الآيات والنذر والرسل، فكل هذه مدعاة لهم
أن يؤمنوا؛ لكي يسلموا من العذاب.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ أي: وما لهم-

(١) المصنف، (١/٣٣٣).

(٢) الصحيح، (٨/٥٦٧)، كتاب التفسير، سورة الانشقاق، باب (الآية)، (حديث ٤٩٤٠).

أيضًا-إذا سمعوا القرآن يتلى عليهم، وفيه المواعظ والدلائل، لا يسجدون؟، أي لا يخضعون لعظمة الله، وما أمرهم به.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ﴾ أي: يكذبون بآيات الله،

ويكذبون رسوله محمدًا - ﷺ -.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: يعلم ما يخفونه في قلوبهم من

التكذيب وقول الباطل ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أخبرهم

بأن لهم عذاباً أليماً سيلاقونه يوم القيامة، وتبشيرهم هنا للسخرية منهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أما الذين آمنوا بالله،

وعملوا الأعمال الصالحة يا نبينا محمدًا ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

مَمْنُونٍ﴾ أي: ليس فيه انقطاع أو نقص، وأخرج الطبري بسند

حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾

قال: «غير منقوص».

أحكام وفوائد الآيات:

- أقسم الله العظيم بأن الإنسان يمر منذ كينونته بحال بعد حال إلى

أن ينتهي إلى ربه، فيجازى حينئذ بعمله، إن كان خيرًا فخير،

وإن كان شرًّا فشر.

- العجب من أولئك الذين لا يؤمنون، ويستكبرون عن الصلاة، وعن الخضوع لله، وقد جاءتهم الآيات والنذر.
- بيان أن الله يعلم خفايا قلوب العباد، وهذا يقتضي من ذوي القلوب الواعية والبصائر النافذة أن يدركوا أنهم محاسبون على كل كبيرة وصغيرة، وأن الحياة الدنيا هي ميدان العمل الذي يدخر ليوم لا ريب فيه.
- يقول العلماء عن تفسير ظاهرة الشفق: عندما تسقط أشعة الشمس على الغلاف الجوي للأرض فإنها تخرق بلورات الثلج الصغيرة في هذا الغلاف، وكأنه منشور زجاجي يتحلل الضوء من خلاله إلى ألوان الطيف الضوئي السبعة^(١).
- أن في الآيات (١٦-١٩) إخبارًا مستقبليًا أن الناس سيركبون أطوارًا متعددة، وأحوالًا متباينة: من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الروح، إلى الموت، إلى البعث والنشور.
- أن في الآية (٢٢) إخبارًا مستقبليًا أن سجيّة الذين كفروا في الماضي والحاضر والمستقبل هي التكذيب ومخالفة الحق.

^(١) http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-20-06-04/448-2012-05-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البروج

مكية، وآياتها ثنتان وعشرون آية

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢ ﴿وَشَهِيدٍ
وَمَشْهُودٍ ٣﴾ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ٥ إِذْ
هُمْ عَلَيْهَا قُوعُونَ ٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا
نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ
الْحَرِيقِ ١٠ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ هذا قسم من الله - عز وجل -، وقسمه
أعظم قسم في الوجود، والبروج قيل: هي النجوم، وتسير الشمس في
كل برج منها شهراً، وهي: الحَمَل، والثور، والجوزاء، والسرطان،
والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو،

والحوت، ويسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث اليوم، وذلك ثمانية وعشرون يومًا، ثم يستتر ليلتين، وقيل: البروج: قصور السماء، والعرب تقول للقصور: البروج، كما قال-تعالى-: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾^(١).

﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة، وقد أقسم الله به ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، وأخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: «اليوم الموعود: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيز من شر إلا أعاده الله منه»^(٢).

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ هذا جواب القسم، وقتل بمعنى: لُعِن، والأخدود: الحفر، وهذا بيان عن قوم من الكفار، قيل: إنهم كانوا في نجران في الفترة بين عيسى-عليه السلام-ومحمد-ﷺ-، كان بينهم مؤمنون، فقهرهم، وأرادوا منهم الرجوع عن إيمانهم، فأبوا،

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٣/١٩)، والآية في سورة النساء: ٧٨.

(٢) السنن، (٤٣٦/٥)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة البروج، (رقم ٣٣٣٩)، وصححه الألباني.

فحفروا لهم أخدودًا، وجعلوا فيه نَارًا، وألقوهم فيه^(١)، فلعنهم الله.

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ أي: أحرقتهم النار ذات الوقود، وهو
الالتهاب ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ المراد بهم: الذين شَقُّوا الأخدود،
ووضعوا فيه المؤمنين ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾
أي: كانوا يحضرون إلقاء المؤمنين في الأخدود إذا لم يرجعوا عن
دينهم.

﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: ما نقم هؤلاء الكفار
من الذين وضعوهم في الأخدود إلا أنهم آمنوا بالله، وصدقوا آياته
﴿الْعَزِيزِ﴾ أي: الغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ أي: المحمود في كل حال
وزمان ومكان ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: المالك
لهما، المتصرف فيهما ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: عالم
بأحوال خلقه، وشاهد عليها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: أحرقوهم في
الأخدود ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ من سوء عملهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ﴾
بسبب إصرارهم على الكفر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ أي: لهم في
الآخرة عذاب وحريق.

(١) تفسير الطبري، (٢٤/٢٧٠).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: هؤلاء الذين آمنوا بالله، وصدقوا بآياته، وصبروا على ما نالهم من عذاب قومهم الكفار ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: أخلصوا في أعمالهم

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ أي: بساتين ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: تجري من تحتها أنهار المياه واللبن والخمر والعسل المصفى ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أي: هذا هو الفوز العظيم.

أحكام وفوائد الآيات:

- فضل يوم الجمعة، ففي الحديث: «ما طلعت الشمس، ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب الله له، ولا يستعيز من شر إلا أعاده الله منه»^(١).

- فضل يوم عرفة.

- بيان ما قد يتعرض له المؤمنون من العذاب بسبب صبرهم على دينهم، كما هي حال المؤمنين الذين ألقوا في الأخدود، فكانت عاقبة صبرهم الجنة.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب: من سورة البروج، (رقم ٣٣٣٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ١٢ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ
 الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ
 أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
 تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي
 لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ .

بيان الآيات:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ هذا جواب آخر لقسمه -عجل-، والمراد:
 أنه ينتقم من الظالمين والفجار الذين يكذبون بآياته، ويؤذون المؤمنين
 ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: يبدأ خلق الخلق، ثم يميتهم، ثم
 يعيدهم إليه .

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ أي: يغفر ذنوب عباده، ويسترها، وهو
 ﴿الْوَدُودُ﴾ الذي يحب أوليائه، ويغفر لهم ذنوبهم .

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ أي: خالق العرش ومالكة، وهو المجيد
 أي: العظيم في خلقه وتدبيره ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أي: يفعل ما يشاء
 بإرادته وحكمته.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أي: قد أتاك يا

نبينا محمدًا نبأ الكفرة الذين كذبوا أنبياءهم ورسولهم، وكفروا بالله وآياته، وفي مقدمتهم: فرعون الذي جاءته الآيات، فكذب بها واستكبر، وثمود الذين أرسلت لهم الآية، وهي الناقة، فعقروها، وكذبوا رسولهم.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أي: إن هؤلاء الذين لا

يؤمنون بما جئت به يكذبونك، مثلهم في ذلك مثل من سبقهم من الكافرين .

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ أي: قادر على أن يفعل بالذين كذبوك

مثل ما فعل بفرعون وثمود من إهلاكهم بالعذاب .

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ أي: قرآن عظيم في آياته ومعانيه، وهذا

رد على المشركين الذين قالوا: إنه سحر، أو شعر، أو كهانة ﴿فِي لُوحٍ

مَحْفُوظٍ﴾ أي: حفظه الله من وصول الشياطين إليه.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن في الآية (١٢) إخبارًا مستقبليًا، ووصفًا لانتقام وعذاب الربّ-جلّ

وعلا-من أعدائه، فإنّ انتقام الله من أعدائه وعذابه لهم عظيمٌ

شديدٌ.

- بيان أن الله -عز وجل- ينتقم في الدنيا والآخرة من الظلمة الذين يكذبون بآياته ورسله.
- البعث والحساب والجزاء.
- أن الله يتوود إلى أوليائه، فيرحمهم، ويغفر ذنوبهم.
- تسليية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأن تكذيب قومه له لم يكن بدعا، بل سبقتهم أمم في تكذيبهم لرسولهم، كفرعون وقومه وثمود قوم صالح.
- أن الله محيط بما يفعله المكذبون لرسوله، وقادر على أن يهلكهم بالعذاب كما أهلك من كان قبلهم من المكذبين.
- عظمة القرآن، وأن الله قد أودعه عنده في اللوح المحفوظ، فلا تمسه ولا تقربه الشياطين.
- أن في الآية (١٦) إخباراً مستقبلياً بأن الله -تعالى- الإرادة المطلقة، فإنه فعّال لما يريد، سواء كان في الماضي أم الحاضر أم المستقبل، لا يمتنع عليه شيء يريد.
- أن في الآيتين (١٩-٢٠) إخباراً مستقبلياً بأن الذين كفروا في تكذيب متواصل، كدأب من قبلهم، وأن الله قد أحاط بهم علماً وقدره، لا يخفى عليه منهم ومن أعمالهم شيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الطارق

مكية، وآياتها سبع عشرة آية

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢﴾ النَّجْمُ
 الثَّاقِبُ ٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ
 خُلِقَ ٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧﴾
 إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ
 وَلَا نَاصِرٍ ١٠﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ هذا قسم من الله بالسماء وما فيها من
 الكواكب، والطارق هو: النجم، وقد فسر الله بقوله -عز وجل-: ﴿وَمَا
 أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣﴾ أي: النجم المتوهج، وقيل: إنه
 الذي يرى في الليل، ويختفي في النهار، وأخرج الطبري بسند حسن عن
 ابن عباس في قوله -تعالى-: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣﴾ قال: «يعني: المضيء».
 ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا هو جواب القسم، والمراد:

أن كل نفس عليها حافظ، يحفظ عملها، ويحصيه؛ لكي تجازى عليه، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ قال: «حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك، إذا توفيته يا ابن آدم قبضت إلى ربك».

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أي: يجب أن يتدبر الإنسان حقيقة وجوده، وليعلم أن الذي خلقه من العدم إلى الوجود قادر على أن يبعثه بعد مماته.

قوله: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهام، وجوابه قوله-تعالى-: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ أي: من المني الذي يخرج دفقاً أي: صباً من الرجل والمرأة، فيستقر في رحم المرأة.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ أي: يخرج هذا الماء من الظهر بالنسبة للرجل، ومن الترائب وهي عظام الصدر بالنسبة للمرأة. ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ أي: إن الله الذي خلقه من هذه النطفة، وكونه، وجعله بشراً سوياً، لقادر على إعادته بعد موته، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ قال: «إن الله-تعالى- ذكره-على بعثه وإعادته قادر».

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي: تكشف السرائر، وتظهر الحقائق في ذلك اليوم يوم القيامة ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي: ليس للإنسان من قوة تعينه، أو ناصر ينصره، وإنما هي أعمال تحصى، ويجزى أصحابها بما عملوا.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن كل نفس عليها حافظ، يحصي أعمالها، أو يحفظها من الآفات، وأن الله الذي خلق الإنسان قادر على بعثه بعد موته.
- أن أعمال العباد محصاة عليهم، ويوم القيامة تكشف السرائر؛ لما ثبت عن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدره فلان بن فلان»^(١).

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أُمَهُلُهُمْ رُويْدًا ۝﴾

بيان الآيات:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ هذا قسم من الله بالسماء ذات الرجع،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: ما يدعى الناس بأبائهم، (رقم ٦١٧٧)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب: تحریم الغدر، (رقم ١٧٣٥).

أي: ذات المطر، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله- تعالى:- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال: «السحاب يمطر، ثم يرجع بالمطر».

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ وهذا قسم آخر بالأرض التي تتصدع عن النبات والثمار والأشجار، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ قال: «تصدع عن الثمار وعن النبات كما رأيتم».

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ هذا جواب القسم، والمراد: أن القرآن حق منزل من عند الله، يفصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ أي: ليس باللغو أو الباطل، فحاشاه من ذلك؛ لأنه كلام الله، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ قال: «حق، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ قال: بالباطل».

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: إن أعداء الله المكذبين بآياته يمكرون برسوله وأصحابه ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: سوف أجازيهم بالاستدراج جزاء كيدهم ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: أنظرهم، ولا تستعجل عليهم ﴿أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا﴾ أي: قريباً، وقد نسخت هذه الآية

بآية القتال في قوله-تعالى:- ﴿فَأَقْشِرُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

أحكام وفوائد الآيات:

- أكدت علوم الفلك في دراسة الغلاف الغازي أَنَّ كثيراً ممَّا يرتفع من الأرض إليه من مختلف صور المادة والطاقة، يرتد ثانية إلى الأرض راجعاً إليها، كذلك فإنَّ كثيراً ممَّا يسقط على الغلاف الغازي للأرض من مختلف صور المادة والطاقة يرتد راجعاً عنها^(٢).

- وصف الله-تعالى-الأرض بأنَّها ذات صدع؛ لأنَّ هذه الشبكة الهائلة من الصدوع العملاقة، أو الأودية الخسيفة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض بعمق يتراوح بين ١٥٠.٦٥ كيلاً، وتمتد عشرات الآلاف من الكيلومترات؛ لتحيط بالأرض إحاطة كاملة في كل الاتجاهات، يتصل بعضها ببعض، وكأنَّها صدع واحد، فعبر هذه الصدوع العملاقة خرج كل من الغلافين المائي والغازي للأرض، ولا يزالان يتجددان، وعبر النشاط الملازم لها تحركت ألواح الغلاف

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١٢/٢٠)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (ص ١٥٣٥) والآية من سورة التوبة: ٥.

(٢) آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، (٢٩٣-٣٠٨).

الصخري الأولي للأرض، فتكونت القارات، والسلاسل الجبلية، والجزر البركانية، وتجددت قيعان المحيطات، وتزحزحت القارات، وتبادلت اليابسة والمحيطات، واثارت البراكين؛ لتخرج قدراً من الحرارة الأرضية الحبيسة في داخل الأرض^(١).

- أن في صدوع الأرض أبعاداً ثلاثة: بعداً لا يتعدى بضعة مليمترات أو بضعة سنتيمترات في انصداع التربة عن النبات، وبعداً في صدوع اليابسة التي تمتد الحركات الأرضية عبر مستوياتها من عشرات السنتيمترات إلى مئات الأمتار، وبعداً ثالثاً في الصدوع العملاقة التي تنتشر أساساً في قيعان المحيطات^(٢).

- أن في الآيات (١٥-١٧) إخباراً مستقبلياً أن عاقبة المكذّبين للرسول - ﷺ - وللقرآن، والذين يكيدون ويدبرون هي العذاب والنكال والهلاك.

- الحكم بأن القرآن حق منزل من عند الله، وقد فصل فيه بين الحق والباطل، وجعله هداية لمن يريد اتباع الحق، وفصل فيه الحلال والحرام، فمن آمن به، وصدق، واتبع ما فيه فقد نجا، ومن خالفه فقد ضل.

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، (ص ٢٠٤-٢٠٥).

(٢) آيات الاعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، (ص ١٦٧-١٧٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأعلى

مكية، وآياتها تسع عشرة آية

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝۱ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝۲ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝۳ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝۴ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝۵ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ۝۶ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝۷ وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى ۝۸ فَذِكِّرْ إِن تَفْعَلِ الدِّكْرَى ۝۹ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۝۱۰ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝۱۱ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝۱۲ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝۱۳﴾ .

بيان الآيات:

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد - ﷺ - أن ينزه ربه عن الأضداد والأنداد، وأن يعظمه، ويمجده، ويذكره في خشوع وخضوع، وأمر الله لرسوله بتسبيحه أمر لأمته، فتكون ملزمة باتباعه كما التزم بها رسوله - ﷺ - .

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: أتقن خلقه وصنعه ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ أي: الذي قدر الأقدار، ودونها، وهدى كل من أراد الهداية،

وعمل لها، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد قال: «هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الانعام لمراتعها».

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أي: جعل للحيوانات ما تأكله من النبات ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ أي: جعله هشيمًا بعد أن كان مخضّرًا، كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى- : ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ قال: «هشيمًا متغيرًا».

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ أي: سنقرئك يا نبينا محمدًا القرآن، فلا تنسى ما يلقي إليك؛ ذلك أن رسول الله-ﷺ- كان يتلقى القرآن من جبريل، فيحفظه، مع أنه أُمي لا يكتب، ولا يقرأ، وهذا من خصائصه ومعجزاته-عليه الصلاة والسلام-.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: يستثنى من ذلك ما شاء الله أن ينساه؛ لأنه أنزله، ثم نسخه لحكمة أرادها، وقدر قدره.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ أي: يعلم ما يجهر به العباد، وما يخفونه في أنفسهم، فلا يغيب عنه شيء من أقوالهم وأعمالهم ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ أي: نوفقك للشرعية اليسرى التي لا تثقل عليك ولا على أمتك، وقد صدق-عز وجل-، فجعل شريعة الإسلام أيسر

وأرحم شريعة وجدت على الأرض ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أي: ادع قومك بالموعظة، سواء نفعتهم الموعظة أم لم تنفعهم؛ لأنك رسول مبلغ، أما الهداية فبيد الله وتوفيقه.

﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ أي: سيذكر من يخاف الله ويتقيه ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ أي: يتجنب الموعظة الذي كتب الله عليه الشقاوة بسبب سوء عمله ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أي: نار الآخرة وما فيها من الأهوال ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي: لا يموت موتاً أبدياً، فيستريح من العذاب، ولا يحيا حياة يتلذذ فيها، وإنما هو في عذاب أبدي.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب تسبيح الله في السر والعلن، وهذا يقتضي تنزيهه عن الاضداد والأنداد، وتعظيمه وتمجيده، ومن المشروع عند الابتداء بسورة الأعلى أن يقول القارئ: (سبحان ربي الأعلى)؛ لأن رسول الله - ﷺ - كان يقولها عند قراءته لها^(١).

- أن الله يسر الشريعة التي أنزلها على رسوله محمد - ﷺ -، والآيات

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: الدعاء في الصلاة، (رقم ٨٨٣)، ورجح وقفه على ابن عباس، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود.

الدالة على ذلك كثيرة، منها قول الله - عز وجل -: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وأما السنة فقول رسول الله - ﷺ -: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»^(١).

- فضل سورة الأعلى، فقد قرأها رسول الله - ﷺ - في الركعة الأولى من صلاة العيدين^(٢)، وكان يقرأها يوم الجمعة^(٣)، وفي الوتر^(٤).

- قال ابن عاشور: «وتعريف ﴿أَسْمَ﴾ بطريقة الإضافة إلى ﴿رَبِّكَ﴾ دون تعريفه بالإضافة إلى عَلم الجلالة نحو: سَبَّح اسم الله؛ لما يُشْعِرُ به وصف (رب) من أنه الخالق المدبّر، وأما إضافة (رب) إلى ضمير الرسول - ﷺ - فلتشريفه بهذه الإضافة، وأن يكون له حظٌّ زائد على التكليف بالتسبيح»^(٥).

- أن في الآية (٧) إخبارًا مستقبليًا بأن الله يعلم الجهر من القول

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، (رقم ٧٢٨٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، (رقم ١٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الجمعة، (رقم ٨٧٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الجمعة، (رقم ٨٧٨).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الوتر، باب: ما يقرأ في الوتر، (رقم ٤٦٢)، والنسائي في كتاب قيام الليل، (رقم ١٧٠٠)، وصححه الألباني.

(٥) التحرير والتنوير، (١٢/ ٢٧٤).

والعمل، وما يخفى منهما، سواء كان في الماضي أم الحاضر أم المستقبل.

- أن في الآية (١٠) إخبارًا مستقبليًا بأنَّ مَنْ يَخَفِ اللهَ فَإِنَّهُ سَيَتَعَزَّزُ بِالذِّكْرِ.

- قال الرازي في قوله: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾: «للتنبية على أشرف الحالين، وهو وجود النفع الذي لأجله شُرِعَتِ الذِّكْرَى، كقوله- تعالى:- ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١]، فَإِنَّ القصر جائز عند الخوف وعدمه، فهذا الشرط فيه فوائد، منها: ما تَقَدَّمَ، ومنها: البعث على الانتفاع بالذِّكْرِ، أو يكون هذا في تكرير الدعوة، فأما الدعاء الأول فعام»^(١).

- أن في الآية (١١) إخبارًا مستقبليًا بأنَّ الأَشْقَى الذي لا يخشى ربَّه فَإِنَّهُ سَيَبْتَعدُ عَنِ الذِّكْرِ.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٦ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ١٥ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ١٦ ﴿وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ١٧ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ﴾

(١) التفسير الكبير، (٣١/١٤٤).

الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ .

بيان الآيات:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: فاز بجنت الله ونعيمه من حصَّن نفسه بتوحيد الله، وطاعته، وطاعة رسوله، وطهرها من المعاصي والأدران والأخلاق الفاسدة، وأخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال: «بعمل صالح».

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أي: استذكر اسم ربه في كل لحظة من لحظات حياته، كأنه يراه، ويراقبه، وصلى الصلوات الخمس المفروضة، وصلى النوافل.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنكم أيها الناس أو أكثركم تفضلون الحياة الدنيا ومفاتها وبريقها الفاني على الآخرة ونعيمها الباقي، كما قال-تعالى:- ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ .

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: إن معنى قوله-عز وجل- : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وما بعدها مدون في الصحف الأولى، وهي ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ أي: الكتب المنزلة عليهما، وهي عشر صحف نزلت على إبراهيم، والتوراة على موسى، كما أخرج عبد الرزاق

بسند صحيح عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ قال: «إن ما قصَّ الله في هذه السورة لفي الصحف الأولى
﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾».

أحكام وفوائد الآيات:

- وعد الله-ووعده الحق-بالفوز بالجنة والنجاة من النار لمن حصن نفسه بطاعة الله، وزكاها من الرذائل، واستذكر اسم ربه عند نومه، وعند يقظته، وفي لحظات حياته، وصلى الصلوات بفرائضها ونوافلها مطيعاً لله، ينتظر ثوابه، ويخاف عقابه.
- أن في الآيتين (١٤-١٥) إخباراً مستقبلياً عن عاقبة مَنْ طَهَّرَ نفسه من الأخلاق السيئة، وذكر الله، فوَحَّده، ودعاه، وعمل بما يرضيه، وأقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله، وامتثالاً لشرعه، فَإِنَّهُ سيكون من الفائزين.
- أن في الآيتين (١٦-١٧) إخباراً مستقبلياً بأنَّ النَّاسَ يُفَضِّلُونَ زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، والدار الآخرة، وما فيها من النعيم المقيم خير من الدنيا وما فيها.
- التنديد بإيثار الحياة الدنيا، واللغو فيها عن الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الغاشية

مكية، وآياتها ست وعشرون آية

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِيَةٍ ۝٥
لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ
۝٧﴾.

بيان الآيات:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ أي: هل جاءك يا نبينا محمداً
حديث الغاشية أي: القيامة، التي تغشى الناس بأهوالها وأفزاعها؟
﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ أي: يكون يوم القيامة وجوه ذليلة فزعة
﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أي: مرهقة من العذاب، كما أخرج الطبري
بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قال:
«تكبرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعملها وأنصبها في النار».

﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: تقاسي وتعاني من لهيب النار
وحرارتهَا ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِيَةٍ﴾ أي: تشرب من عين بلغ ماؤها

أشد الحرارة، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله- تعالى:- ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَٰنِيَةٍ﴾ قال: «قد بلغت إنهاها، وحان شربها».

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ الضريع: شجر له شوك، أي: ليس لأصحاب هذه الوجوه الخاشعة في النار إلا طعام خبيث الطعم، كرهه الرائحة قبيح اللون .

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ أي: أن أكل هذا الطعام لا يسمن صاحبه، ولا يغنيه من جوع يعاني منه.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان واقعة البعث، وواقعة الجزاء والحساب يوم الغاشية، أي: يوم القيامة.

- بيان واقعة العذاب للكافرين، وما سيكون عليه شرابهم وطعامهم.

قال ابن عاشور: «قُوبِلَت صفات وجوه أهل النار بصفات وجوه أهل الجنة، فقُوبِلَت صفات: ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ﴿عَامِلَةٌ﴾ ﴿نَاصِبَةٌ﴾ بصفات: ﴿نَٰعِمَةٌ﴾ ﴿لِسَعِيْهَا رَٰضِيَةٌ﴾، وقُوبِلَ قوله: ﴿تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ بقوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، وقُوبِلَ:

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَآنِيَةٍ﴾ بقوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، وقُوبِلَ شقاء عيش أهل النار الذي أفاده قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ بمقاعد أهل الجنة المشعرة بالترف من شراب ومتاع»^(١).

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ لما بَيَّنَّ الله-عز وجل- حال الكفار، وما ينالهم يوم القيامة من العذاب، بَيَّنَّ حال المتقين، وأن وجوههم ناعمة، أي: منضرة في ذلك اليوم بسبب أعمالهم في الدنيا، وطاعتهم لله.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي: راضية في الآخرة؛ لعملها الذي عملته في الدنيا، حيث أصبحت مكانتها في الآخرة ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: رفيعة.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ أي: لا تسمع في هذه الجنة لغواً أو كذباً،

(١) التحرير والتنوير، (٣٠٣/١٢).

أو قولاً باطلاً، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ قال: «لا تسمع فيها باطلاً ولا شاتماً».

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أي: تتدفق بكل أنواع الشراب اللذيذ
 ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ أي: عالية بهيئة ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾
 أي: أباريق وأوان جميلة ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: وسائد متناسقة،
 كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿وَنَمَارِقُ
 مَصْفُوفَةٌ﴾ قال: «النمارق: الوسائد ﴿وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ﴾ أي: بسط
 متفرقة معدة لجلوسهم».

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الذين سعوا في الدنيا بالأعمال الصالحة يرضون عن أنفسهم يوم القيامة، ويرضون بما أعطاهم ربهم من النعيم المقيم.
- بيان ما أعد الله للمتقين من النعيم المقيم في الجنة.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
 رُفِعَتْ ۚ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۚ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
 سُطِحَتْ ۚ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۚ﴾

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا
إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ .

بيان الآيات:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ لما بين الله - عز وجل -
مآل الأشقياء ومآل السعداء يوم القيامة، استغرب المشركون العرب
ذلك، وكذبوه، فأراد الله أن ينبههم إلى أشياء من خلقه وصنعه
يعرفونها، ويعايشونها، ولما كانت الإبل معروفة عندهم، بل هي أعلى
شيء عندهم، فهم يركبونها، ويحملون عليها أمتعتهم في أسفارهم،
ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، فنبههم - جل شأنه - إلى أنه هو
الذي خلقها، وسخرها لهم، فهي على قوتها وشدتها وصلابتها تنقاد
بسهولة، فمن كان قادرًا على خلق هذا الحيوان العجيب فهو قادر عقلاً
على بعث الموتى، ومجازاتهم، وصيورتهم إما إلى الجنة، وإما إلى النار.
ثم نبه - جل شأنه - إلى أمر آخر محسوس لهم، هو خلق السماء،
فقال: ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي: أفلا ينظرون إلى السماء
كيف رفعت فوق رؤوسهم بلا عمد؟.

﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي: كيف وضعت على الأرض
لتثبتها؟، فيشاهدونها لا تتحرك ولا تضطرب. ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ

سُطِحَتْ ﴿١﴾ أي: كيف مدت وبسطت فصارت سهلة لسكنهم عليها؟.

كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿وَالْإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ قال: «أي: بسطت».

وفي ذكره-عز وجل-لهذه المخلوقات دلالة حسية للمشركين الذين كانوا لا يفكرون إلا من خلال إحساسهم بما يشاهدونه، أو يعيشونه، فهم يركبون الإبل، ويعرفون فوائدها، ويعرفون السماء قائمة فوقهم، ويرون الجبال شاهقة أمام أعينهم، ويعيشون على الأرض آمنين، فأحر بهم أن يصدقوا بآيات الله، وقدرته العظيمة على موتهم، ثم بعثهم ثم محاسبتهم على أعمالهم!.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: ذكّر قومك يا نبينا ورسولنا محمداً، وعلمهم وعظّمهم لعلهم يهتدون .

﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: لست بمتسلط أو جبار عليهم، فما عليك إلا موعظتهم وتخويفهم .

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ أي: من أعرض عن الذكر والوعظ .

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ أي: يعذبه بنار جهنم، وقد يكون المراد: أن من أعرض عن الحق الذي جئت به فعليك أن تجاهده،

فإن لم يسلم فسوف يعذبه الله بعد ذلك العذاب الأكبر.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي: عودتهم بعد موتهم .

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ أي: سوف نحاسبهم على أعمالهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن من وسائل الدعوة: تقريب الأمر إلى ذهن المدعو من خلال ما يعرفه، ويعيشه، فالملوئ-عز وجل-ذكر المشركين بخلق الإبل؛ لأنهم يعرفونها، ولم يذكرهم بخلق الفيلة مثلاً؛ لأنهم لا يعرفونها.

- أن مهمة الداعي إبلاغ المدعوي بما يدعوهم إليه، وليس من مهمته السيطرة عليهم، وحسابهم على الله، كما قال-تعالى-: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

- أن في الكون آيات دالة على قدرة الله على البعث، منها: الإبل، والسماء، والجبال، والأرض.

- أن مآل بني آدم إلى الله يوم القيامة، وسوف يحاسبهم، ويجزي كلَّ منهم بما عمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفجر

مكية، وآياتها ثلاثون آية

﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤ ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ٨ ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠ ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ١٤ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَالْفَجْرِ﴾ هذا قسم من الله بالفجر، وقيل: المراد به فجر كل يوم

أي: صبحه، وقيل: المراد به فجر يوم النحر .

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة^(١)، كذا أخرج الطبري بسند

صحيح عن مجاهد.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الشفع: الاثنان، والوتر: الفرد، وقيل: الشفع:

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، (٤/١٩٤)، (رقم ٤٠٨٦)، والإمام أحمد في المسند، (٢٢/٣٨٩)، (رقم ١٤٥١١)، والحاكم في المستدرک، (رقم ٧٥١٧)، وصححه، ووافقه الذهبي.

يوم النحر؛ لأنه العاشر من الليالي العشر، والوتر: يوم عرفة؛ لأنه التاسع منها، قال الإمام الطبري-رحمه الله تعالى:- «والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله-تعالى ذكره - أقسم بالشفع والوتر ، ولم يخصص نوعاً من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به، مما قال أهل التأويل: إنه داخل في قسمه هذا؛ لعموم قسمه بذلك»^(١).

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَّرُ﴾ هذا قسم آخر، حيث أقسم-عز وجل-بالليل ﴿إِذَا يَسَّرُ﴾ أي: يذهب، ويأتي ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: الذي أقسمنا به ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ أي: مقسم به، جدير بالتعظيم لذوي العقول؟، وجوابه قد يكون في قوله-تعالى:- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ الخطاب لرسول الله-ﷺ-أي: ألم تعلم يا نبينا ورسولنا محمداً بما فعله ربك بقوم عاد، حين كذبوا نبيهم هوداً-عليه السلام-؟ ﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: إزم هو جدهم، وقد سمي القوم باسمه، والمراد بالعماد أصحاب القوة والبأس.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ وذلك لطول أجسامهم، حيث كان طول الرجل منهم-على ما قيل:- اثني عشر ذراعاً، وشدة بأسهم

(١) تفسير جامع البيان، (٢٤ / ٣٥٥).

وقوتهم، فلم يخلق مثلهم في زمانهم، ومع ذلك أهلكهم الله.

﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ﴾ المراد بهم قوم صالح،

ومعنى (جابوا) أي: قطعوا الصخور؛ لتكون بيوتاً لهم، وأخرج الطبري

بسند حسن عن قتادة في قوله -تعالى-: ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ

بِالْوَادِ﴾ قال: «جابوها، ونحتوها بيوتاً».

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ المراد به فرعون مصر، وكان له أربعة

أوتاد يشد إليها أيدي وأرجل الذين يخرجون عليه، فيعذبهم بتلك

الطريقة.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: عاد وثمود وفرعون، والمراد: أنهم

تمادوا في طغيانهم وفسادهم، وتجاوزوا في عدوانهم وظلمهم.

﴿فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ أي: أفسدوا في الأرض، وأذوا، وتمردوا

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي: ألقى عليهم العذاب

المهلك، فمنهم من أخذته الرجفة، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من

أخذه الغرق ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أي: يرصد خلقه، ويحصي

عليهم أقوالهم وأفعالهم، ثم يحاسبهم عليها، فيجزى كلًّا بما عمل

بعدله ورحمته، فلا يظلم أحداً منهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- فضل الليالي العشر الأول من ذي الحجة، وقد ثبت عن ابن عباس مرفوعاً، قال رسول الله -ﷺ-: «العمل في العشر أفضل من العمل في هذه»، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟، قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء»^(١).
- أنه جاء في الآية (٤) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ بحذف الياء اكتفاء بكسر الراء؛ لأنها فاصلة في موضع وقف، وفي الوقف تُغَيَّرُ الحروف الصحيحة بالتضعيف والإسكان والروم والحذف^(٢).
- قال الرازي بعد أن ذكر وجوهاً كثيرة في الشفع والوتر: «كلُّ هذه الوجوه محتملة، والظاهر: لا شعار له بشيء من هذه الأشياء على التعيين، فإن ثبت في شيء منها خبرٌ عن الرسول -ﷺ-، أو إجماع من أهل التأويل، حُكِمَ بأنه المراد، وإن لم يثبت وجب أن يكون الكلام على طريقة الجواز لا على القطع، ولقائل: إنني أحمل الكلام على الكل؛ لأنَّ الألف واللام في الشفع والوتر يفيد العموم»^(٣).
- بيان الله لرسوله محمد -ﷺ- أنه قد أهلك المكذبين لرسولهم، وأن

(١) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب: فضل العمل في أيام التشريق، (رقم ٩٦٩).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج، (٣٢١/٥)، والبسيط للواحيدي، (٢٣ / ٤٩٦).

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي، (١٤٩/٣١).

هلاك قومه سهل عليه، وأنه ينظرهم لعلمهم يرجعون إليه، وقد أنجز وعده لرسوله، فأهلك رؤساء المشركين في موقعة بدر، وهدى من هدى منهم حين فتح مكة لنبيه، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

- تحذير الله لبني آدم بأنه يرصد أقوالهم وأفعالهم، وأن العاقبة الحسنی ستكون للذين يخشونه ويتقونه.

- بعد دراساتٍ علمية مستفيضة اتضح وجود آثارٍ مَدَقَّاتٍ للطرق القديمة المؤدية إلى عدد من أبنية مدفونة تحت الرمال السافية التي تملأ حوض الربع الخالي وعدد من أودية الأنهار القديمة والبحيرات الجافة، وبعد دراسة مستفيضة لمعرفة حقيقة تلك الآثار أجمع الباحثون على أنها هي آثار عاصمة ملك عاد التي ذكر القرآن الكريم أن إسمها (إِرَمَ)، وقُدِّر عمرها بالفترة من (٣٠٠٠) ق. م إلى أن نزل بها عقاب ربها، فطمرتها عاصفة رملية غير عادية، وقد وصف الباحثون حضارة عاد الأولى بأنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى على وجه الأرض، وذلك في ثرائها، ووفرة خيراتها، وقوتها^(١).

(١) آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، (ص ٦٠٣-٦١٦).

- قال الفراء في قوله في الآية (١٣) ﴿سَوَّطَ عَذَابٍ﴾: «هذه كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب تُدْخِلُ فيه السوط، ونرى السوط من عذابهم الذي يُعَذَّبُونَ به، فجرى لكل عذاب؛ إذ كان فيه عندهم غاية العذاب»^(١).

- أن في الآية (١٤) إخباراً مستقبلياً بأنَّ عاقبة مَنْ يعصي الله، فإنَّ الله-جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-له بالمرصاد، يمهله قليلاً، ثمَّ يأخذه أَخَذَ عزيز مقتدر.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ هذا بيان من الله-جل ثناؤه-ينكر فيه على العبد عدم

(١) معاني القرآن للفراء، (٣/٢٦١).

فهمه لما أنعم الله به عليه من النعم، فإذا رزق مالا أو ولداً ونعماً زعم أن ذلك كرامة له من الله، بينما ذلك امتحان له؛ ليرى أيشكر أم يكفر بنعم الله، فلا يحمدہ عليها؟.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ أي: إذا ابتلاه بأن ضيق عليه في رزقه، أو ابتلاه بأي نوع من أنواع البلاء، زعم أن ذلك إهانة له؛ لهذا قال-عز وجل:-

﴿كَأَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعم هؤلاء وهؤلاء، فليس الغنى دليلاً على فضل الغني، ولا الفقر دليلاً على هوان الفقير .

﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ هذا بيان عما كان يفعله أهل الجاهلية من منع اليتيم حقه في الميراث .

﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ أي: لا تحبون إطعام المسكين، ولا يحث بعضكم بعضاً على الإحسان إلى المساكين المحتاجين، مع قدرتكم على هذا الإحسان.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي: تأكلون ميراث الأيتام ظلماً لهم وعدواناً عليهم، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في

قوله- تعالى:- ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ قال: «الميراث» ﴿وَتَحِبُّونَ
الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: حبًّا شديدًا متناهياً.

أحكام وفوائد الآيات:

- جهل الإنسان وضيقه، فهو في غناه ينسى فضل الله عليه، فيزعم أن هذا إكرام من الله له، وينسى حمده وشكره على ما أنعم به عليه، وهو في فقره يضيق، ويتصور أن الله ابتلاه بهذا الفقر إهانة له، مع أن الله أكرم وأعظم من أن يفعل ذلك، فهو يبتلي بالغنَى، ويبتلي بالفقر؛ ليعلم-وهو العليم - من يشكر من عباده ومن يكفر منهم.
- تحريم أكل أموال اليتامى من ميراث وغيره، وقد حث رسول الله- ﷺ - على الإحسان إليهم بقوله: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»، قال ذلك بإصبعيه: السبابة والوسطى^(١).
- التنديد بالتهالك على حب المال، وخاصة عندما يكون سبباً في الظلم وبخس الحقوق.
- أن في الآية (١٥) إخباراً مستقبلياً عن حال الإنسان مع ربّه فيما إذا اختبره ربّه بنعمة، وبسط له رزقه، وجعله في أطيب عيش، فإنّه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً، (رقم ٦٠٠٥).

يُظَنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِكِرَامَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَيَقُولُ: رَبِّي أَكْرَمَن.

- أُنْ فِي الْآيَةِ (١٦) إِخْبَارًا مُسْتَقْبَلِيًّا عَنْ حَالِ الْإِنْسَانِ مَعَ رَبِّهِ فِيمَا إِذَا اخْتَبَرَهُ، فَضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيُظَنُّ أَنَّ ذَلِكَ لَهُوَ أَنَّهُ عَلَى اللَّهِ، فَيَقُولُ: رَبِّي أَهَانَن.

- أُنْ فِي الْآيَاتِ (١٧-٢٠) إِخْبَارًا مُسْتَقْبَلِيًّا أَنَّ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُكْرِمُهُ، وَأَنَّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُهِينُهُ.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۝ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدٌ ۝ يَسَاءَ يُسَاءُ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ۝ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۝﴾.

بيان الآيات:

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي: ليس الأمر كما تفعلون من الاستئثار بالدنيا، والتفاني في حبها، وترك أمر الآخرة،

فإن من كان هذا عمله سوف يندم، وذلك حين تندك الأرض فتسوى وتمهد دكًا دكًا أي: مرة بعد مرة، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ قال: «تحريكها».

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: جاء لفصل القضاء بين الخلائق بعد أن يشفع لهم في ذلك الموقف العظيم سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله-عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي: الملائكة يجيئون صفوفًا.

﴿وَجِئَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ أي: يؤتى بها، ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن عبد الله قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يؤتى بجهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(١).

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: يتذكر الكافر عمله في ذلك الموقف العظيم، ويندم على تفريطه.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: في شدة حر نار جهنم، (رقم ٢٨٤٢).

﴿وَأَنِّي لَهُ الدَّكْرَى﴾ أي: من أين له أن يكون كذلك، وقد انتهى

العمل في الدنيا، فلم يبق في ذلك الموقف إلا الحساب والجزاء؟.

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ أي: يندم على أنه لم يقدم

لنفسه عملاً صالحاً ينفعه في الآخرة.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ أي: ليس هناك من عذاب

أقوى وأشد من عذاب الله للذين عصوه في الدنيا، واستكبروا عن توحيده وطاعته.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ أي: لا أحد يوثق مثل وثاقه، وقبضته

على المجرمين، وذلك حين يسحبون في النار على وجوههم، وهم مصفدون بالسلاسل والأغلال، هذه هي حال الكافر الذي نسي ربه في الدنيا. أما المؤمن الذي عرف ربه، وعمل بما أمره به، وانتهى عما نهاه

عنه، فتقول الملائكة له عند موته: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾

أي: يا أيتها النفس التي آمنت بالله، وصدقت آياته، واتبعت رسوله،

ارجعي إلى جوار ربك، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: «هو المؤمن

اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله-تعالى- ﴿رَاضِيَةً﴾ عن الله وعما نالها

من ثوابه ﴿مَرْضِيَّةٌ﴾ أي: قد رضي الله عنك».

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ ﴿٣٠﴾ أي: بهذا مخاطب

الروح عند الاحتضار، كما مخاطب به يوم القيامة.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان حسرة الكافرين وندمهم يوم القيامة حين يرون الحقائق واضحة أمام أعينهم، كما قال-تعالى-عنهم: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ [الزمر: ٥٦-٥٩].

- البشرى للمؤمن عند احتضاره، ويوم معاده إلى الله.

- ذكر بعض المفسرين أن معنى التكرير في ﴿دَكَّا دَكَّا﴾ أنه دَفَعَاتٍ عَلَى تَقْدِيرٍ: دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا بَعْدَ دَكٍّ، ولو كان غير مكرر لاشتبه أن يكون دفعة واحدة، أو زلزلة بعد زلزلة^(١).

(١) التفسير البسيط للواحي، (٢٣/ ٥١٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البلد

مكية، وآياتها عشرون آية

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝﴾

بيان الآيات:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي: أقسم بالبلد الحرام مكة، وهذا القسم تعظيم وتشريف لها ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي: والحال: أنك يا نبينا ورسولنا محمداً حل بمكة تقاتل، وتقتل فيها، وذلك أنهم كانوا يحرمون فيها القتل، فأجازه الله-تعالى-لنبيه يوم فتح مكة^(١)، ولهذا قتل فيها ابن خطل ومقيس بن صبابه^(٢)، كما أخرج الطبري بسند

(١) أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب: لا يعضد شجر الحرم، (رقم ١٨٣٢)، ومسلم في كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلها وشجرها ولقطتها، (رقم ١٣٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب: قتل الأسير، (رقم ٢٦٨٣)، والنسائي في كتاب تحريم الدم، باب: الحكم في المرتد، (رقم ٤٠٦٧)، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود.

صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال: «ما صنعت فأنت في حل حين تأمر بالقتال».

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ وهذا قسم-أيضاً-بآدم وذريته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ هذا هو جواب القسم، والمراد: أن الإنسان يكابد ويعاني من شدة عناء الدنيا منذ ولادته حتى وفاته، فهو يكابد منذ ولادته وفطامه عن رضاعه، ثم يكابد ما قد يصيبه من مرض أو فقد والديه أو أحدهما، وقد يكابد ما يصيبه من الفقر والشدة والكبر ومصائب الدنيا، وهكذا يتعب وينصبُ إلى أن ينتقل من الحياة الدنيا إلى الآخرة، وفي هذا تسليّة للمؤمنين بأن الدنيا دار نصب وعناء، لا تصفو لأحد، وأن الجنة هي الدار التي لا يحزن أهلها، ولا يضارون، ولا يعانون، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: «حين خلق في مشقة لا يلقي ابن آدم إلا مكابد أمر الدنيا والآخرة».

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أي: أيظن ابن آدم أن الله لن يعاقبه بسبب سوء عمله؟ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ أي: أنفقت مَالًا كثيراً، وقيل: إن أبا الأشدّين يقول: أنفقت في عداوة محمد مَالًا كثيراً، وهو كاذب فيما قال، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن

مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبًّا﴾ قال: «كثيراً».

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أي: أيظن أن الله لا يراقبه، ويعلم

أنه لن ينفق شيئاً من ماله في سبيل الله؟.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما؟ ﴿وَلِسَانًا﴾ يتكلم به

﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ لمساعدته على الكلام والطعام، وجمالاً لصورة وجهه.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: بيّنا له طريق الخير والهداية، وطريق

الشر والغواية حتى يكون على بينة من أمره فيما يختاره منهما،

وأخرج الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود قال: «﴿النَّجْدَيْنِ﴾

سبيل الخير والشر»^(١).

أحكام وفوائد الآيات:

- تبدأ السورة بالقسم، فتكون (لا) مؤكدة لهذا القسم، كقوله-تعالى-

: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] أي: أن تسجد.

- فضل مكة وحرمتها، وفي هذا قال رسول الله -ﷺ-: «إن هذا البلد

حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى

يوم القيامة، لا يعضد بها شجرة، ولا يختلى خلاها، وإنما أحلت لي

(١) المعجم الكبير، (٢٢٥/٩)، (حديث ٩٠٩٧)، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (٧٠٨/٨).

ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»^(١).

- أنه جيء بـ(ما) دون (مَنْ) التي تستعمل غالباً للعاقل؛ لإرادة التفخيم، نحو قوله-تعالى:- ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]، أي: مولوداً عجيب الشأن، قال ابن عاشور: «ولأنَّ قوة الإبهام في (ما) أنسب بإرادة الجماعة دون واحد معين»^(٢).

- أن في الآية (٥) إخباراً مستقبلياً بأنَّ الله-ﷻ-القدرة المطلقة، فإنَّ الله-جَلَّتْ قدرته-سيقدر على من جمع الأموال الطائلة، وعلى غيره من البشر.

- أن الإنسان قد يقول ما لا يفعل، فيقول: أنفقت مالا، وصليت، وزكيت، ويظن أن الله لا يعلم عنه.

- أن في الآية (٧) إخباراً مستقبلياً بأنَّ الله-ﷻ-يرى كلَّ أفعال عباده، وَمِنْ ضَمْنِهِم: الذي يقول متباهياً: قد انفقت مالا كثيراً، ويظنُّ في فعله هذا أنَّ الله-ﷻ-لا يراه، وأنَّه لن يحاسبه، والصحيح أنَّ الله-ﷻ-يراه، وسيحاسبه على الصغير والكبير.

- أن الإنسان منذ ولادته يعاني من متاعب الحياة ومصاعبها

(١) أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب: لا ينفر صيد الحرم، (رقم ١٨٣٢)، ومسلم في كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، (رقم ١٣٥٤).

(٢) التحرير والتنوير، (١٢/٣٥٠).

ومصائبها إلى أن ينتقل إلى الدار الآخرة، فأسعد الناس يومئذ من كان طريقه إلى الجنة، فهناك المكان الوحيد الذي يستريح فيه الإنسان.

- أن الله قد بين للإنسان طريق الخير وطريق الشر، بما بينه له في كتابه، وعلى لسان رسوله محمد - ﷺ -، كما قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

- قوله في الآية (١٠) ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ النجْد: الأرض المرتفعة ارتفاعاً دون الجبل، وجُعلا نجدين لأنَّ طريق الخير صعوبته في سلوكه، وطريق الشر صعوبته في عواقبه.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ١١ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ١٢ ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ ١٣ ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ ١٤ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ ١٥ ﴿أَوْ مِسْكِينًا﴾ ١٦ ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ١٧ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ ١٨ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ١٩ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ٢٠ ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ ٢١ ﴿

بيان الآيات:

﴿فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي: فما اقتحم (أبو الأشدين) العقبة، ثم فسر-تعالى-العقبة بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ الخطاب لرسول الله -ﷺ-، أي: اعلم ما العقبة؟. ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ أي: تخليصها من الأسر أو الرق .

﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: الإطعام في وقت المجاعة، وهو أكثر ما يكون الناس حاجة فيه إلى الطعام، وأخرج الحاكم بسند صحيح عن إسحاق بن سليمان الرازي، قال: «سمعت طلحة بن عمرو، وسئل عن قول الله- عز وجل-: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ فقال: ثنا محمد بن المنكدر، عن جابر ابن عبد الله-رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من موجبات المغفرة: إطعام المسلم السغبان»^(١). ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: إطعام في هذا اليوم يتيمًا ذا قرابة له ﴿أَوْ مُسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أو إطعام فقير ذي فقر شديد، كما أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿أَوْ مُسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: «شديد الحاجة»، وأخرج الحافظ ابن حجر بسند صحيح عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿أَوْ مُسْكِينًا ذَا

(١) المستدرک، (٢/ ٥٣٤)، کتاب التفسیر، وصححه الذهبي وابن الملقن.

مَثْرَبَةٍ ﴿١﴾ قال: «هو الذي ليس بينه وبين الأرض شيء»^(١) **﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** أي: أنه مع هذه الأعمال الجليلة مؤمن بالله، متبع لأوامره، متجنب لنواهيه .

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: كان مع المؤمنين الذين يتواصلون بالصبر على طاعة الله، واجتناب محارمه، كما يتواصلون بالرحمة فيما بينهم، كما أخرج البخاري بسنده عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»^(٢).

ثم وصفهم الله بقوله: **﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾** أي: أصحاب اليمين الذين يؤتون كتبهم يوم القيامة بأيمانهم، وعاقبتهم الجنة .
ثم لما ذكر هؤلاء وصفاتهم الحسنة، قال: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾** أي: أصحاب الشمال الذين يؤتون كتبهم بشمالهم وعاقبتهم العذاب **﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾** أي: مطبقة عليهم، لا منفذ ولا مخرج لهم منها، كما أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة، قوله: **﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾** «أي: مطبقة،

(١) تغليق التعليق، (٤/٣٦٩).

(٢) الصحيح، (١٣/٢٧٠)، (حديث ٧٣٧٦)، كتاب التوحيد، باب قوله-تعالى-: **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾** . [سورة الإسراء: ١١٠].

أطبّقها الله عليهم، فلا ضوء فيها، ولا فرج، ولا خروج منها آخر الأبد».

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان فساد من ينفق ماله في المعاصي والآثام؛ لأن المال مال الله، ويحرم أن ينفق مال الله في غير سبيله، وهذا يقتضي أن من أنفق ماله في معصية الله فقد ارتكب إثمين، هما: تعديه على مال الله بغير حق، وإنفاقه في غير سبيله.
- فضل عتق المأسور أو الرقيق؛ لقول رسول الله - ﷺ -: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار، حتى فرجه بفرجه»^(١).
- فضل الإطعام في زمن الحاجة للأيتام والفقراء والمساكين والمحاويج، وفيه قول رسول الله - ﷺ -: «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»^(٢).
- وعيد الله للذين يكفرون بآياته.

(١) أخرجه البخاري في كتاب كفارات الأيمان، باب: قول الله-تعالى-: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [سورة المائدة: ٨٩]، (رقم ٦٧١٥)، ومسلم في كتاب العتق، باب: فضل العتق، (رقم ١٥٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، (رقم ٢٤٨٥)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب: إطعام الطعام، (رقم ٣٢٥١)، وصححه الترمذي، وصححه الألباني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشمس

مكية، وآياتها خمس عشرة آية

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّحَهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالشَّمْسُ﴾ هذا قسم من الله-عز وجل- بإحدى آياته
﴿وَضَحَّحَهَا﴾ المراد به: أول النهار، وارتفاع الشمس قيد رمح إلى
الزوال ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ أي: إذا غابت الشمس تبعها ﴿وَالنَّهَارِ
إِذَا جَلَّهَا﴾ أي: أظهرها لمن يراها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي: حين
تغيب، ويقبل الليل، فتظلم الآفاق ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أي:
السماء والذي بناها، وهو الله-عز وجل-، وقد تكون (ما) ﴿وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّاهَا﴾ أي: خلقها، وكونها سوية سليمة في أعضائها
وفطرتها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي: بين الله لها طريق

الخير وطريق الشر، أو طريق الهداية وطريق الضلال.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ هذا هو جواب القسم، والمراد: لقد فاز من طهر نفسه بالطاعة، وجنبها الأدناس والأرجاس ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ أي: خسر من دنس نفسه بالمعاصي.

وأخرج الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس-رضي الله عنهما- في قوله-عز وجل-: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾ قال: «ضوءها» ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ تبعها ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ قال: أضاءها ﴿وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَّاها﴾ قال: الله بنى السماء ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّاها﴾ قال: دحاها قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: عرف شقاءها وسعادتها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٨﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ قال: أغواها»^(١).

أحكام وفوائد الآيات:

- قسم الله-عز وجل-بعدد من آياته العظام بأن من زكى نفسه بالطاعة، وجنبها المعاصي والآثام، فقد فاز برضا الله وثوابه، وأن من دنس نفسه بالمعاصي والآثام، فقد خسر وخاب، وتعرض لعقاب الله، وهذا يقتضي الدعوة إلى الإيمان بالله ابتغاء مرضاته،

(١) صححه الحاكم، ووافقه الذهبي كما في المستدرک، (٢/٥٢٤)، وهو كما قالا .

واجتناب سخطه وعقابه.

- أن الدراسات العلمية تؤكد أن فترة النهار التي تعتري نصف الأرض المواجهة للشمس بسمك لا يتعدى مئتي كيلاً فوق مستوى سطح البحر بما فيها من هباءات الغبار، والرطوبة، وكثافة الغازات، هي التي تعكس موجات الضوء المنظور من أشعة الشمس وتشتته، فيظهر لنا بهذا النور الأبيض المبهج، ويُجلى لنا الشمس^(١).

- أن في الآية (٩) إخباراً مستقبلياً بأنَّ مَنْ طَهَّرَ نفسه، ونَمَّاهَا بالخير، فَإِنَّ له الفوز.

- أن في الآية (١٠) إخباراً مستقبلياً بأنَّ مَنْ أَخْفَى نفسه في المعاصي فَإِنَّ له الخسران.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ۚ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۚ ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۚ ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۚ ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۚ ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ۚ﴾ هذا بيان من الله-عز وجل-عن

(١) آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم، للدكتور زغلول النجار، (٤٦٧-٤٨٢).

تكذيب قبيلة ثمود لنبيها صالح بسبب طغيانها وفسادها، وعدم قبولها توحيد الله وطاعته، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا﴾ قال: «معصيتها».

﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ المراد: أشقى هذه القبيلة، وهو قدار بن سالف الذي عقر الناقة، كما قال-تعالى-: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩].

وأخرج البخاري بسنده عبد الله بن زمعة: أنه سمع النبي -ﷺ- يخطب، وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله -ﷺ-: «﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ انبعث لها رجل عزيز عارم، منيع في رهطه، مثل أبي زمعة»^(١).

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: صالح-عليه السلام- ﴿نَاقَةٌ﴾ **اللَّهُ** أي: احذروا أن تمسوا الناقة بسوء، كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَيَقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤].

(١) الصحيح، (٥٧٥/٨)، كتاب التفسير، سورة الشمس، (حديث ٤٩٤٢)، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح، (٢١٩١/٤)، (حديث ٢٨٥٥)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: «النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء».

﴿وَسُقِّيَهَا﴾ أي: اتركوا لها ماءها، فإن لها شرب يوم، ولكم

شرب يوم .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أي: كذبوه فيما دعاهم إليه من توحيد

الله، وطاعته، وعدم الاعتداء على الناقة التي أخرجها الله لهم من صخرة صماء، فكانت تسقيهم لبنًا خالصًا.

﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ﴾ أي: أطبق عليهم العذاب

الأيام، فأهلكهم ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ أي: جعل العقاب عليهم سواءً ﴿وَلَا

يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أي: لا يخاف تبعة من إهلاكها، فحاشاه ذلك،

وأخرج الطبري بسند حسن عن السدي في قوله-تعالى-: ﴿وَلَا

يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: «لا يخاف الذي صَنَعَ عُقْبَى ما صَنَعَ».

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان أن فلاح الإنسان في الآخرة يقتضي تقوى الله، وذلك بتطهير

نفسه من المعاصي والذنوب، وأن تعاسته في الآخرة تترتب من

عصيانه لأمر الله، والإشراك به، والتعدي على حدوده.

- تحريم الطغيان والفساد في الأرض؛ لأن عاقبته الهلاك والعذاب،

كما حدث لقوم صالح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الليل

مكية، وآياتها إحدى وعشرون آية

﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ ① وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ ③ وَالْأُنثَىٰ ④ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ⑤ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ⑥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ⑦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ⑧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ⑨ وَاسْتَعْتَىٰ ⑩ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ⑪ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ⑫ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ⑬﴾.

بيان الآيات:

﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ هذا قسم من الله-عز وجل-بالليل إذا يغشى، أي: إذا غطى الآفاق بظلامه ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: إذا ظهر بضياءه ونوره ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ أي: والذي خلق الذكر والأنثى، فهذا قسم بنفسه-عز وجل-.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا هو جواب القسم، والمراد أن أعمالكم ومسايعكم مختلفة، فهناك فاعلون للخير، وآخرون على خلافهم، ثم قال-تعالى:- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ⑥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي:

فَأَمَّا مَنْ بَدَلَ حُرِّ مَالِهِ بِدُونِ عَوْضٍ، وَحَسِبَ حَسَابًا لِلِقَاءِ رَبِّهِ، فَاتَّقَى عَذَابَهُ، وَصَدَّقَ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَلْفِ عَلَى الْمُنْفَقِ فِي سَبِيلِهِ، وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ﴾ قال: «حق الله تعالى ﴿وَأَتَّقَى﴾ محارم الله التي نهى عنها». ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ أي: ندله على أسباب الخير والصلاح، والحكم عام.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ أي: بخل بما عنده من المال، واستغنى به عن ربه -عز وجل-، وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ قال: «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِحَقِّ اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَيْهِ. ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ فِي نَفْسِهِ عَنْ رَبِّهِ .

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: المراد به تكذيبه بأن الله لن يخلف له ما أنفقه في سبيله، وقد يكون المراد تكذيبه بالجزاء يوم القيامة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فإن الله يمنع عنه أسباب فضله وخيره ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ أي: لا يغني عنه ماله شيئاً إذا مات.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الله أن يقسم بمخلوقاته كيفما يشاء، وليس للعباد أن يقسموا إلا

بالله.

- أن في الآيات (٥-٧) إخبارًا مستقبليًا بأنَّ مَنْ بذل ماله، واتَّقَى الله في ذلك، وصدَّق بالحساب والثواب على أعماله، فسيرشده الله إلى أسباب الخير والصلاح، وسيُيسَّر له أموره.

- أن مَنْ أنفق من ماله في سبيل الله، واتقاه، وصدق بما وعد به المُنْفِقِينَ من الخَلْف عليهم في مالهم، فإنه يدلّه على أسباب الخير، وشاهده: ما رواه أبو هريرة-رضي الله عنه-أن رسول الله-ﷺ-قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»^(١).

- أن مَنْ يبخل ببذل ما يجب عليه في ماله من زكاة وغيرها، ويستغني عن فضل ربه، فإن الله يمنع عنه أسباب الفضل والخير.

- أن في الآيات (٨-١٠) إخبارًا مستقبليًا بأنَّ مَنْ بخل بماله، واستغنى عن جزاء ربه، وكذَّب بالحساب والثواب، فسيعيش في الشقاء، ولا ينفعه ماله الذي بخل به.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۖ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۖ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۖ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله-تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [سورة الليل: ٥].
(رقم ١٤٤٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: في المنفق والممسك، (رقم ١٠١٠).

وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ
مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أي: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال، والحق من الباطل، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ قال: «على الله-تعالى-البيان، بيان حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا التفسير ثابت عن قتادة»^(١).

﴿وإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ أي: لنا ملك الدنيا وملك الآخرة، أو يكون المراد ثوابهما، فمن ابتغاهما من غيرنا فقد خاب وخسر، كما قال-تعالى:- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤].

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ أي: حذرتكم نارًا تلتهب وتتوقد، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:-

(١) مجموع الفتاوى، (١٥ / ٢١٠).

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ قال: «توهج» ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أي: لا يلاقي حرها إلا الشقي التعس ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ رسول الله - ﷺ - وعصاه ﴿وَتَوَلَّى﴾ أي: أعرض عن دين الله، واتبع هواه. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ أي: سيبعد عنها التقى الذي خاف من الله، فأحل حلاله، وحرّم حرامه.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ أي: سيتجنبها التقى الذي يزكي ماله، كما أمره الله بذلك، لا يبتغي جاهًا أو ثناء من أحد أو جزاء منه، وإنما يبتغي وجه الله، كما قال - عز وجل -: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ثم قال - تعالى -: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أي: سوف يرضى بالجزاء والثواب من الله.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان الله لعباده طريق الحق من الباطل، فقد أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وبين لهم أسباب السعادة وأسباب الشقاوة.
- أن من تولى عن الحق، وأعرض عنه سوف يلاقي العذاب، وأن التقى الذي زكى ماله وطهره لا يبتغي إلا وجه ربه سوف يرضى بما أعد الله له من الثواب والأجر تصديقاً لوعده الحق في قوله - عز وجل -: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

- أن في الآيات (١٩-٢١) إخباراً مستقبلياً أن الله -عز وجل- سوف يعطي شديد التقوى الذي يبذل ماله ابتغاء المزيد من الخير، والذي ينفق ماله ليس مكافأة لمن أسدى إليه معروفًا، ولكنه يبتغي بذلك وجه ربّه الأعلى ورضاه، فإن الله سوف يعطيه في الجنة ما يرضى به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الضحى

مكية، وآياتها إحدى عشرة آية

﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾
 وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥﴾
 أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧﴾ وَوَجَدَكَ
 عَابِلًا فَأَغْنَىٰ ٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠﴾
 وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ هذا قسم من الله -عز وجل-، والمراد به: بداية النهار من طلوع الشمس إلى ارتفاعها قيد رمح إلى الزوال ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: اشتدت ظلمته، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة

في قوله-تعالى-: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ قال: «سكن بالخلق».

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ هذا هو الجواب، فقد أقسم الله- وقسمه الحق- أنه ما ترك نبيه رسوله محمداً- ﷺ-، ولا أبغضه، والأصل فيه: أن جبريل-عليه السلام- أبطأ على رسول الله- ﷺ- بالوحي، فقال المشركون: لقد قلناه ربه، وودعه، فنزلت الآية بهذا القسم العظيم^(١)، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى-: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ يقول: «ما تركك ربك، وما أبغضك».

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أي: إن الدار الآخرة خير لك من دار الدنيا، ولهذا كان رسول الله- ﷺ- أشد الناس زهداً فيها، فكان يعاني أحياناً من الجوع، ويبيت الليالي وما في بيته إلا الماء أو قليل من التمر، مع أنه لو أراد لبسط الله له نعم الدنيا.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ هذا وعد من الله بأنه سيعطي نبيه في الآخرة ما يرضيه من الثواب، وما سيعطيه لأُمته من الفضائل على سائر الأمم، حيث ستكون شاهدة عليها يوم القيامة،

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، (رقم ٤٩٥٠)، ومسلم في كتاب الجهاد باب: ما لقي النبي- ﷺ- من أذى المشركين والمنافقين، (رقم ١٧٩٧).

وأخرج الطبري بسند صحيح عن ابن عباس قال: «عرض على رسول الله - ﷺ - ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا، فسر بذلك، فأنزل الله - تعالى -: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ، فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي من الأزواج والخدم».

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ هذه منة من الله على رسوله، وهو أنه ولد يتيماً، فقد توفي أبوه وهو في بطن أمه، ثم توفيت أمه وعمره ست سنوات، فكفله جده عبد المطلب، ثم توفي وعمره ثماني سنوات، ثم تولى كفالته عمُّه أبو طالب، فأحسن كفالته ورعايته، ودافع عنه، وأزره حينما بعثه الله.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ أي: كان يعيش في مكة لا يعرف من شرع الله شيئاً إلى أن بعثه الله، وعلمه الدين بعد أن عصمه من الشرك وجهل الجاهلين من قومه.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ هذه هي المنة الثالثة من الله على رسوله، والمراد: أنه كان فقيراً، فأغناه الله، ورزقه كفاف عيشه، فصبر على ما ناله من الفقر، وشكر على ما أصابه من نعمة، وأخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا

فَقَاوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ قال:

«كانت هذه منازل رسول الله - ﷺ - قبل أن يبعثه الله - سبحانه -».

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: كما كنت يتيمًا فأحسن إلى الأيتام،

فلا تقهرهم، ولا تذلمهم، وأحسن إليهم كما أحسن الله إليك في يتمك،

وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ

فَلَا تَقْهَرْ﴾ قال: «أي: لا تظلم».

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي: كما كنت لا تعرف شيئًا من أمور

الشرع قبل أن ينزل عليك الوحي والعلم، فلا تنهر من يريد الهداية،

ويطلب العلم، فكن له مرشدًا ومعينًا.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي: تحدث بنعمة الله عليك، حيث

هداك للإيمان، واختارك لرسالته.

أحكام وفوائد الآيات:

- قسم الله - وقسمه الحق - أنه ما ترك نبيه، ولا أبغضه، وذلك

إبطالًا لكيد المشركين، وظنونهم الفاسدة في أن الله ترك نبيه لما

أبطأ عليه الوحي.

- أن الله سيعطي نبيه ورسوله ما يرضيه في نفسه، فيكون شفيع

الخلائق يوم القيامة، بعد أن يعتذر الأنبياء والمرسلون عن هذه الشفاعة، كما أنه- عز وجل- سيعطيه ما يسره في أمته، حيث يجعل لها المنزلة العالية بين الأمم، ومن ذلك: شهادتها عليهم.

- نعم الله على نبيه، فقد هيا له أسباب كفالته حين يتمه، وعلمه شرعه بعد أن كان لا يعرف منه شيئاً، كما قال- تعالى:-
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ
مِّنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، كما هيا له غناه عن خلقه بأن أغناه
على قدر حاجته، فكان في فقره صابراً وشاكراً، وكان في غناه
حامداً وشاكراً.

- أنه حذف مفعول ﴿قَلَى﴾ لدلالة ﴿وَدَّعَكَ﴾ عليه، كما قال-
تعالى:- ﴿وَالَّذِكْرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالدَّكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]،
وهو إيجاز لفظي؛ لظهور المحذوف، ومثله قوله: ﴿فَقَاوَى﴾،
﴿فَهَدَى﴾، ﴿فَأَغْنَى﴾.

- أنه جيء بفاء التعقيب في قوله: ﴿فَتَرَضَى﴾ لإفادة كون العطاء عاجل النفع، بحيث يحصل به رضا المعطي عند العطاء، فلا يترقب أن يحصل نفعه بعد تَرَبُّص^(١).

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٢ / ٣٩٨).

- أنه حذف المفعول الثاني لـ ﴿يُعْطِيكَ﴾ ليُعَمَّ كُلُّ ما يَرْجُوهُ من خير لنفسه ولأُمَّته.
- توجيهه الله لرسوله محمد - ﷺ - بالرفق باليتامى والسائلين، والتحدث بنعم الله عليه، وأولها: نعمة الإيمان، ونعمة الرسالة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشرح

مكية، وآياتها ثمانى آيات

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ٢ ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ٣ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٤ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٦ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ٧ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبْ﴾ ٨ .

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ استفهام تقريرى، والمراد: أننا شرحنا صدرك، ونورناه بالإيمان وبالوحي والعلم، وأخرج مسلم بسنده عن أنس بن مالك: «أن رسول الله - ﷺ - أتاه جبريل - ﷺ - وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب

بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره)، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون»^(١).

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ أي: غفرنا لك ذنبك قبل النبوة، كما قال-تعالى:- ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وقد يكون المراد: أزلنا عنك ثقل أيام الجاهلية ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: أثقله، فيكون المراد تبعات الجاهلية قبل النبوة، وكونه لم يعبد الله حق عبادته في تلك الفترة.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أعلی الله ذكره، فيذكر مع ذكره في الأذان، والإقامة، والتشهد، وعلى المنابر، وفي الجمع والأعياد وغيرها، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال: «رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: إن مع الضيق والشدة والفقر سعة وغنى ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تأكيد للحكم، وأخرج ابن أبي الدنيا

(١) الصحيح، (١/١٤٧)، (حديث بعد ١٦٢)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله -ﷺ- إلى السماوات.

في الفرج بعد الشدة بسند حسن عن أسلم مولى عمر: «أن أبا عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-يقول: مهما ينزل بأمرك شدة يجعل الله له بعدها فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين»^(١).

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ أي: إذا فرغت من الصلاة فاجعل نفسك في ذكر الله وعبادته، وقد يكون المعنى: إذا فرغت من أمور الدنيا، وقمت إلى عبادة الله، فاجتهد فيها، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ قال: «إذا فرغت من أمر دنياك ﴿فَانصَبْ﴾ فَصَلِّ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ أي: أخلص النية والرغبة في طاعة ربك».

أحكام وفوائد الآيات:

- كرامة الله ومحبته لنبيه ورسوله محمد-ﷺ-، فقد شرح صدره للإيمان، كما قال-تعالى-: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكما شرح صدره غفر له ما كان له قبل نزول الوحي عليه، مع أن الله عصمه من شرور الجاهلية،

(١) الفرج بعد الشدة، لابن أبي الدنيا، (ص: ٤٥)، وذكره الحافظ ابن حجر في تعلقيق التعليق، (٣٧٢/٤)،

وقال عن اسناده: «هذا إسناد حسن».

وإنما كان-عليه الصلاة والسلام-يتمنى أنه عبد الله حق عبادته في تلك الفترة التي لم ينزل عليه فيها الوحي، وكما غفر له ربه فقد رفع ذكره، فيذكر مع ذكره-عز وجل-في الصلاة والإقامة والتشهد.

- أن جملة ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تأكيد لجملة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، ومن المقرر أنَّ المقصود في مثله هو تأكيد الحكم الذي تَضَمَّنَه الخبرُ، ولا شكَّ أنَّ الحكم المستفاد من هذه الجملة هو ثبوت التحاق اليسر بالعسر عند حصوله، فكان التأكيد مفيداً لترجيح أثر اليسر في أثر العسر.

- قال ابن عاشور: «الفاء في قوله: ﴿فَأَرْغَب﴾ رابطة للفعل؛ لأنَّ تقديم المعمول لما أفاد الاختصاص نشأ منه الاشتراط نحو تقديم المجرور ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]»^(١).

- قال الزمخشري: «فإن قلت: إِنَّ (مع) للصحبة، فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟، قلت: أراد أنَّ الله-تعالى-يصيبهم بيسرٍ بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فَقَرَّبَ اليسر المترقَّب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادةً في التسلية، وتقوية للقلوب»^(٢).

- أن في الآيتين (٥-٦) إخباراً مستقبلياً وتأكيده بأنَّ الفَرَجَ من الله يأتي

(١) التحرير والتنوير، (١٢/٤١٧).

(٢) الكشف، (٤/٢٦٧).

مع شدة الضيق.

- منهج رسالة رسول الله - ﷺ - في الحياة، ومن ذلك: أنه إذا فرغ من أمر من أمور الدنيا وجب عليه أن يفرغ إلى عبادة ربه، وإذا فرغ من عبادة ربه، وأمامه أمر من أمور الدنيا، وجب عليه القيام به، وهكذا تكون حياته عملاً بين أمور الدين وأمر الدنيا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التين

مكية، وآياتها ثمان آيات

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ٢ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ٨ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ التين: فاكهة معروفة، وكذلك الزيتون، فالأول من أجود أنواع الفواكه وأطيبها، والزيتون كذلك، ومنه يستخرج الزيت، كما قال - تعالى -: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ

تَثْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغِ اللَّائِلِينَ ﴿٢٠﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقد ورد في تفسير هذه الآية أقوال، منها: أن مقتضى السياق يدل على أن التين والزيتون مكانان؛ ذلك أن الله-جل وعلا- لما قرن هذين الاسمين بطور سيناء والبلد الأمين-مكة-دل على أن المراد بالتين مسجد نوح الذي بني على الجودي-الجبل-، وسمي هذا الجبل بالتين؛ لأن شجر التين كان يكثر فيه، أما الزيتون فيطلق على الجبل الذي بني عليه المسجد الأقصى في القدس، وأن القدس من الأماكن التي يكثر فيها الزيتون، أما ظاهر الآية فيدل على أنهما الفاكهتان المعروفتان للناس كما ذكر.

﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ المراد به: الجبل الذي كلم الله عليه موسى-عليه السلام-، وهو معروف في أرض مصر، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَطُورِ﴾ قال: «الجبل سَيْنِينَ» قال: المبارك..

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أي: مكة، وقد أقسم الله بهذه الأسماء من مخلوقاته، أما جواب القسم فهو قوله-عز ذكره-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي: جعلناه في أحسن صورة، وتهيأت له أسباب الحياة في جسمه وعقله، كما قال-تعالى-:

﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. وقد يكون المراد الإنسان في عمومه، أو المراد به الإنسان الكافر المنكر للبعث، وقال الحافظ ابن حجر: «أخرج ابن المنذر، عن ابن عباس بإسناد حسن في بيان الآية قال: في أعدل خلق»^(١).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أي: إلى أرذل العمر، أو إلى النار بالنسبة للكافر منكر البعث، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى:- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: «رددناه إلى الهرم».

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لما ذكر-عز وجل-أن الإنسان قد يرد إلى أرذل العمر استثنى المؤمنين، فهؤلاء لا ينقطع أجرهم إذا مرضوا أو شاخوا، فلم يستطيعوا القيام بالعمل الذي كانوا يعملونه في حال صحتهم وشبابهم، وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس في قوله-تعالى:- ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال: «غير منقوص».

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ هذا خطاب للكافر منكر البعث، والمراد: إذا عرفت-وأنت تعرف أيها الإنسان-أن الله هو الذي خلقك من

(١) فتح الباري، (٨/٧١٣).

عدم، وصورك فأحسن صورتك، وهياً لك أسباب الحياة، وأنه بعد شبابك سيردك إلى أرذل العمر، ثم يميّتك، فلماذا تنكر بعثك، وأنت تعرف أن الذي خلقك وأماتك هو الذي سيبعثك؟، كما أخرج الطبري بسند صحيح عن منصور قال: «قلت لمجاهد في قوله-تعالى-: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ عني به الرسول-ﷺ-؟، قال: معاذ الله!، عني به الإنسان».

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ أي: ألم يكن الله أحكم الحاكمين، الذي أوجدهم من عدمهم، وأحسن خلقهم؟ بلى!، وكل المخلوقين على ذلك من الشاهدين، فلا أحد أعدل منه في حكمه وقضائه، فقد قضى بالحق، وحرّم الظلم على نفسه وبين عباده، فله الحمد والمنة في كل حال.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الله ذكر التين والزيتون، وهما الفاكهتان المعروفتان، وهذا دليل على خصائصهما الغذائية، فما من فاكهة أو غذاء يذكره الله إلا وفيه المنافع التي قد لا يعرفها الإنسان.
- مكانة جبل الطور الذي كلم الله فيه موسى-عليه السلام-.
- قسم الله به، وقسمه الحق.

- علو مكانة مكة، وشرفها، وحرمتها.
- نعم الله على الإنسان.
- أنه كَوَّنَه وصَوَّرَه في أحسن صورة، وجعل خلقه أحسن خلق.
- ومن هذه النعم: أنه إذا كان يعمل عملاً صالحاً، ثم مرض أو شاخ لم ينقطع عمله الذي كان يعملهُ وهو صحيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العلق

مكية، وآياتها تسع عشرة آية

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ هذه الآية والآيات الأربع بعدها أول ما نزل من القرآن في أشهر الأقوال، فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله -ﷺ- من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه (وهو

(التعب) الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (١).

قوله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اقرأ يا نبينا ورسولنا محمداً ما أنزل الله إليك من القرآن، فاقرأه وأنت مستفتح باسم ربك .
﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ أي: خلق كل شيء في الكون في علوه وسفليه
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أي: الذي خلق ابن آدم من دم متجمد، بعد أن كان نطفة من ماء امتزج من زوجين مختلفين في تكوينهما، وأخرج البخاري بسنده عن عبد الله ابن مسعود قال: «حدثنا رسول الله - ﷺ -، وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يُجمع في بطن

(١) الصحيح، (رقم ٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ -، (رقم ١٦٠)

أُمّه أربعين يوماً، ثم علقه مثل ذلك.. الحديث»^(١).

﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي: اقرأ ما أنزل إليك، واعلم أن ربك الكريم العظيم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي: علم الإنسان الكتابة بالقلم ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ المراد بالإنسان هنا آدم، فقد علمه الله الأسماء، كما قال-عز وجل-: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

أحكام وفوائد الآيات:

- نزول الوحي على رسول الله - ﷺ - بالآيات الخمس الأولى من سورة العلق.
- وجوب افتتاح قراءة سور القرآن باسم الله، باستثناء سورة التوبة.
- أن بداية خلق الإنسان من النطفة، ثم يتدرج إلى علقه، ثم إلى مضغة.
- أن على الإنسان أن يستذكر دائماً أصل خلقته، وينبغي أن يدعوّه هذا إلى التواضع.
- أن الله-عز وجل-هو الكريم الذي أكرم عباده بالحلم عليهم

(١) الصحيح، (١١/٤٨٦)، (حديث ٦٥٩٤)، كتاب القدر، وأخرجه مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب: كيفية خلق آدمي في بطن أمه.

ورحمتهم إذا اتجهوا إليه بقلوبهم.

- فضل الله على الإنسان حين علمه الكتابة بالقلم؛ لأن الإنسان ما علم من علم إلا وقد علمه الله له، كما قال-تعالى:- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى ۖ ﴿٦﴾ أَنْ رَّءَاهُ اسْتَغْنَى ۖ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ۖ ﴿٨﴾ أَرَعَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَعَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَعَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۖ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى ۖ ﴿٦﴾ أَنْ رَّءَاهُ اسْتَغْنَى ۖ ﴿٧﴾﴾ هذا بيان من الله-وبيانه الحق-أن الإنسان إذا لم يؤمن بالله فسوف يتجاوز الحدود في سلوكه وتصرفه، فيظلم، ويبطش، ويفعل كل منكر، ومثل ذلك: ما كان يفعله أبو جهل في محاربته لشريعة الله التي أرسلها الله إلى رسوله؛ ليبليغ بها الناس، ويخرجهم بها من الضلال، فقد استغنى هذا

الكافر بقومه وأنصاره وأعوانه.

قوله- عز وجل:- ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أُلُّجَعَىٰ﴾ أي: إلى الله المرجع

والمعاد، وعنده الحساب والجزاء.

﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ المراد به أبو جهل، فقد

كان يأتي إلى الحرم فيهدد رسول الله -ﷺ-، ويتوعده إن رآه يصلي،

كما أخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله-تعالى:-

﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ قال: «أبو جهل ينهى

محمدًا -ﷺ- إذا صلى».

﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ أي: أرأيت أيها الكافر الطاغية إن كان هذا

المصلي محمد -ﷺ- على الهدى والحق الذي يؤدي بمن اتبعه إلى

السعادة في الدارين، كما يأمر غيره بالتقوى؛ لكي ينجو من العذاب؟،

هل تعاديه، وهو لم يفعل إلا ما فيه خيركم ونجاتكم من العذاب؟.

﴿أَرَعَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ المراد به: أبو جهل، فقد كذب

بكتاب الله، وأعرض عن الإقرار برسالة رسول الله -ﷺ-.

ثم قال- عز وجل:- ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي: ألم يعلم هذا

الطاغية أن الله يراه، ويعلم كفره، وطغيانه، واستكباره عن الحق،

ومعاداته له.

﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهُ﴾ أي: إذا لم ينته أبو جهل عن إيذاء رسول الله ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: لنأخذنه بناصيته، فيسحب إلى جهنم ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي: المراد بها ناصية أبي جهل، فهي كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: فليدع قومه وعشيرته، ويرى هل ينفعونه؟ والجواب: لن ينفعوه.

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ أي: الملائكة الغلاظ الذين سيجرونه إلى النار، وأخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟»، قال: فقل: نعم!، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، قال: فقل له: ما لك؟، فقال: إن بيني وبينه لخدقا من نار وهولا وأجحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا» قال: فأنزل الله- عز وجل-(لا ندري في حديث أبي هريرة، أو شيء

بلغه): ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ ٦ ﴿أَن رَّءَاهُ أَسْتَغْفَىٰ﴾ ٧ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ ٨ ﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ ٩ ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ ١٠ ﴿أَرَعَيْتَ﴾ ١١ ﴿إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ ١٢ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ ١٣ ﴿أَرَعَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ١٤ ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ١٥ ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ١٦ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ١٧ ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ ١٨ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ ١٩ ، زاد عبيد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به، وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني قومه»^(١).

وأخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كان النبي -ﷺ- يصلي، فجاء أبو جهل، فقال: ألم أنك عن هذا؟، ألم أنك عن هذا؟، ألم أنك عن هذا؟، «فانصرف النبي -ﷺ-، فزبره»، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ١٧ ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ ، فقال ابن عباس: «والله لو دعا نادية لأخذته زبانية الله»^(٢).

(١) الصحيح، (٤/٢١٥٤-٢١٥٥)، كتاب صفات المنافقين، باب: قوله-تعالى-: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ ٦ ﴿أَن رَّءَاهُ أَسْتَغْفَىٰ﴾ ٧ (رقم ٢٧٩٧).

(٢) السنن، (٥/٤٤٤)، كتاب التفسير، باب: قوله-تعالى-: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ هذا أمر من الله لرسوله، يقول فيه: لا تطع أبا جهل فيما يطلب منك من ترك صلاتك، فاسجد لله، واقترب من ربك بطاعته وعبادته، وهذه من سجدة القرآن، فقد أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال: «سجدنا مع النبي -ﷺ- في ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ و﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾»^(١).

أحكام وفوائد الآيات:

- طغيان الإنسان إذا لم يهتد بما أمره الله به، وهذا هو ما حدث بالنسبة لكفار قريش، وعلى رأسهم أبو جهل، فقد أعماهم الهوى عن اتباع الحق، وقد توعد الله من لم يؤمن منهم بالعذاب في الدنيا والآخرة، وقد حدث هذا بالفعل لعدد من رؤسائهم حين قتلوا في معركة بدر شر قتلة، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب.
- أن في الآية (٦) إخباراً مستقبلياً بأن الإنسان إذا أبطره الغنى فإنه سيتجاوز حدود الله.

- مشروعية السجدة بعد نهاية قراءة هذه السورة.

(١) الصحيح، (١/٤٠٦)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة، (حديث ٥٧٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القدر

مكية، وآياتها خمس آيات

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥ ﴾

بيان الآيات:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ المراد بالمنزل في هذه الليلة القرآن، أي: كان نزوله في ليلة القدر جملةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وقد أملاه جبريل على الملائكة الكتبة، ثم صار يقوم بتنزيله على رسول الله - ﷺ - منجماً ثلاثاً وعشرين سنة.

كما أخرج الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس- رضي الله عنهما- في قوله- تعالى-: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ قال: «أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، وكان بموقع النجوم، وكان الله ينزله على رسول الله - ﷺ - بعضه في إثر بعض، قال: وقالوا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً

وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢].^(١)

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا توكيد وتعظيم لشأنها، وهي ليلة الحكم، وسميت بهذا الاسم لأن الله يقدر فيها ما يشاء من أمره، والمراد: أن كل أمر قدره الله وقضاه مكتوب في اللوح المحفوظ، وفي ليلة القدر يعطي الملائكة ما قدره الله في تلك السنة؛ ليجري نفاذه بأمر الله، وأخرج البخاري بسنده عن ابن عمر-رضي الله عنهما-: «أن رجلاً من أصحاب النبي -ﷺ- أُرُوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله -ﷺ-: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»^(٢).

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: أن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: تهبط فيها الملائكة من كل سماء، وذلك لفضلها ﴿وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ المراد به جبريل ﴿يَاذُنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بأمره وإرادته ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: بكل أمر قضاه الله وقدره في تلك السنة إلى السنة القادمة.

(١) المستدرک، (٢/٢٢٣)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، (٧/٢٤٧).

(٢) الصحيح، (٤/٣٠١)، كتاب فضل ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، (حديث ٢٠١٥).

﴿سَلَّمَ﴾ أي: أنها ليلة سلام وبركة ﴿هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي: وقتها من مغيب الشمس إلى طلوع الفجر، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال: «يقضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها»، وأخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله-تعالى-: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قال: «هي خير كلها إلى مطلع الفجر».

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان أن القرآن نزل في ليلة القدر جملة واحدة من اللوح المحفوظ، ثم أنزل على رسول الله -ﷺ- منجماً، وكانت بداية نزوله في رمضان، كما قال-تعالى-: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

- تقرير فضل ليلة القدر، وفي حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-أن رسول الله -ﷺ- قال: «أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله-عز وجل-عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»^(١)، ويندب قيام تلك الليلة، والدعاء

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (٥٩/١٢)، (رقم ٧١٤٨)، والنسائي في كتاب الصيام، (رقم ٢١٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

- فيها، ابتغاء قبول الدعوة فيها، وقد حث رسول الله - ﷺ - على التماسها في العشر الأواخر من رمضان.
- اكتمل نزول القرآن الكريم في ثلاث وعشرين سنة، بدءاً بليلة القدر من رمضان تعظيماً لليلة التي نزل فيها القرآن، فإنَّ الملائكة تَنَزَّلُ، وتملأ السماء والأرض، وتُسَلِّم على المؤمنين القائمين حتى مطلع الفجر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البينة

مدنية، وآياتها ثماني آيات

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۚ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۖ﴾ .

بيان الآيات:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾

المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، والمراد بالمشركين عبدة الأوثان والأصنام.

﴿مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: لن يكونوا منتهين عن كفرهم وضلالهم حتى أتتهم البينة، وهي رسول الله - ﷺ -، ومعه القرآن ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: مبعوث من الله ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ أي: أن ما يتلوه من القرآن العظيم مطهر من الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي: كتب مستوية محكمة في مضمونها ومنهجها، والمراد بالكتب هنا الأحكام المفروضة.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: ما تفرق اليهود والنصارى إلا من بعدما جاءهم رسول الله - ﷺ -، فقد كانوا قبل بعثته مؤمنين بنبي في آخر الزمان يجدد دين الله، فلما بعث - عليه الصلاة والسلام - فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر به حسداً وكرهاً، مع علمهم بنبوته ورسالته.

ثم قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ أي: ما أمروا في دينهم، وعلى لسان رسلكم إلا بالإخلاص في عبادتهم لله، ولا يشركوا به شيئاً، وأن يكونوا حنفاء أي: مائلين إلى دين الإسلام.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: يقيموا الصلاة في

أوقاتها وأركانها وشروطها، ويؤتوا الزكاة كما أمرهم الله بإخراجها طيبة بها نفوسهم .

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: هذا هو دين الملة الصائبة الخيرة.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الديانات التي كانت قبل الإسلام-وهي: اليهودية والنصرانية-قد تعرضت للتحريف والتبديل من الذين تعاقبوا عليها، واتبعوا أهواءهم فيها، فكان من قضاء الله وقدره أن يختار الإسلام؛ ليكون الدين الخاتم للبشرية.

- أن أهل كِلْتَا الديانتين كانوا يؤمنون بمجيء رسول الله -ﷺ-؛ ليجدد دين الله الذي تعرض للتحريف، وكانوا يقرؤون مجيئه في كتبهم، فلما بعث-عليه الصلاة والسلام-، وجاء معه بالقرآن، آمن به بعضهم، وكفر به البعض الآخر، وما زال هذا البعض منذ ذلك الوقت إلى هذا اليوم يعادي هذا الدين، ويكفر به، ويفعل كل ما يصد الناس عنه، تارة بالإغراء، وتارة بالإكراه.

- أن هؤلاء وغيرهم لم يؤمروا إلا بعبادة الله وحده، والتبرؤ من الشرك به، ووجوب الالتزام بدين الإسلام، وأن يقيموا الصلاة،

ويؤتوا الزكاة؛ لأن ذلك هو دين الملة المستقيمة الصحيحة.

- أن الديانات التي كانت قبل الإسلام تَعَرَّضَتْ للتحريف والتبديل من الذين تعاقبوا عليها، واتبعوا أهواءهم فيها، فكان من قضاء الله وقدره أن يختار الإسلام؛ ليكون الدين الخاتم للبشرية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٧ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ٨﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ لما ذكر- عز وجل- أن دين الإسلام هو الملة القيمة بين عاقبة الذين كفروا أو يكفرون به من أهل الكتاب أو المشركين، أو من كان على ملتهم ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أي: أن النار مصير هؤلاء؛ لأنهم شر الخليقة.

ثم بين- عجل -نقيضهم، وهم المؤمنون، فقال- عز ذكره-: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾ أي: أن الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله وكتابه، وعملوا الصالحات هم خير الخليقة.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: سوف يجازيهم يوم القيامة ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ﴾ أي: جنان دائمة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ من المياه والعسل والخمر ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: لا يخرجون منها ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بسبب توحيدهم وطاعتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعد لهم من الثواب ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: أن هذا الجزاء الذي وعدهم الله به هو جزاء لمن خشي الله، واتقاه.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان أن النار ستكون جزاء من كفر بدين الإسلام، سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم، وأن الجنة بما فيها من النعيم المقيم ستكون جزاء لمن آمن بالإسلام، والتزم به قولاً وعملاً، فأحل ما أحله، وحرّم ما حرّمه، وأن الخشية من الله سبب يوصل إلى رضوانه.

- قال الفخر الرازي: «فإن قيل: لِمَ ذكر ﴿كَفَرُوا﴾ بلفظ الفعل، و ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ باسم الفاعل؟، فالجواب: تنبيهاً على أن أهل

- الكتاب ما كانوا كافرين من أول الأمر؛ لأنَّهم ماتوا مُصَدِّقِينَ بالتوراة والإنجيل، ومُقرِّين بمبعث محمد ﷺ، ثم إنَّهم كفروا بذلك بعد مَبْعَثِهِ -عليه السلام-، بخلاف المشركين، فإنَّهم وُلِدُوا على عبادة الأوثان، وإنكار الحشر^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الزلزلة

مدنية، وآياتها ثمانى آيات

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝
وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى
لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: إذا تحركت، واضطربت بقيام الساعة ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: أخرجت ما فيها من الأموات؛ ليقوموا إلى يوم المعاد عند رب العالمين.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ أي: استغرب المال الذي آلت إليه من

(١) التفسير الكبير، للرازي، (٤٩/٣١).

الحركة والاضطراب، بعد أن كانت ساكنة مستقرة.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي: في ذلك اليوم العظيم الذي انقلب فيه الكون تتحدث الأرض عما حدث فيها من طاعة الله من قبل المؤمنين، وما حدث فيها من معصية الله من قبل العاصين، فتشهد على كل من عمل فيها خيراً أو شراً.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أي: أمرها أن تتحدث بما كان عليها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: في ذلك اليوم العظيم ينتهي العباد أشتاتاً، أي: أنواعاً من موقف الحساب، فهذا سعيد يذهب إلى الجنة، وذلك شقي يذهب إلى النار-والعياذ بالله-.

﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: يرون حينئذ نتائج أعمالهم في الدنيا، فيفرح المؤمن بما عمله، ويحزن الكافر لما عمله. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ أي: أن من يعمل في الدنيا وزن ذرة فلن يبخره الله، بل يجازيه عليه. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وكذلك من يعمل وزن ذرة من شر يُجَزَّ عليه، ولكن الله يعفو عن المؤمنين.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان ما يحدث في الأرض من الحركة والاضطراب عند النفخة الثانية، فتخرج الأرض ما فيها من الأموات، ويكونون قياماً لرب

العالمين، كما قال-تعالى:- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

- أن الناس بعد الحساب يتفرقون إلى فرق، فمنهم: أخذ كتابه
بيمينه إلى الجنة، ومنهم: أخذ كتابه بشماله إلى النار.

- أن الله لا يظلم أحداً من خلقه، كما قال-تعالى:- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، فدل

هذا على أن كل عمل يعمل المرء من خير أو شر يجزى
عليه، فمن تصدق بالكثير جزي عليه ومن تصدق بالقليل جُزي
عليه، كما قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»^(١).

- أنه ثبت علمياً أن البراكين الكبيرة تسبقها دائماً زلازل كثيرة في
عددها، وهذا يؤكد ما قرره القرآن من أن الأرض تُخرج أثقالها بعد
حدوث زلزالها^(٢).

- أنه جرى الأسلوب في الآيتين: (٧-٨) على الإطناب؛ لتكون كلُّ جملةٍ
مستقلةً الدلالة على المراد؛ لتختصَّ كل جملة بغرضها من الترغيب
والترهيب.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»، (رقم ١٤١٣)، ومسلم في كتاب الزكاة،
باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، (رقم ١٠١٦).

(٢) مجلة الإعجاز العلمي، (ص ١٠)، العدد (٣٣)، جمادى الآخرة، ١٤٣٠هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العاديات

مكية، وآياتها إحدى عشرة آية

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ ضُبْحًا ۝٣ فَأُثْرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ أَلْحَرُ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ هذا قسم من الله-تعالى-بالعاديات، وهي الخيل تعدو في سبيل الله، فتضبح، أي: يكون لها صوت من أنفاسها في حال عدوها، ويسمى الحَمْحَمَة. ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ الموريات هي: الخيل توري النار بحوافرها ﴿فَالْمُغِيرَاتِ ضُبْحًا﴾ أي: الخيل حين تغير على العدو في الصباح وقت سكونه، كما قال-تعالى-: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧].

﴿فَأُثْرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ المراد: أن الخيل تثير الغبار بسبب قوة

عدوها في مكان إغارتها. ﴿فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ أي: توسطت جمع العدو لقتاله.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هذا هو جواب القسم، والمراد أن الإنسان لربه لكنود أي: جحود لنعم الله عليه، إلا من رحم الله بأن هداه للإسلام، ونور قلبه به. ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: إن الله-عز وجل-شاهد على هذا السلوك في الإنسان، كما أن الإنسان سيكون شهيدًا على نفسه، وذلك حين تنطق جوارحه بما عمل.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ المراد بالخير هنا المال، كما قال- تعالى:- ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠].

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: أثير وأخرج ما فيها من الأموات ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: أبرز ما كانت القلوب تخفيه، وتسره ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: عالم بأقوالهم وأفعالهم، وسوف يجازي كلًا بما عمل، كما قال-﴿عَلَّمَ﴾ : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان أن الإنسان إذا لم يهتد بنور الإسلام، وينشر صدره بالإيمان،

يكفر بنعم الله، وينسى فضله، ويستغني عنه، فلا يتذكر، ولا يندم إلا عند الحساب أو الجزاء، أو عندما تصيبه مصيبة، أو تنزل به نازلة، كما قال-تعالى:- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨].

- أن الإنسان يلثث وراء المال، ويحاول الاستكثار منه بأي وسيلة، كما قال-تعالى:- ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

- قال الخبراء: إن الخيول تتمتع بنظام تشريحي غير عادي في قاع الجمجمة، يعمل على تبريد الدماء التي تصل إلى المخ، فالحيوانات الرياضية كالخيول يجب أن تظل درجة حرارة رؤوسها أقل من أربعين درجة مئوية خلال التدريبات العنيفة، وإلا تعرضت إلى تَلَفٍ في المخ، ويؤكد العلماء أنه لولا هذا النظام للتبريد في رؤوس الخيول لما استطاعت العدو السريع^(١).

- في الآية (١٠) قال أهل اللغة: الحاصل من كل شيء: ما بقي وثبت، وذهب ما سواه، والتحصيل: تمييز ما يحصل، والاسم الحصيلة، قال الشاعر:

وكلُّ امرئٍ يوماً سيعلم سَعْيَهُ

إِذَا حُصِّلَتْ عِنْدَ إِلَهِ الْحَصَائِلِ

(١) http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-19-30/1169-2013-04-07-20-54-31.

- أن الله-جل ثناؤه-شاهد على أعمال العبد وأقواله، كما أن العبد شاهد على نفسه، كما قال-تعالى:- ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القارعة

مكية، وآياتها إحدى عشرة آية

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْفُوشِ ٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ
٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا
هِيَ ١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴾.

بيان الآيات:

﴿الْقَارِعَةُ﴾ القارعة: من أسماء يوم القيامة، وسميت قارعة لأنها
تقرع القلوب بما فيها من الهول والفرع ﴿مَا الْقَارِعَةُ ٢﴾ وَمَا
أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ استفهام لتعظيم أمرها.

ثم فسر الله القارة بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ أي: مثلهم في انتشارهم وتفرقهم، وترددهم في ذهابهم وإيابهم، مثل الجراد الذي ينتشر في الجو.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ أي: مثل الجبال في تمزقها وتفتتها بعد انقلاب الكون مثل الصوف الذي تنفشه الأيدي، وتمزق ما يتجمع منه.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي: سيكون مصيره الجنة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: من رجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي: سيكون مسكنه ومقامه في الهاوية، ثم فسر- عز وجل- الهاوية بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي:

نار تتلظى، فيهوي فيها الكافر على رأسه، وفيه قول رسول الله -ﷺ-: «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله! إن كانت لكافية؟، فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً»^(١).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: في شدة حر نار جهنم، (رقم ٢٨٤٣).

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان يوم القيامة، وما فيه من الأهوال والفرع الأكبر، ومن ذلك:

انتشار الناس مثل الجراد، كما قال-تعالى:- ﴿خُشَّعًا أَبْصَرُهُمْ

يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ۖ مَّهْطِعِينَ إِلَى

الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٧-٨]

- أن الناس يوم القيامة فريقان: فريق رجحت حسناته على سيئاته،

فهذا يأخذ كتابه بيمينه، وفريق رجحت سيئاته على حسناته،

فهذا يأخذ كتابه بشماله.

- الهاء في ﴿هِيَ﴾ في الآية (١٠) هاء السكت، تُجَلَّبُ لأجل تخفيف

اللفظ عند الوقف عليه.

- في الحديث عن الفريقين لون من المحسنات البديعية يسمى

الاحتباك، وهو أن يُحذَفَ من كل نظير ما أثبتته في الآخر، فحذَفَ

من الأول (فأمه الجنة)، وذكر فيها ﴿عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، وحذف

من الآية الثانية: فهو في عيشة شقية، وذكر ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾،

فحذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التكاثر

مكية، وآياتها ثماني آيات

﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي: شغلكم حب المال والاستكثار منه
﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: جاءكم الموت، فصرتم في المقابر، لا تملكون لأنفسكم إلا ما قدمتم من العمل الصالح، أما المال فلم يعد ينفعكم إلا إذا كنتم قد بذلتموه في سبيل الله.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ليس الحال كما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر بالمال، وإنما سوف تعلمون عاقبة لهوكم وانشغالكم بالمال
﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند الاحتضار، وفي القبر، وفي الدار الآخرة أن ما وعدتكم به من مجازاتكم على أعمالكم حق وصدق.
﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي: لو علمتم ما سيكون لكم عند احتضاركم، وفي قبوركم، ويوم بعثكم، لما ألهتكم أموالكم. ﴿لَتَرَوُنَّ

الْجَحِيمِ ﴿٢٥﴾ أَي: لترؤن الجحيم يوم القيامة عياناً بأبصاركم ﴿٢٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٢٧﴾ أَي: ترونها يقيناً، وتشاهدونها بلا لبس ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٢٩﴾ أَي: سوف تسألون عما كنتم عليه في الدنيا من طيب الطعام والشراب والكساء والصحة والأمن.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن المال يكون وبلاً على صاحبه إذا ألهاه عن طاعة الله وعبادته، كما يكون وبلاً على صاحبه إذا أنفقه في غير سبيل الله.
- تقرير عذاب القبر، وقد مر رسول الله - ﷺ - بقبرين، وقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»^(١).
- واقعة الحساب والجزاء لأعمال العباد يوم القيامة، كما قال- تعالى:- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]
- أن العبد سوف يسأل عن النعم التي أنعم الله بها عليه في الدنيا، فإن كان قد شكر الله، وحمده عليها، وحافظ عليها، فقد فاز ونجا، وإن كفر بها عذب بها يوم القيامة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب: ما جاء في غسل البول، (رقم ٢١٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول، ووجوب الاستبراء منه، (رقم ٢٩٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العصر

مكية، وآياتها ثلاث آيات

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾.

بيان الآيات:

﴿وَالْعَصْرِ﴾ المراد به الدهر، وهذا قسم من الله بالدهر كله، وما

فيه من الآيات الدالة على صنعه-عز وجل-

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ هذا جواب القسم، والمراد: إن الإنسان

في عمومته في خسران ونقص وشر، ثم استثنى الله من هذا الخسران

المؤمنين الصادقين الذين عملوا الصالحات، فأدوا ما فرض الله عليهم

من صلاة وصيام وزكاة، كما قال-تعالى-: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ﴾ ثم أضاف-جل ثناؤه-صفتين أخريين إلى صفاتهم،

وهما: التواصي بالحق، أي: أوصى بعضهم بعضاً بتوحيد الله،

وطاعته، وتواصيهم بالصبر، أي: الصبر على طاعة الله، وعلى الكف

عن محارمه، والصبر على ما ينالهم من النوائب والمقادير، كما قال-

تعالى-: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والصبر على طاعة الله، سبب للفوز برضا الله، وأن من فقد ذلك فهو في خسران وهلاك، وهذا يقتضي من المسلمين أن يتواصوا بالحق، وهذا يشمل: التمسك بدينهم، والدفاع عنه، خاصة تجاه الهجمة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، وعم فيه الظلم، وابتلي فيه المؤمنون بالعديد من الفتن والمحن، وأن يتواصوا كذلك بالصبر على ما قد يتعرضون له بسبب دينهم.

- أنه أتى بقوله: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ ليكون أبلغ من قوله: لَخَاسِرٌ؛ وذلك أن «في» للظرفية، فكأنَّ الإنسان منغمسٌ في الخُسْرِ، والخُسْرَانِ محيطٌ به.

- أنه جاء الخبر مؤكِّداً بالقسم وحرف التوكيد ليفيدَ الإنذار بالحالة المحيطة بالناس، وجاء ﴿خُسْرٍ﴾ مُنْكَرًا ليفيدَ تنويعَ خُسْرَانِهِ، وتعميمه، وتهويله.

- أن هذه السورة الكريمة تضمنت-مع صغرها-صفات النفس الناجية يوم القيامة، وهي: الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فعلى المؤمن أن يتعاهد نفسه فيها.

- ذكر الشيخ محمد العثيمين قول الشافعي: «لو لم يُنزلِ الله على عباده حُجَّةً إلا هذه السورة لكفتهم»، وقال: «يعني كَفَتْهُمْ موعظةً، وَحَثًّا على التمسك بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة، لكن كَفَتْهُمْ موعظةً، فكل إنسان عاقل إذا عرف أنه في خسر إلا إذا اتصف بهذه الصفات الأربع فإنه سوف يحاول بقدر ما يستطيع أن يتصف بهذه الصفات الأربع، وإلى تخليص نفسه من الخسران»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الهمزة

مكية، وآياتها تسع آيات

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٦
إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٧ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝٨﴾.

(١) تفسير جزء عم ص ٣١٧.

بيان الآيات:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الويل معناه: الخزي والعذاب، والهمزة:

من يهمز بالقول، فهو هماز، واللمزة: من يلمز بالفعل، والمراد: من يتنقص الناس، ويؤذيهم بلسانه، فيمشي بينهم بالنميمة وسوء القول، فيفسدهم، ويشتت جمعهم.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أي: جمع ماله، وعرف عدده، ومن حرصه عليه انشغل في عَدِّه عن طاعة الله في ليل أو نهار ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: يظن أن جمعه للمال وحرصه عليه سيخلده في الدنيا.

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعم ﴿لَيُتَّبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ أي: ليطرحن في الحطمة، ويلقى فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ هذا تعظيم لهولها وشأنها، فقال-عز وجل-مفسراً لها: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ أي: التي أوقدت أعواماً طويلة، فهي دائمة الوقود ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ أي: تحرق من فيها، فتحرق قلوب من فيها وأجسامهم.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَدَةٌ﴾ أي: مغلقة ومطبقة، لا يخرجون منها،

ولا يستريحون من لهيبها ولظاها ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ أي: يعذبون فيها بأعمدة من حديد، وتقول لهم الملائكة خزنة جهنم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨].

أحكام وفوائد الآيات:

- أن التفاضل بين الناس بقيم الإيمان، لا بجمع الأموال وكثرتها.
- قال الطبري في الآية (٢): «أي: أحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يُؤدِّ حقَّ الله فيه، ولكنه جمعه، فأوعاه وحفظه»^(١).
- تحريم الهمز واللمز، واغتياب الناس، والتنقص منهم، أو إيذائهم، وفي ذلك قال-تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وقال-تعالى-: ﴿هَمَّازٍ مَشْأَمٍ بَنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وفيه قول رسول الله -ﷺ-: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٢).

- التهديد والوعيد لمن يغتر بماله، فيصده عن طاعة الله.

(١) تفسير الطبري، (٣٠ / ١٨٩)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، (رقم ١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام، (رقم ٤٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفيل

مكية، وآياتها خمس آيات

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ
 كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ
 بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ هذه الآية وما بعدها تبين واقعة الفيل، وما قدّره الله فيها لحماية بيته الحرام، وكانت تلك الواقعة قريبة من ولادة رسول الله -ﷺ-، وخلاصة هذه الواقعة: أن اليمن كانت تتبع الحبشة، وكان واليها يسمى أبرهة، وكانت مكة مشهورة بالبيت الحرام، فيحج إليها الناس، ويتبادلون فيها التجارة، ففكر أبرهة أن يبني بيتاً أي: كنيسة كبيرة في صنعاء، بحيث يصرف الناس إليها، ومعهم تجاراتهم، فعرض فكرته على ملك الحبشة، فسرّ بها، وأمره بتنفيذها، ولما بنى هذا البيت، وسماه القُلَيْسَ- وكان هذا بناء عظيمًا- سمع به الناس، فجاء رجل من قريش، فتغوط فيه، ولطخ جدرانه بالعدرة، ولما عرف أبرهة بذلك استشاط غضبًا، وحلف أن يهدم الكعبة، فجهز جيشًا عظيمًا يتقدمه الفيلة،

وكلما مر في طريقه بقومٍ أو حيٍّ من العرب، وأرادوا صده هزمهم، ولما وصل قريباً من مكة انضم إليه أبو رغال؛ ليدله عليها، فمات في الطريق، فرجمت العرب قبره، ولما انتهى قريباً من مكة كان شيخها آنذاك عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله -ﷺ-، فجرت بينه وبين أبرهة مفاوضات انتهت إلى أن يرد أبرهة إبل عبد المطلب التي كان قد استولى عليها، أما الكعبة فشأنه بها؛ ذلك أن عبد المطلب سأل أبرهة إبله، فقال له: لقد أعجبتني حين رأيتك، ولكن زهدت فيك حين كلمتني في منّي بعير، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، ولم تكلمني فيه؟، فقال له عبد المطلب: أنا رب الإبل، والبيت له رب سيحميّه، وتم جلاء أهل مكة إلى الجبال خشية ما سينالهم من الأذى بعد دخول جيش أبرهة مكة، ولما وصل جيشه إلى وادي مُحَسَّر، نزلت عليه فرق من الطير ترسل عليه حجارة صغيرة، وما تسقط هذه الحجارة على جند من جنوده إلا أهلكته، فهلك الجيش، وفرّ أبرهة راجعاً إلى بلاده، فهلك في الطريق.

قول الله-جل ثناؤه-: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ أي: ألم تعلم يا نبينا محمد ماذا حدث ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾؟، والمراد بهم: قوم أبرهة الذين جاؤوا، ومعهم الفيلة لهدم الكعبة.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي: ألم يجعل مسعاهم لهدم

الكعبة في ضياع وخسران؟.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أي: جماعات متتابعة ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: تقذفهم بحجارة من طين متحجر ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي: جعلهم مثل ورق الزرع (التبن) الذي أكلته الدواب.

أحكام وفوائد الآيات:

- بيان واقعة الفيل، وما فيها من العبر التي تدل على قدرة الله وعظمته بإهلاك الظالمين والمتعدين على الحرمات.
- تذكير قريش بما أنعم الله عليهم من حماية بيته، وحمايتهم من غزو الحبشة لهم، ومن ثم تذكيرهم بأن الله قادر على معاقبتهم إذا استمروا في تكذيبهم لرسوله محمد - ﷺ -.

أن الذين يتآمرون مع العدو لا يفلحون، فقد كان أبو رغال دليلاً لجيش أبرهة مقابل عفوه عن قومه، فكانت عاقبة أمره هلاكه في الطريق، وقد دلت الدلائل والعبر أنه ما من فرد أو قوم أو جماعة مالؤوا العدو على هتك حرمت الله إلا أهلكهم الله في الدنيا، ولهم سوء العاقبة في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة قريش

مكية، وآياتها أربع آيات

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١ إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ
خَوْفٍ ۝٤﴾ .

بيان الآيات:

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ قيل: إن هذه السورة متصلة في المعنى بسورة الفيل، أي: إن الله أهلك أصحاب الفيل، لكي تأتلف قريش، أو لكي تأمن رحلتها: في الشتاء والصيف، وذلك إكراماً للبيت الذي تعيش قريش حوله، وقيل: إن المراد تذكير الله لأهل مكة نعمه وفضله عليهم فيما فعل بجيش الحبشة.

﴿إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ الرحلتان هما: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام، وذلك للاتجار مع أهل هذين البلدين، وجلب الطعام إلى مكة؛ لكونها بلداً غير ذي زرع، كما قال إبراهيم-عليه السلام- في مناجاته لربه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ لما بيّن الله حمايته لبيته، وامتنانه على أهله، أمرهم أن يشكروه بما يقتضي عبادته وطاعته؛ لأنه هو الذي هياً لهم أسباب الرزق، وجعل مقامهم عند بيته الحرام آمناً، كما قال-تعالى:- ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: ما كان هذا ليكون لهم إلا بفضل الله، وامتنانه عليهم، حيث كانت الأرزاق تصلهم بسهولة، وكان مَنْ حول مكة من العرب يعظمون البيت، ويحترمون أهله.

أحكام وفوائد الآيات:

- أن اختيار الله-ﷻ-نعمتي الأمن الغذائي والأمن الفكري، وامتنانه على قريش بهما، دليل أهميتهما في أيّ مجتمع.
- أن البيت الحرام معظّم قبل الإسلام، وزاد تعظيمه بعد الإسلام، وطهره الله.
- بيان نعمة الله على قريش، وأمر الله لها بشكر هذه النعمة، فلما لم تشكر انتقم ممن كفر منها بهذه النعمة، فتوالى عليهم الجذب سنوات حتى رفعه الله بفضل دعاء نبيه ورسوله محمد-ﷺ-.
- وجوب شكر الله على نعمه، ولا يكون هذا الشكر إلا بحمد المنعم، وعبادته، وطاعته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الماعون

مكية، وآياتها سبع آيات

﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَرَعَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ المراد: أرايت يا نبينا ورسولنا محمداً الذي يكذب بدين الله؟.

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفع اليتيم وينهره، ولا يعطف عليه، بسبب بخله ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ أي: لا يحث نفسه ولا غيره على إطعام الفقراء والمساكين، احتقاراً لهم، وتكبراً عليهم، فكانوا يقولون: ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ [يس: ٤٧].

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وبما أنَّ المحافظة على الصلاة تُعالج هذه الآفات المتقدمة؛ لأنَّ الصلاة تنهى

عن الفحشاء والمنكر، فقد تَوَعَّد الله-تعالى-بالهلاك والعقاب المُصَلِّين الذين يتشاغلون عن أداء الصلاة في وقتها وبشرطها ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ أي: يصلون مراعاةً ونفاقاً وتقية، فلا يصلون إيماناً بوجوب الصلاة عليهم، وإنما يصلون كذباً؛ ليقال: إنهم يصلون.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي: يمنعون إعارة أي شيء من حاجات المؤمنين، كأواني العمل أو الطبخ، وذلك لأنهم كانوا لا يودون المؤمنين، ولا يحبونهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- كفر من يكذب بدين الله كُلاًّ أو بعضاً، ويشمل ذلك من يستهزئ به همزاً أو لمزاً.
- أن إضافة «ربّ» إلى ضمير المخاطب لقصد تشريف النبي -ﷺ-، وتقريبه.
- أن أعداء الدعوة ما انفكوا في كلِّ زمان يثيرون الأوصاف المناوئة للدعوة ورجالها.
- تحريم أكل أموال اليتامى، أو هضم حقوقهم.
- تحريم ترك الصلاة، أو تأخيرها عن أوقاتها، والتنديد بمن يمنع العارية لمن يحتاجها إذا كان غير محتاج إليها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الكوثر

مكية، وآياتها ثلاث آيات

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ المخاطب رسول الله - ﷺ -، وفي معنى الكوثر عدة أقوال، منها: أنه نهر في الجنة^(١)، ومنها: أنه حوض النبي - ﷺ - الذي ترد عليه أمته يوم القيامة.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ لما بين الله نعمته على رسوله - ﷺ - أمره أن يعبد الله وحده، ويخلص له الدين، وأن يقيم الصلاة المفروضة في

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، (رقم ٤٩٦٥)، من حديث عائشة، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: حجة من قال: إن البسمة آية من أول كل سورة، (رقم ٤٠٠)، من حديث أنس، قال: «بيننا رسول الله - ﷺ - ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله!، قال: «أنزلت على أنفا سورة»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾، ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟"، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي - عز وجل -، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، أنيته عدد النجوم، فيُختلج العبد منهم. فأقول: رب! إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك».

أوقاتها، وألا ينسى كذلك صلاة النوافل، وإذا نحر فليذكر اسم الله عليه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ إِنََّّ عدوّك الذي يبغضك هو المنقطع عن كلّ خير .

أحكام وفوائد الآيات:

- محبة الله لنبيه ورسوله محمد-ﷺ، وإكرامه إياه حين أعطاه الكوثر، ففي حديث أنس-رضي الله عنه-قال: «لما عُرج بالنبي-ﷺ إلى السماء قال: «أتيت على نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ مجوّف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟، قال: هذا الكوثر»^(١).
- أن إضافة «ربّ» إلى ضمير المخاطب لقصد تشريف النبي-ﷺ، وتقريبه.
- أن أعداء الدعوة ما انفكّوا في كلّ زمان يثيرون الأوصاف المناوئة للدعوة ورجالها.
- وجوب عبادة الله، وأداء ما فرضه على عباده من صلاة وزكاة وصيام وحج ونحر، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وأن تكون هذه العبادة خالصة لله.
- أن يكون النحر باسم الله وحده، فكل نحر لا يذكر عليه اسم الله لا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: من سورة الكوثر، (رقم ٤٩٦٤).

يحل أكله، كما قال- تعالى:- ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]، وقال- ﷺ:- ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الكافرون

مكية، وآياتها ست آيات

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المخاطب رسول الله- ﷺ-، وقد أمره الله أن يقول لكفار قريش، وكل كافر أيًا كان زمانه أو مكانه: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد ما تعبدونه من الأصنام، أي: الله وحده لا شريك له ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ تأكيد فيه نفي وجزم بأنه لن يعبد آلهتهم، والفطر

السليمة والعقول الرشيدة لا تعبد المخلوق، بل تعبد خالق المخلوق.

ولهذا قال لهم رسول الله -ﷺ-: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

أي: لكم دينكم الكفر، ولي دين الإسلام، وشتان بين هذا وهذا؛ فالكفر سبب يوصل إلى النار، والإسلام سبب يوصل إلى الجنة.

أحكام وفوائد الآيات:

- سفه المشركين وجهلهم حين طلبوا من رسول الله -ﷺ- عبادة آلهتهم، وقد أمره الله أن يقول لهم: إنه لن يعبد أصنامهم؛ لأنه لا يعبد إلا الله وحده، الذي خلقهم وخلق أصنامهم، وقد يؤس رسول الله -ﷺ- من هدايتهم، ولهذا قال فيما حكاه الله عنه: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، فجزم بعدم إيمانهم في المستقبل؛ لإصرارهم على الشرك، حتى أهلكهم الله في موقعة بدر وفي مكة.

- أنه جيء بـ(ما) الموصولة في قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ على كثرة استعمال (ما) لغير العاقل لقصد الإبهام؛ لتفيد التفخيم، كقوله -تعالى-: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥].

- أنه نفى أن يعبد آلهتهم بالجملة الاسمية للدلالة على الثبوت، وتقدمت بالجملة الفعلية لأنَّ المقام يقتضي مزيد بيان وإطناب؛ لتأييسهم ممَّا راودوه عليه، وجيء بالفعل.

- الماضي في قوله: ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ للدلالة على رسوخهم في عبادة الأصنام منذ أزمان مَضَتْ.
- أن الكفرة والمشركين لا يلتقون مع المؤمنين بأي حال.
- أن التكرار في هذه السورة للتأكيد في نفي طلبهم عبادة رسول الله - ﷺ - لأصنامهم؛ لأن من معاني التكرار التأكيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النصر

مدنية، وآياتها ثلاث آيات

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾.

بيان الآيات:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ أي: قد جاء نصر الله، وقد نزلت هذه السورة بعد فتح مكة^(١)، ودلّت على أن أجل رسول الله - ﷺ - قد قرب.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، (رقم ٤٢٩٤).

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: يتتابعون

جماعات جماعات، والمراد: أنه إذا جاءك نصر الله، ففتحت مكة، وانتصرت في معاركك، ودعوتك إلى الدين، ورأيت الناس من حولك يدخلون في دين الله جماعات متعددة، فعندئذ .

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: اشكره على ما هيأه لك من النصر

والفتوح، وسيادة الدين، واندحار المشركين .

﴿وَأَسْتَغْفِرُكَ﴾ أي: اطلب مغفرته، وقيل: المراد: استغفر لأمتك،

والأول أصح .

﴿إِنَّهُوَ كَانَ تَوَّابًا﴾ أي: يغفر ذنوب عباده، ويتقبل توبتهم

واستغفارهم.

أحكام وفوائد الآيات:

- أنه يجب على العبد أن يشكر الله على نعمه؛ لأن في ذلك زيادة

للشاكر من نعم الله، كما قال-تعالى:- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

- أن الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه دليلٌ ظاهر على صدق نبوته-

ﷺ؛ لأنَّ هذا من الإخبار بغيب المستقبل

- أن بعض الصحابة استنبط من هذه السورة أنها تَضَمَّنَتْ نَعْيَ النبيِّ - ﷺ -، وقُرِبَ أجله.

- وجوب الاستغفار، وقد كان رسول الله - ﷺ - يكثر من الاستغفار، فكان يقول بين ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»^(١)، وفي حديث عائشة: أن رسول الله - ﷺ - كان يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله، وأتوب إليه»، قالت: فقلت: يا رسول الله! أراك تكثر من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله، وأتوب إليه»، فقال: «أخبرني ربي إني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتهَا أَكْثَرْتُ من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله، وأتوب إليه، فقد رأيتهَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: الدعاء في الركوع، (رقم ٧٩٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: ما

يقال في الركوع والسجود، (رقم ٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، (رقم ٤٨٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المسد

مكية، وآياتها خمس آيات

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

بيان الآيات:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أبو لهب هو عم رسول الله -ﷺ-، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، ويكنى بأبي عتبة، وقيل: سمي بأبي لهب لحسن وجهه، وكان من ألد أعداء رسول الله -ﷺ-، فلما نزل قول الله -تعالى- على رسوله محمد -ﷺ-: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل، فنادى: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟»، قالوا: نعم! قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً لك،

أل هذا جمعتنا؟، فأنزل الله هذه الآية^(١).

﴿وَتَبَّ﴾ أي: هلك وخسر. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ وقيل: إن سبب نزول هذه الآية: أن أبا لهب قال: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإنني أفندي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي^(٢).

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: سيلقي ناراً تشتعل وتلتهب ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ هي أم جميل العوراء، واسمها أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وكانت هذه تؤذي رسول الله - ﷺ -، فتضع الشوك في طريقه، وقيل: إنها كانت تحمل الحطب على ظهرها من شدة بخلها ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: في عنقها حبل من ليف النخل.

أحكام وفوائد الآيات:

- إهلاك الله للظلمة المكذبين لآياته ورسوله، وقد أهلك أبا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله-تعالى-: ﴿وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ②﴾، (رقم ٤٩٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: في قوله-تعالى-: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤]، (رقم ٢٠٨).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي، (٢/٣٢٠).

- لهب بالعدسة بعد وقعة بدر، وهي بثرة تؤدي إلى الموت، وأهلك امرأته بحبلها، كما أهلك كل الذين أقاموا على شركهم وتكذيبهم لرسول الله - ﷺ -.

- أن هذه السورة من الإخبار بغيب المستقبل، فقد مات أبو لهب وزوجته على الكفر، وهذا من إعجاز القرآن.

- أن قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ معطوف على الضمير المستتر في ﴿سَيُصْلَى﴾، و ﴿حَمَّالَةً﴾ مفعول به على الذم، أي: أخص بالذم حمالة.

- أن المال والولد لا يغني عن العبد شيئاً يوم القيامة، كما قال - عز وجل -: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الإخلاص

مكية، وآياتها أربع آيات

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ سبب نزول هذه الآيات: أن المشركين قالوا

لرسول الله - ﷺ -: يا محمد! انسب لنا ربك، فنزلت هذه الآيات^(١)، والمراد: أخبر يا نبينا محمداً الذين سألوك أن الله هو الواحد الأحد الذي لا مثيل له، ولا نظير، ولا ندّ، ولا شبيه له في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، هو الذي يُعبد وحده بحق، فلا إله إلا هو، ولا رب إلا هو، الكامل في جميع أسمائه وصفاته، المدبر لخلقه، والمتصرف فيهم، العليم بأقوالهم وأفعالهم في سرهم وعلانيتهم، لا يعزب عنه شيء من أحوالهم في أزمانهم وأماكنهم، أحاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، يغفر لمن تاب إليه، ويتجاوز عن خطيئات من استغفره، ويجازي بعدله من تعدى على حرماته.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: هو الرب والإله الذي تصمد خلائقه إليه في

حاجاتها ونوازلها، والعظيم الذي كمل في عظمته، والرحيم الذي كمل في رحمته، والعليم الذي كمل في علمه، والحكيم الذي كمل في حكمته.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب: ومن سورة الإخلاص، (رقم ٣٣٦٤)، وحسنه الألباني.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: ليس له والد ولا ولد ولا صاحبة، فحاشاه أن يكون كذلك؛ لأنه بائن عن مشابهة المخلوقين في كل شيء. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: ليس له شبيهه يشبهه، أو مثيل يماثله، أو نظير يناظره، بل هو متميز عن خلقه في كل شيء من ذاته وأسمائه وصفاته.

أحكام وفوائد الآيات:

- وحدانية الله في ذاته العلية، وفي أسمائه، وفي صفاته.
- تحريم نسبة الولد إليه؛ لقوله- عز وجل-: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقوله- عز ذكره-: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ ﴿٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ [مريم: ٨٨-٩٣].

- وفي حديث أبي هريرة- رضي الله عنه -: أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - قال: «قال الله-

عز وجل:- كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدأتي، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد»^(١).

- فضل هذه السورة، فقد روى أبو سعيد أن رسول الله -ﷺ- قال لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟»، فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟، فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»^(٢).

- تأكيد تنزيه الله -ﷻ-، فهو جامعٌ لصفات الكمال، الغني عن كل ما سواه.

- أن في السورة ردًّا على المشركين الذين اعتقدوا أن الملائكة بنات الله، وردًّا على الذين قالوا: عيسى ابن الله.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: «وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه»، (رقم ٤٤٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، (رقم ٥٠١٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفلق

مكية، وآياتها خمس آيات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق: الصبح، كما قال-تعالى:-
﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ﴾ [الأنعام:٩٦]، والمراد: أمر من الله لرسوله محمد-ﷺ- أن يعتصم ويستجير برب الصبح، وهو المولى-عز وجل-، الذي لا يستعاذ ولا يستجار ولا يستغاث إلا به.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: أستجير وأتحصن بالله-عز وجل-من شر مخلوقاته: جنَّها وإنسها، وحيواناتها وجمادها، في ظاهر الأرض وباطنها وما فوقها، ما أعلم منها، وما لا أعلم.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: أتعوذ وأتحصن وأستجير بك

يا ربّ من الليل في ظلامه؛ ذلك أن الليل مدعاة للخوف؛ لما يجن فيه من الأخطار، ككواسر الحيوانات، واللصوص، والخلاس، وغير ذلك مما يخبئه الليل في ظلامه.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: أتحصن وأستجير بك يا رب من شر الساحرات اللاتي ينفثن سحرهن في العقد؛ ليفرقوا بين الزوج وزوجته، ويؤذين من أردن إيذاءه لقاء عرض من الدنيا، كما يفعل السحرة.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أي: قل يا نبينا محمداً: أستجير وأتحصن وأستعيذ بك يا رب من شر الحاسد الذي يبتغي زوال النعمة، أو يستكثرها، أو تتطلع نفسه إليها.

أحكام وفوائد الآيات:

- وجوب الاستعاذة بالله من شرور المخلوقات من الإنس والجن والحيوان والجماد، وكل ما على ظهر الأرض وما بطن منها، والاستعاذة كذلك من ظلام الليل، وما قد جن فيه من الشرور والمصائب والأخطار.
- تحريم النفث في العقد، وهذا يشمل كل أنواع السحر والكهانة،

- كما قال- تعالى:- ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ

السَّحَرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

- أن في الآية (٤) إخباراً مستقبلياً بأن نتيجة ما تفعله السَّاحرات اللاتي ينفخن فيما يعقدن من عقد هو السحر.

- تحريم الحسد، فقد كان سبباً في قتل ابن آدم لأخيه، والحسد يعني تمنى زوال نعمة العبد عنه، وهذا يدل على نفس شريرة، واعتراض على إرادة الله، كما قال- تعالى:- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

- أن في الآية (٥) إخباراً مستقبلياً بأن نتيجة حسد الحاسد المبغض للناس على ما وهبهم الله من نِعَم هو زوال النعم عنهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الناس

مكية، وآياتها ست آيات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾

مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ هذا أمر من الله - عز وجل - لنبيه ورسوله محمد - ﷺ - أن يتعوذ بصفاته الثلاث، وهي: الربوبية المطلقة، والملك المطلق، والألوهية المطلقة ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي: رب كل ما في الوجود، المالك لكل ما هو موجود ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ أي: الإله لكل ما هو موجود، فكل ما في الوجود تحت ملكه وتصرفه، وكل المخلوقات ملكه وعبيده، والمراد: قل يا نبينا محمداً: إني أستعيز وأستجير وأتحصن بك ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ أي: من أي موسوس من الجن ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الذي يخنس، أي: يتوارى إذا ذكر العبد ربه ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُورِ النَّاسِ﴾ أي: يعمل على إفسادهم، وإلهائهم في الدنيا، وتزيين الباطل لهم، والدخول عليهم في صلاتهم، وفي غفلاتهم، كما قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، (رقم ٣٢٨١)، ومسلم في كتاب

السلام، باب: بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة، وكانت زوجته أو محرماً أن يقول: هذه فلانة،

(رقم ٢١٧٤).

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي: وأعوذ بك من شيطان الإنس والجن، فشيطان الجن يوسوس في الصدور بالأباطيل، ويجري من العبد مجرى الدم، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية.

أحكام وفوائد الآيات:

- أنه لبيان فضل الناس، كررت السورة ذكْرهم خمس مرات، وخُتمت بهم كلمات الكتاب.
- قال ابن كثير: «هذه ثلاث صفات من صفات الربَّ -عزَّ وجلَّ-: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو ربُّ كلِّ شيء، ومليكه، وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له ومملوكة، عبيد له، فأمر المستعيز أن يتعوَّذ بالمتصف بهذه الصفات»^(١).
- أن في الآيتين (٥-٦) إخبارًا مستقبليًا بأنَّ نتيجة أذى شياطين الجنِّ والإنس الذين يوسوسون في صدور النَّاس عند الغفلة أَنَّهُمْ يَبْثُثُونَ الشَّرَّ والشُّكُوكَ.
- وجوب استعاذة العبد بالله من شياطين الإنس والجن، فإن شياطين الجن لا يزالون بالعبد يوسوسون له في صلاته، وعند

(١) تفسير القرآن العظيم، (٤ / ٧٤٩).

منامه، وفي يقظته، وفي كل أموره، وقد ثبت قول رسول الله - ﷺ -: « ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن »، قالوا: وإياك يا رسول الله؟، قال: « وإياي، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير »^(١).

- وشياطين الجن يأتون إلى العبد، حتى يحدث نفسه بما لا يعتقده، ولا يريده، أما شياطين الإنس فيأتون إلى العبد علانية، فممنهم من يفعل المنكر، ويزينه لغيره، وممنهم من يمشي بين الناس بالإفك والبهتان، وممنهم من يزين لهم القطيعة، وممنهم من يزين لهم الشر بكل أنواعه من الفواحش والمنكرات، فلهذا وجب أن يتعوذ العبد من الشياطين بذكر الله، والاستعاذة به، والاستعاذة به، فهو الحافظ والواقى والمعيد، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب: تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس، (رقم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الأمين،
وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين،
أما بعد:

فقد انتهى تفسير كتاب الله- عز وجل- في هذا اليوم صباح الجمعة
الموافق التاسع من شهر ذي الحجة من عام ألف وأربعمائة وسبعة
وعشرين للهجرة، على صاحبها أفضل الصلاة، وأتم التسليم.

يا رب! إن كتابك المنزل على عبدك ورسولك محمد- ﷺ- أعظم
كتاب أنزلته على عبادك، فيه بيان أحكامك، تهدي به المهتدين،
وترشد به الحائرين، وتنير به المستنيرين، وتنذر به العاصين، فمن
فسره، أو تحدث عنه لا يقدر- بأي حال- أن يحيط بما فيه من
الأحكام والأنباء والأسرار؛ لأن التفسير علم من علوم البشر، وكل
البشر أضعف وأقل من أن يعلموا علماً، أو يتبينوا بياناً إلا ما علمته
لهم، أو بينته لهم.

فلك الحمد والمنة - يا رب! - على ما أنعمت به، وتفضلت على
عبدك الفقير إليك، ولا يسعني في هذه اللحظات إلا أن أسألك بكل

أسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تتجاوز عني فيما كتبت، فإنني إذ
أعترف بخطئي وقصوري ونسياني، أرجو عفوك ورحمتك، فاجعل
ما كتبتة خالصاً لوجهك الكريم، واغفر لي ولوالدي وأولادي وأخواتي
وإخواني ومشايخي وجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، إنك أنت
ولي ذلك، والقادر عليه.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

الدكتور/عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب مجلة البحوث الفقهية المعاصرة